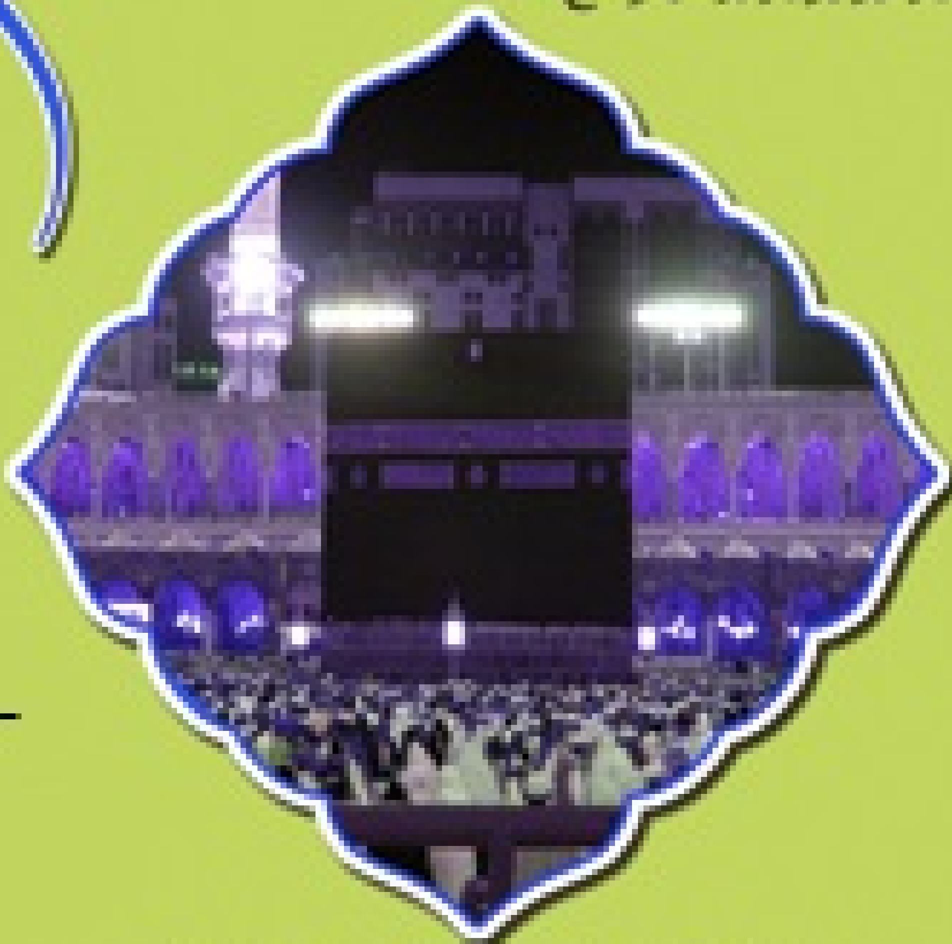
ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

٩



■ الحج، رموز وحِكَم (٣) ■ حج أهل الشريعة ... ■

■ كفاية المحتاج إلى مناسك الحاج ■ سلمان الفارسي ■

■ التصرف المعجز عن بقاء الاستطاعة ■

■ موضع مقام إبراهيم ■

■ فقه الجدال في الحج (١) ■ الحج مائدة مباركة ... ! ■

■ مكة وأسماؤها وما ترمز إليه في اللغات السامية ■

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

ميقات الحج المجلد ٩

اشارة

عنوان و نام پديدآور : ميقات الحج[پيايند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه يكبار

يادداشت : عربی

فهرست‌نويسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

يادداشت : اين نشريه در بيروت نيز منتشر می‌شود

يادداشت : المديرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئيس‌التحرير: علی قاضی‌عسكر

يادداشت : كتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشريات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدير مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسكر، سيدعلی، ۱۳۲۵، - سردبير

شناسه افزوده : سازمان حج و زيارت

رده بندی كنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

كلمة التحرير

ص: ۲

ص: ٣

ص: ۴

ص: ۵

العدد التاسع

كلمة التحرير

قضت «ميقاتُ الحجّ» أربعَ سنوات من عمرها، وهى تشقّ طريقَها بتواضع، وترسّخ أقدامَها بثبات، وتمدّ جذوَرها بعيداً فى عالم الثقافة والمعرفة والفكر ... كلّ هدفها رضا اللَّه تعالى، وخدمة الحرمين الشريفين، والبقاع الأخرى المقدسة فى مكّة والمدينة، مهدى الرسالة السماوية الخالدة؛ ولتفتح باباً يردُ منه كلُّ المهتمين بشؤون الحج- الفريضة الإلهية المباركة، ورمز وحدة المسلمين وعنوان قوتهم- وكلُّ الذين لديهم ما يريدون قولَه أو كتابتَه عن الحجاز تأريخاً وحضارةً وتقاليدَ ومواقعَ وآثاراً وشخصيات ... منذ نبيِّ اللَّه إبراهيم عليه السلام وهو يترك أهله بوادٍ غير ذى زرع وهو يودّع وجودَه عند بيتك المحرّم وهو يرفع القواعدَ من البيت وهو يؤذّن فى الناس بالحج ... ... إلى عصر الإسلام الأول، حيث محمد بن عبداللَّه يضمّه غار حراء، وحيث انبثاق أعظم رسالة

ص: ۶

عرفتها البشرية، وأوحتها السماء، رحمةً للعالمين، من بين صخور جبل النور، وحيث الصرخة الكبرى إنّ اللَّهَ برىءٌ من المشركين ورسولُه .. ومروراً بعصور الإسلام المتعاقبة، ثم عصرنا المملوء بالأحداث والتساؤلات على كل المستويات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. وأيضاً العقائدية والفقهية، التى باتت هى الأخرى تشكّل علاجاً، ومأوى يلجأ إليه كلُّ المتحيرين؛ لمعرفة رأى السماء فيما يدور حولهم، ويستحدث من مشاكل ومعضلات، خاصة فيما يتعلّق بأداء هذه الفريضة المقدّسة ...

إنّ «ميقات الحج»- التى ولدت وشبّت وترعرعت فى قم المقدسة، حيث الحوزة العلمية الشامخة، وحيث الجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية المنبثّة هنا وهناك فى الجمهورية الإسلامية- تأمل من ساداتها العلماء والمفكّرين والكتّاب والأدباء فى هذه البلاد وفى البلدان الأخرى أن يرفدوها بما يقوّم وجودَها من عطائهم الثر، وأن يوردوها من منهلهم العذب، وأن ينعموا عليها من فكرهم الثاقب، وأن يسدّدوها بنقدهم البناء، وهى المفتقرة دائماً إلى عطائهم وإلى تسديدهم، والمنتظرة إرشادهم؛ لهذا ولغيره تتمنى أن لا تحرم من موائدهم المليئة بكلّ ألوان المعرفة فقهاً وفلسفةً وتأريخاً .. لتلتقط كلَّ ما حوته تلك الموائد- فهى لا تحوى إلّا الجميل- ولتضعه بدورها بين يدى قرائها ومحبيها داخل إيران وخارجها، ولا سيما بعد أن راحت تجد نفسَها إلى جوار مجلات أخرى من شتى البلدان، وفى أماكن متعددة من العالم، ونالت نصيبَها من أوقات الكثيرين من المحقّقين والباحثين، ومن آرائهم وثنائهم، والأستاذ حمد الجاسر من الرياض فى المملكة العربية السعودية، كان واحداً منهم. فقد تلقّت مجلتُنا منه رسالتين مفصّلتين بعث بهما إلى رئيس تحريرها حجة الإسلام والمسلمين السيد على قاضى عسكر، ومما جاء

ص: ۷

فيهما:

«... ثم بما أكرمنى من مجلة هى والحقّ يقال من خير المجلات المعنية بشؤون الحج ...».

«... وأكرمتَ إكرامك لى بما أتحفتنى به من تحف لطيفة، كان من أجلّها وأعمقها أثراً فى نفسى أربعة الأجزاء الاولى من مجلة «ميقات الحج» هذه المجلة الرصينة، التى تحوى أبحاثاً ممتعةً فى موضوعها، وكنتُ أتمنى أن تمكننى صحتى وقوة بصرى من الاستفادة من تلك الأبحاث القيمة جميعها ...».

ولا تنسى الهيئة العلمية لتحرير هذه المجلة أن تقدم عظيم شكرها وخالص امتنانها لكلّ الأخوة والأصدقاء، الذين ساهموا مساهمة جليلة فى إثرائها كتابةً وقراءةً ونقداً ..

ممّا شجعنا على الاستمرار فى اصدارها طيلة هذه السنوات، آملين أن تكون عند حسن ظنّ الجميع، فإن وفقنا لذلك فالخير أصبنا، وإلّا فكلّ حسبنا أننا بذلنا جهدنا وحاولنا، سائلين اللّه أن يتقبل منا ومنكم إنه سميع الدعاء.

الحج فى احاديث الامام الخمينى قدس سره

ص: ٨

الحج فى أحاديث الإمام الخمينى قدس سره

على الحجّاج والزوّار الأعزاء أن يتوجهوا من الكعبة، وهى أفضل وأقدس بقاع الحبّ والجهاد، نحو كعبة أسـمى؛ كما هو سيد الشهداء الإمام «أبى عبداللَّه الحسين عليه السلام» حيث توجّه من إحرام الحجّ إلى إحرام الجهاد، ومن طواف الكعبة إلى طواف صاحب البيت، ومن الوضوء بزمزم إلى غسل الشهادة، وبهذا تُبدَّل الأمّة إلى أمّة ذات بنيان مرصوص لا تعرف الهزيمة. ولن تجرأ لا القوى الشرقية ولا الغربية على مواجهتها.

ولا شك فى أنّ روح الحج ونداءه، لا يمكن أن يكون غير هذا، حيث أن المسـلمين يسـتلهمون من الحج الدستور العلمى للجهاد ضد النفس والهوى، والنهج لمقارعة الكفر والشرك.

على أية حال، إنّ إعلان البراءة فى الحج تجديد لميثاق النضال، وهو تمرين لإعداد صـفوف المجاهدين، ومواصـلة الصراع ضد الكفر والشرك وعبدة الأوثان.

كما وأنّه لا ينحصر برفع الشعارات، بل إنه منطلق علنى لإعلان النضال،

ص: ۹

وتنظیم صفوف جنود اللَّه فی مواجهة جنود إبلیس والمتأسّین بإبلیس. لهذا فالحجّ من مبادئ التوحید الأُولی.

إذا لم یعلن المسلمون براءتهم من أعداء اللَّه، فی بیت اللَّه، فأین إذن یعلنون عن ذلک؟

وإذا لم یکن الحرمُ والکعبةُ والمسجدُ والمحرابُ، معقلًا وسنداً لجنود اللَّه، وللمدافعین عن الحرم وحرمة الأنبیاء، فأین إذن یکمن مأمنهم وملجأُهم؟

وبکلمة واحدة، إنّ إعلان البراءة یمثّل المرحلة الاولی للنضال، وأنّ مواصلة المراحل الأُخری هی من واجبنا، وأنّ أداءَها فی کلّ عصر وزمان، یختلف باختلاف الأسالیب والبرامج الخاصة بذلک العصر والزمان، ولابد من أن نری ما الذی نتمکن من عمله فی عصرٍ کعصرنا، الذی عرّض فیه زعماء الکفر والشرک کلَّ وجود التوحید للخطر، وجعلوا من المظاهر القومیة، والثقافیة، والدینیة والسیاسیة للشعوب ألعوبة لتلبیة أهوائهم وشهواتهم الخاصة؟!

هل ینبغی ملازمة البیوت، والاکتفاء بالتحلیلات، وبالتالی، إلقاء روح العجز والخنوع فی قلوب المسلمین، والحیلولة دون وصول المجتمع إلی الإخلاص، الذی هو غایة الکمال ونهایة الآمال؟!

الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی

ص: ١٠

الحجّ فى أحاديث الإمام الخامنئى

- مد ظله العالى -

الحمـد للَّهربّ العـالمين والصـلاة والسـلام على البشـير النـذير والسـراج المنير سـيدنا أبى القـاسم المصـطفى محمـد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الخيرة من أصحابه المنتجبين.

حلّ موسمُ الحجّ وهو يحمـل بشـائر أكبر لقـاء سـنوى للمسـلمين، وجـدير بقلوب آلاف المشـتاقين - الـذين نالوا فيض اللقاء فى هـذا الموسم - أن تخفق وتنتفض لإعداد نفسـها، وجدير بالملايين من المسلمين الراجين - الذين لم يُدرجوا هذا العام فى قائمة النائلين لهذا الفضل - أن يملأوا قلوبهم وأذهانهم بشـذى وعبير اسـتذكار كل لحظات أيام السـعداء ويـدعوا لهم ولأنفسـهم، ليعيش كلّ المسـلمين العارفين خلال أيام الحج - مع الحج وشعائره وآيات جلاله وجماله.

فريضةُ الحجّ كلّ عام تشكل حادثة كبرى من حقها أن تستقطب - فى تلك الأيام المعلومات - الأفكار والاهتمامات والعقول والمشاعر فى جميع أرجاء العالم الإسلامى، وأن يعيش المسلمون معها، ويفكروا فيها كلٌ بحسب موقعه الروحى

ص: ۱۱

والفکری والسیاسی، ومن الطبیعی أن الذین نالوا فیض الحج یحتلون مرکز هذا التکلیف والتوقع. وإذا کانت أبدانهم وأرواحهم وأفکارهم ومساعیهم ممزوجة بالحج وبرکاته وآثاره، فالأجدر أن یحصلوا علی أکثر ما یمکن من العطاء المعنوی والروحی والفردی والاجتماعی لهذه الفریضة، وسیحصلون بإذن اللَّه علی ذلک.

برکاتُ الحجّ وإن کانت تستوعب کلّ جوانب الحیاة البشریة، ویعمّ مطر رحمتها جمیع المجالات ابتداءً من خلوة القلب والفکر، ومروراً بساحات السیاسة والاجتماع وعزّة المسلمین وتعاون الشعوب المسلمة، فتثرها وتحییها وتبث فیها نشاط الحیاة .. ولکن قد یمکن القول: إنّ مفتاح کلّ هذا هو «المعرفة»، وأولی هدایا الحج- لمن أراد أن یبصر الحقیقة ویستثمر ما ألهمه اللَّه من قدرة علی فهم «الظواهر»- هی المعرفة المتکاملة، التی ینفرد بها الحج، ولا یحصل علیها المسلمون عادة إلّامن هذه الفریضة، ولا تستطیع أیة ظاهرة دینیة أخری أن تقدم للأمة الإسلامیة تلک المنظومة الکاملة من المعارف کما یقدمها الحج، ومن هذه المنظومة المتکاملة من المعارف:

معرفة الذات علی الصعید الفردی، ومعرفة الذات علی صعید الانتماء للأمة الإسلامیة العظمی، ومعرفة النموذج الموجود فی الحج من تلک الأمة الواحدة، ومعرفة عظمة اللَّه ورحمته، ومعرفة العدو ..

مناسک الحج، للمحقّق الکرکی

ص: ۱۲

مناسک الحج، للمحقّق الکرکی

ت «۹۴۰» ه. ق.

تحقیق: فارس حسّون کریم، ابو الحسن المطلّبی

ترجمهٔ المؤلّف (۱) اسمه:

هو الشیخ الجلیل نور الدین أبوالحسن علی بن‌الحسین‌بن‌عبد العالی.

ألقابه:

العاملی، الفقیه، الکرکی، العلائی، المحقّق الثانی.

مولده:

ولد الشیخ فی مدینهٔ کرک نوح (۲) سنهٔ «۸۶۸» ه.

قبس من سیرته:

قصد الشیخ بلاد العراق فوصل النجف الأشرف حوالی سنهٔ «۹۰۹» ه، وهناک نهل علومه حتی بزغ نجمه واشتهر فی الآفاق.

وحینما ظهرت الدولهٔ الصفویّهٔ فی إیران- بعد فترهٔ مریرهٔ لاقی فیها الشیعهٔ شتّی أنواع الاضطهاد- احتاجت فی أوّل أمرها إلی فقهاء یعلِّمون الناس أُمور دینهم، ویشغلون المراکز التی من خلالها تدار شؤون الناس.

وکان الشیخ رحمه الله علی رأس المهاجرین إلی إیران إضافهٔ إلی عدّهٔ من علماء جبل عامل- حیث کانت تعجّ

۱- ۱ تجد ترجمته فی نقد الرجال: ۲۳۸ رقم ۱۵۰، أمل الآمل: ۱/ ۱۲۱ رقم ۱۲۹، ریاض العلماء: ۳/ ۴۴۱- ۴۶۰، لؤلؤهٔ البحرین: ۱۵۱- ۱۵۴ رقم ۶۲، روضات الجنّات: ۴/ ۳۶۰ رقم ۴۱۴، مستدرک الوسائل: ۳/ ۴۳۱ «الطبعهٔ الحجریهٔ»، الفوائد الرضویّهٔ: ۳۰۳- ۳۰۶، طبقات أعلام الشیعهٔ- القرن العاشر-: ۱۶۰، أعیان الشیعهٔ: ۸/ ۲۰۸- ۲۱۳، تاریخ کرک نوح: ۸۸- ۹۲، وغیرها.

۲- ۲ کِرکُ نوح: أی مدینهٔ نوح، أو حصن نوح؛ وقیل: کِرْک لفظهٔ سریانیّهٔ «کِرْکو» بمعنی حصن أو معقل، وورد أیضاًبالعبریّهٔ «کِرْکونَوَه» مدینهٔ السلام، وضبطها العرب بفتح الکاف وسکون الراء، بمعنی الجبل تمییزاً لها عن کَرَک الأردن بفتح الراء. وروی سبط ابن الجوزی المتوفّی «۶۵۴» ه قال: ببلد بعلبک فی البقاع قریهٔ یقال لها: الکرک فیها قبر یقال إنّه قبر نوح. «تاریخ کرک نوح: ۹- ۱۰».

ص: ۱۳

بالعلماء آنذاک- فولّاه الشاه إسماعيل منصب شيخ الإسلام فی اصفهان، ولمّا تولّى الشاه طهماسب سنة «۹۳۰» ه منح الشيخ لقب نائب الإمام عليه السلام.

فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتباً بدستور العمل فی الخارج، وما ينبغی تدبيره فی شؤون الرعيّة. فهو رحمه الله يعدّ مؤسّس النهضة الشيعيّة فی إيران، ومجدِّد المذهب، وواضع الأُسس الشرعيّة الدستوريّة لدولة الصفويّين.

والشيخ رحمه الله مع ما كان له من الجاه والنفوذ فی إيران تركها راجعاً إلى العراق لأسباب قاهرة.

شيوخه:

حضر الشيخ دروس كثير من علماء عصره، منهم: الشيخ محمد بن خاتون العاملی، زين الدين علی بن هلال الجزائری، الشيخ أحمد بن الحاج علی العاملی العينائی، زين الدين جعفر بن حسام العاملی.

تلامذته:

لقد ربّى الشيخ أكثر من أربعمائة مجتهد، منهم: الشيخ علی بن عبد العالی الميسی، الشيخ زين الدين الفقعانی، الشيخ أحمد بن محمد بن أبی جامع، الشيخ أحمد ابن محمد بن خاتون العاملی.

مؤلّفاته:

ترک رحمه الله العديد من المؤلّفات القيّمة، منها: جامع المقاصد، الرسالة الجعفريّة، الرسالة الخراجيّة، الرسالة الرضاعيّة، رسالة الجمعة، حواشی مختلف الشيعة، مناسک الحجّ- الرسالة التی بين يديک-، وغيرها.

وفاته:

اختلف فی تحديد سنة وفاته رحمه الله؛ فقد قيل: سنة «۹۳۷» ه؛ وقيل: سنة «۹۳۸» ه؛ وقيل: سنة «۹۴۰» ه- وهو الموافق لما ذكر من تاريخ وفاته بحساب الجمل، وهو جملة «مقتدای شيعه»-؛ وقيل: توفّی سنة «۹۴۵» ه.

وقد قيل: انّه مات شهيداً مسموماً، وقد قاله الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثی «والد الشيخ البهائی».

التعريف بالكتاب:

الكتاب الذی بين يديک- عزيزی القارئ- مختصر فی مناسک الحجّ، فتوائی، مع زيارة النبیّ صلی الله عليه و آله، وأعمال

ص: ۱۴

المدینة المنوّرة.

قال الشیخ آقا بزرک الطهرانی (۱):

شرحه تلمیذ المصنّف الشیخ شرف الدین الیزدی، وسمّی الشرح ب «هدیّة الناج».

النسخ المعتمدة ومنهجیّة التحقیق:

۱- النسخة الخطّیّة المحفوظة فی خزانة مخطوطات مکتبة آیة اللّه العظمی المرعشی النجفی قدس سره فی قم المقدّسة، ذکرت فی فهرس المکتبة: ۱۳/ ۱۳۲ مجموعة رقم ۴۹۳۳، وکتابنا هو الکتاب الثانی عشر فی هذه المجموعة ص ۱۳۳- ۱۴۳، کتبت النسخة بخطّ النسخ، ذات عناوین بارزة، عدد سطور صفحاتها مختلف بقیاس ۵/ ۱۸* ۱۳ سم، ناسخها حسین بن عبد الرحیم الرستمداری سنة «۹۶۴» ه بالمشهد الرضوی.

ورمزنا لها بحرف «ک».

۲- النسخة الخطّیّة المحفوظة فی نفس المکتبة المذکورة، ذکرت فی فهرس المکتبة: ۹/ ۸۷ مجموعة رقم ۳۳۰۷، وکتابنا هو الکتاب الثانی فی هذه المجموعة ص ۹- ۲۷، کتبت النسخة بقیاس ۱۵* ۱۲ سم وبخطّ النسخ، ذات عناوین بارزة، احتوت کلّ صفحة ۱۱ سطراً، علی النسخة تعلیقات الشیخ علی بن محمد بن حسن ابن زین الدین الجبعی العاملی- صاحب کتاب الدرّ المنثور من المأثور وغیر المأثور المولود سنة «۱۰۱۴» ه، والمتوفّی سنة «۱۱۰۳» ه، ناسخها محمد ابن حسن بن أحمد بن فرج فی رمضان المبارک سنة «۹۴۶» ه.

ورمزنا لها بحرف «ش».

والغریب أنّ هذه النسخة ذکرت فی فهرس المکتبة المذکورة تحت عنوان «مناسک الحجّ الصغیر» تألیف الشهید الثانی زین الدین بن علی العاملی، کما فعل ذلک من قبل الشیخ آقا بزرک الطهرانی حیث ذکر مثل هذا فی الذریعة: ۲۲/ ۲۶۳ رقم ۶۹۸۵ مضیفاً: والنسخة فی مجموعة رسائله عند المیرزا محمّد الطهرانی، وفی کتب الحاجّ میرزا علی الشهرستانی.

وممّا قوّی أن تکون المناسک هذه من تألیفات المحقّق الکرکی هو أنّ الشیخ علی بن محمد الجبعی العاملی

۱- ۱ الذریعة: ۲۲/ ۲۶۹ رقم ۷۰۲۹.

ص: ۱۵

کتب فی إحدی تعلیقاته علی النسخة (۱) وتعقیباً لعبارة المصنّف: «ومن لیس علی رأسه شعر یجزئه إمرار الموس علی رأسه» قائلًا: استحباباً، وینبغی أن لا یجزیه عن التقصیر، قاله المصنّف فی حاشیة الإرشاد. انتهی.

وبما أنّ الشهید الثانی قد تناول «إرشاد الأذهان» بالشرح ثلاث مرّات، وکالتالی:

۱- «روض الجنان فی شرح إرشاد الأذهان» فرغ فیه من تألیف کتابی الطهارة والصلاة.

۲- حاشیة علی عقود الإرشاد (۲) ویبدو أنّها فقدت مع آثار أُخر للشهید.

۳- حاشیة الإرشاد وقد طبعت أخیراً مع غایة المراد للشهید الأوّل بتحقیق الشیخ الفاضل رضا المختاری.

ومن خلال الرجوع إلی هذه الحاشیة الکاملة نجد أنّ عبارة الشهید فی الحاشیة هکذا: ویجب علیه مع ذلک التقصیر مع إمکانه، لأنّه بدلٌ اختیاریٌّ والامرار بدلٌ اضطراریّ فلا یجزئ عنه (۳). وهو ما یختلف مع ما ذکره الشیخ علیّ العاملیّ.

ولم تتیسّر لدینا حاشیة الإرشاد المسمّاة «تعلیق الإرشاد» للمحقّق الثانی کی نطابق العبارة المشار إلیها، واللَّه أعلم بحقیقة الحال.

۳- النسخة الخطّیّة المحفوظة فی المکتبة الرضویّة فی مشهد المقدّسة تحت الرقم ۲۶۴۱، کتبت بخطّ النسخ فی ۱۳ صفحة بقیاس ۲۱* ۱۵ سم، علی النسخة شروح وتعلیقات، والنسخة غیر کاملة أشرنا لموضع انتهائها فی متن الکتاب.

ورمزنا لها بحرف «ر».

وکنا فی بدایة عملنا أن قابلنا النسخ مع بعضها، ولفقنا نصّاً متقناً- قدر الإمکان- وأشرنا إلی مواضع الاختلاف بین النسخ، وما أثبتناه من إحداها جعلناه بین [] وأشرنا إلی نسخته.

والحمد للَّهربّ العالمین

۱- ۱ لاحظه فی ص ۳۶ هامش ۳.

۲- ۲ الدرّ المنثور: ۲/ ۱۸۶.

۳- ۳ حاشیة الإرشاد- المطبوع مع غایة المراد- ج ۱ ص ۴۵۱.

ص: ۱۶

صفحة فارغة للمخطوطة

ص: ۱۷

صفحة فارغة للمخطوطة ۲

ص: ۱۸

بسم اللَّه الرحمن الرحیم

[وبه نستعین] (۱)

الحمدُ للَّهعلى سَوابغِ نعمهِ الغِزارِ، والصلاة [والسلام] (۲) على نبیِّه محمّد وآله الأطهار.

وبعد:

فهذه جملة [کافِلَة] (۳) تشتمل على ما لا بدَّ منه (۴) فی بیان مناسِک حجّ بیت اللَّه الحرام، وزیارَة رسولهِ وآله علیه وعلیهم السلام، وضعتُها على سبیل الاختصار، بالتماس خلاصة بعض الاخوان الأخیار، نفعه اللَّه وإیّانا بها،

۱- ۱ من «ش».

۲- ۲ من «ش، ک».

۳- ۳ من «ر».

۴- ۴ فی «ش، ر»: من.

ص: ۱۹

وأجزَل لنا جميعاً ثوابها، إنّه وليُّ ذلك، وهو حَسبُنا ونِعمَ الوكيل.

وهى موضوعةٌ على مقدّمة وفصلين (۱):

أمّا المقدّمة

فالحَجّ لُغةً: القصد المُتكرِّر.

وشرعاً: القصد إلى مكّة ومشاعِرها لأدَاء المناسك المخصوصة (۲).

وهو أولى من جعله اسماً لجميع المناسك المؤدَّاةِ فى الميقات ومكّة ومشاعِرها [لا] (۳)لأنّ التخصيص خيرٌ من النقل، لأنّ ذلك حيث لم يثبت النقل، بل لأنّ النقل بمناسَبته (۴) أولى، وعلى الأوّل فتبيّن معنى الحَجّ شرعاً ولغة مناسبة العموم والخصوص، بخلاف الثانى.

ثمّ إنّ جَعله للمناسك يقتضى كون التعريف لفظيّاً لا صناعيّاً.

ووجوبه فى العُمر مرّة بالنصّ والاجماع، وهو على الفور، حتى إنّ تأخيره كبيرة مُوبقة (۵)، وثوابه عظيم، فإنّه جمع بين كثير من العبادات مع ما فيه من المشاقّ العظيمة والأخطار الجسيمة.

وأخبار فضله وما يترتّب عليه من المغفرة، ومضاعفة الحسنات، ومحو السيئات، ورفع الدرجات، بطريق أهل البيت- عليهم أطائب الصلوات- كثيرة لا تكاد تُحصى.

وشرطُ وجوبه: البلوغ، والعقل، والاستطاعة التى هى الزّاد (۶) والرَّاحِلة فى المفتقِر إلى قطع المسافة، والتمكّن من الرُّكوب والمسير، ووجود المَحْرَم فى المرأة مع الحاجة لا مطلقاً، ونفقته وما يتبعها حينئذٍ، ونفقة واجب النفقة ذهاباً وعَوداً.

ويشترط فى صحّته الإسلام، فلا يقع على الكافر ولا عَنْهُ (۷)، ولمباشرة أفعاله التمييز، فلا يقع من غير المُميِّز استقلالًا، بل بفعل الوَلىّ.

وأنواعه ثلاثة: تَمتُّعٌ، وقِرانٌ، وإفْرادٌ (۸).

فالتمتّع فرض من نأى عن مكّة بثمانية وأربعين ميلًا من كلّ جانب (۹)، وأفعاله الواجبة مرتّبة خمسة وعشرون:

النيّة (۱۰)، والإحرام بالعُمْرة، والتَّلبية، ولبس ثوبىالإحرام، والطَّواف،

۱- ۱ فى «ر»: وفصول.

۲- ۲ أى فى أماكن العبادة المخصوصة؛ كالطّواف فى الحَرَم، والسَّعى بين الصّفا والمروة، والوقوف بعَرَفات، و....

۳- ۳ من «ش، ر».

۴- ۴ فى «ش، ک»: لمناسبة.

۵- ۵ من «ش، ک». والموبقة: هى المهلكة، وهى كناية عن شدّة عذابها فى الآخرة أو المؤاخذة عليها فى الدنيا، فيصير مؤخّر الحجّ بمنزلة الهالك. «مسالك الأفهام: ۲/ ۱۲۲». والأدلّة عليه من الكتاب والسنّة كثيرة؛ انظر: سورة آل عمران: ۹۷، والوسائل: ۸/ ۳ أبواب الحجّ وشرائطه.

۶- ۶ المراد بالزَّاد: قدْرُ الكفاية من القوت والمشروب، ذهاباً وعوداً.

۷- ۷ والكافرُ يجب عليه الحجّ ولا يصحّ منه. «شرائع الإسلام: ۱/ ۲۲۸».

۸- ۸ ووجه التسمية: أمّا فى الإفراد؛ فلانفصاله عن العُمرَة، وعدم ارتباطه بها. وأمّا القِران؛ فلاقتران الإحرام بسياق الهَدْى. «مدارك الأفهام: ۷/ ۱۵۵».

۹- ۹ یؤیّده صحیحة زرارة عن الباقر علیه السلام. انظر: التهذیب: ۵/ ۳۳ ح ۹۸، الاستبصار: ۲/ ۱۵۷ ح ۵۱۶، الوسائل: ۸/ ۱۸۷ ب ۱ ح ۳.

۱۰- ۱۰ فی خ ل «ش»: وهو النیّة.

ص: ۲۰

ورَکعتاه، والسعی، والتقصیر، والنیة، والإحرام بالحَجّ، والتلبیة، ولُبْس الثوبین، والوقوف بعرَفة، والمبیت بالمَشْعَر، والکون به، ورمی جَمْرَة العَقَبة (۱)، والذّبح، والحَلق أو التقصیر، وطوافالحَجّ، ورکعتاه، والسعی وطواف النساء (۲)، ورکعتاه، والمبیت بمِنیً لیالی التشریق، ورَمْی الجَمرات الثلاث.

والأرکانُ ثلاثة عشر: النیّة، والإحرام بالعُمرة، والتلبیة، وطوافها (۳)، وسعیها، والنیّة، والإحرام بالحَجّ، والتلبیة، والوقُوف بعَرَفة، والکَون بالمَشْعَر، وطواف الحَجّ، وسَعْیه، والترتیب.

والمراد بالرُّکن هنا: ما یبطل الحجّ بالإخْلال به عَمْداً لا سهواً، فیتحقّق البطلان بفوات شیء ممّا عدّ رکناً (۴) عمداً خاصّةً، ولو کان الفائت الموقفین بَطَل مطلقاً، ولا تبطل باقی (۵) الأفعال وإن کان عَمداً.

وأفعال القِرَانِ والإفْراد هذه، إلّاأنّ العُمْرة فیهما (۶) متأخّرة، ویزادُ فیها طواف النساء ورَکعتاه بعد الحَلْق أو التقصیر، وکذا فی کلّ عُمرة مُفْرَدَة.

الفصل الأوّل: فی [أفعال] عُمْرة التّمَتّع (۷) وفیه مباحث:

الأوّل: الإحرام.

ومعناه کفُّ النفس عن امورٍ مخصوصة إلی أن یأتی بالمحلّل من الأفعال. ففی عُمْرة التمتّع إلی التقصیر، وفی غیرها آخره طواف (۸) النساء مع النیة، وصِفَتها فی العُمْرة المُتَمتّع بها (۹) إلی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع، والبّی التلبیات الأربع لعقَدِ هذا الإحرام، لوجُوبِ الجمیع قربةً إلی اللّه، مقارناً بها أوّل التلبیة.

ولمّا کان القصد إلی الامور المذکورة الذی هو النیّة موقوفاً علی فهمِها احتیجَ إلی کشف ما لا بدَّ [منه] (۱۰) من بیان المُراد منه فیها.

فالعمرة لُغَةً: الزیارة، وشرعاً:

زیارة البیت لأداء المناسِک المخصوصة عنده (۱۱).

والمتمتّع بها اسم مفعول من التَّمتُّع وهو التلذّذ والانتفاع، وإنّما اختُصّت بهذا الاسم لما یتخلّل بینها وبین الحَجّ من الاحلال، ممّا وقع الإحرام منه

۱- ۱ وهی تلی مکّة، ولا تُرمی یوم النَّحر إلّاهی.

۲- ۲ لِیَحِلَّ له به، الباقی ممّا حَرُم علیه؛ وهو إتیانُ النساء.

۳- ۳ أی طواف العمرة. حاشیة «ش».

۴- ۴ کذا فی «ش، ر»، وفی «ک»: لفوات شیء عدّ رکناً.

۵- ۵ فی خ ل «ش»: بباقی.

۶- ۶ فی «ک، ر»: فیها.

۷- ۷ من «ش، ر».

۸- ۸ فی «ک»: إلی طواف.

۹- ۹ أی المنتفع بها إلی الحجّ کما وصفها اللّه تعالی بقوله: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَی الْحَجِّ» [سورة البقرة: ۱۹۶]. «مسالک الأفهام: ۲/ ۱۹۱».

١٠- ١٠ من «ش، ر».

١١- ١١ أو زيارة البيت محرماً للطواف والسعی. حاشية «ر».

ص: ۲۱

مستمرّاً إلی إحرام الحَجّ مع کونِها معدودة من أفعال الحَجّ. أو لِما یحصل بها من الانتفاع بالثواب مضافاً إلی الحَجّ أو مستمرّاً إلیه وبنسبتها (۱) إلی حَجّ الإسلام تتمیّز عن العُمرة المُتَمَتَّع بها إلی حَجّ النذر وشبهه.

والمُراد بالقُربة: وقوع الفعل علی وجه الاخلاص، بحیث یثمر (۲) القُرب إلی رِضاه- سبحانه-، ویحظی لدیه مجازاً عن القُرب المَکانیّ.

وإطلاق القربات علی الطاعات والعِبادات فی کلامه- سبحانه-، وکلامهم علیهم السلام یؤْذِن بإیثار هذه الکلمة علی غیرها، ویُشعِر (۳) بمزیّةٍ لها.

وتَجِبُ التلبیات الأربع مقارنةً للنیّة بالعربیة علی الوجه المنقول، وصورتها:

لبّیک اللّهمَّ لبّیک، لَبّیْک، إنّ الحَمْدَ والنّعمةَ والمُلک لک، لا شریک لک لبّیْکَ.

ومعنی لبّیک: إجابةً بعد إجابةٍ لک یا ربّ، أو إخلاصاً بعد إخلاصٍ، أو إقامةً علی طاعتک بعد إقامةٍ؛ لأنّه إمّا من لبّی إذا أجاب الدُّعاء، أو مِنَ اللبّ وهو الخالص من کلّ شیءٍ، أو من لبّ بالمکان إذا أقام به.

وأصل اللّهمّ: یا اللّه.

ویجوز فی أنّ الکسر علی الاستئناف، وتفتح فتقدّر اللام مَحذوفةً، علی أنّ جملتها تعلیل لِما قَبلها، فیقتضی الفتح تخصّیص (۴) التلبیة (۵) بخلاف الکسر، فإنّ عدم التقیید بعلّةٍ یقتضی العموم. وهذا هو المراد من قول أبی العبّاس المبرّد: من فَتَحَ فَقَدْ خَصّ، ومن کَسَرَ فَقَدْ عَمّ.

ویستحبُّ الإکثار من التلبیات الواجبة ومن المستحبّات أیضاً، وخصوصاً: لبّیک ذا المعارج لبّیک، والباقی لبّیک لبّیک داعیاً إلی دار السلام، لبّیک لبّیک غفّار الذُّنوب، لبّیک لبّیک أهل التلبیة، لبّیک لبّیک ذا الجلالِ والإکرام، لبّیک لبّیک تبدئ والمَعادُ إلیک، لبّیک لبّیک تَسْتَغْنی ویُفْتَقَرُ (۶) إلیک، لبّیک لبّیک مرهوباً ومرغوباً إلیک، لبّیک لبّیک إلهَ الحقّ، لبّیک لبّیک ذا النَّعماء والفضلِ الحَسنِ الجَمیل، لبّیک لبّیک کشّاف الکُرَب (۷) العِظام، لبّیک لبّیک عبدُک وابن عَبدَیْک، لبّیک لبّیک أتقرّب إلیک بمُحَمّدٍ وآل مُحمّدٍ، لبّیک لبّیک یا کریمُ، لبّیک لبّیک بالعُمْرَة المتمتّع بها إلی

۱- ۱ کذا فی «ش، ر»، والکلمة غیر مقروءة فی «ک».

۲- ۲ فی «ک»: یتمیّز.

۳- ۳ فی «ش، ر»: ویسجل.

۴- ۴ فی «ر»: تخصیص، وفی «ش»: فیقضی الفتح «تخصیص».

۵- ۵ أی لبّیک بسبب أنّ الحمد لک.

۶- ۶ فی «ک»: تغنی ونفتقر.

۷- ۷ کذا فی «ک، ر» و خ ل «ش»، وفی «ش»: الکروب.

ص: ۲۲

الحَجّ لبّیک.

والإخلال بمقارنـة النیّـة للتلبیـة مبطِل کتکبیر الصـلاة، وکـذا إبـدال بعض کلماتها التی لابدّ منها بمرادِفها کما لو قال: إجابةً بعد إجابةٍ لک بدل لبّیک، ونحوه.

ویجب استدامة النیّة حکماً إلی آخره، فلو أخلّ [بها] (۱) أثِمَ ولم یبطل إحرامه.

ویجب لُبس الثوبین (۲)، ویشترط کونهما من جِنس ما یصلّی فیه [الرجل] (۳) خالیین من نجاسة، غیر مخیّطین، فیأتزر بأحَدِهما ویتوشَّح بالآخر، یغطّی به أحد المنکبین، أو یرتدی به فیغطّیهما [معاً] (۴) ولا یعقده.

ولا- یجوزُ النقص اختیاراً، وتجوز الزیادة والابدال، لکن یستحبّ الطَّواف فی الأوّلین، ویجوز للنساء الإحرام فی المَخِیطِ والحَریر اختیاراً، وهل یوصف لُبس الثوبین بکونه شرطاً للإحرام، أو جزءاً له، أو واجباً لا غیر، أوْجه، والاشتراط أحوط.

أمّا النیّة فالتردّد فیها بین الشرط والجزء کسائر نیّات العبادات، والأصحّ أنّ التلبیة جزء ورکن، وهی للإحرام کالتحریمة للصلاة، ونسیان التلبیة غیر مخلّ بصحّة الإحرام بخلاف نسیان النیّة.

وفی کون الإحرام ترکاً: یجیء به نحو الأفعال أو بالعکس تردّد، وللأوّل رجحان، أمّا عدّه فعلًا محضاً بناء علی تفسیره بتوطین النفس علی الکفّ عن الامور المخصوصة فلا یخلو من شیء؛ لأنّ المعروف فی کلامهم أنّ الإحرام عبارة عن اجتناب الامور المخصوصة، والاختِراع فی التعریفات غیر مقبولٍ، وکذا الصوم.

وأمّا ما یحْرُم بالإحْرام: فالصّید، وهو الحیوان الممتنِعُ بالأصالة اصطیاداً، وأکلًا، وإشارة، ودلالة (۵)، وإغلاقاً، وذبحاً فیکون میتة والفرخ والبیض کالأصل، والجَراد صید (۶)، والمتولّد بین الصید وغیره یتبع الاسم.

والنساء وطْأً ولمساً [وتقبیلًا ونظراً] (۷) بشهوة لا بدونها، وعقداً له ولغیره.

والطیبُ علی العموم أکْلًا ولمْساً وتطیّباً (۸)، وإن کان المحرِم میتاً- ولا

۱- ۱ من «ک، ر».

۲- ۲ حقیقة أو حکماً ولو بین الحاکی. فحیث لم یحک اکتفی به عن ثوب. وکذا فی الکفن. حاشیة «ش».

۳- ۳ من «ر».

۴- ۴ من «ش».

۵- ۵ الدلالـة أعمّ من الإشارة مطلقاً لتحقّقها بالإشارة والکتابة والقول وغیرها، واختصاص الإشارة بأجزاء البدن، کالید والعین والرأس. «مسالک الأفهام: ۲/ ۲۴۸».

۶- ۶ والجَرَادُ فی معنی الصّید البَرِّیِّ. «شرائع الإسلام: ۱/ ۲۴۹».

۷- ۷ من «ر»، وفی «ش»: ونظراً.

۸- ۸ فی خ ل «ش»: وتطییباً.

ص: ۲۳

بأْسَ بخَلوقِ (۱) الكعبة، والاكتحال بالسّواد، وبما فيه طِيبٌ.

وإخراجُ الدَّمِ اختياراً، وقصُّ الأظفارِ، وإزالة الشعر وإنْ قلَّ اختياراً، والنظرُ فى المِرآة، والادّهانُ اختياراً وإن لم يكن الدهْن مطيّباً، وبالمطيّب قبلَ الإحرام إذا كانت رائحته تَبْقى.

وقطعُ الشَّجر والحشيش الأخضَرَين النّابتين فى الحَرَم إلّافى ملكه، والإذخِر (۲)والَمحَالَة وعُودَيها (۳)، وشجَر (۴) الفواكِه.

والكذِبُ [على اللّه] (۵)، والجِدالُ، وهو قولُ: لا واللّه، وبَلَى واللّه (۶).

وقتلُ هَوَامِّ الجَسَد (۷) كالقمل، وكذا إلقاؤه.

ولُبس المَخِيط للرجل [والخنثى] (۸)، والخُفَّين، وما يسترُ ظَهر القَدَم له، فإن اضطُرَّ شقّه [وجوباً] (۹). والخَاتَم للزِّينة، والحَلْى للمرأة، إلّاأن تكون معتادة فيحرمُ إظهارُهُ للزَّوج.

والحِنّاء للزِّينة، وتغطية الرأس للرجل ولو بالارتماس، والوجه للمرأة، والتظليل للرجل (۱۰) سائراً [اختياراً] (۱۱) على الأصحّ.

وكذا لُبسُ السِّلاح، وشمّ الرَّياحين.

الثانى: الطواف حول الكعبة الشريفة سبعة أشواط.

وهو صلاة إلّافى تحريم الكلام كما ورد به النقل.

ويجب فيه امور:

الأوّل: الطهارة من الحدث ولو اضطراريّه، ومن الخبث بأنواعه، وهل يعفى عمّا يُعفى عنه فى الصلاة؟ [فيه] (۱۲) قولان، أظهرهما العفو، ولو طاف جاهلًا بالنجاسة أجْزأ.

الثانى: ستر العورة الواجب سترها فى الصلاة، ويختلف باختلاف الطائِف.

الثالث: الختان فى الرجُل المتَمكِّن خاصّة، وكذا الخُنْثى.

الرابع: النيّة: أطوفُ سبعة أشواطٍ فى العُمرة المتمتَّع بها إلى حَجِّ الإسلامِ حَجّ التمتّع لوجوبه قُربة إلى اللّه.

الخامس: مقارنتها لأوّل الشروع فيه، وإنّما يتحقّق بمحاذاة أوّل جزء من مقاديم البدَن؛ كطرَفِ الأنف، أو البطن لِمَن كان كبيره لأوّل الحجر علماً أو ظنّاً يمرّ (۱۳) عليه كلّه، ولا يشترط استقباله ثمّ الانحراف، بل يجوز جَعْله عَلَى

۱- ۱ الخَلوق- بفتح الخاء-: أخلاط خاصّة من الطيب، منها الزعفران. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۵۳».

۲- ۲ فى «ش»: إلّاالإذخِر. والإذخر: حشيش طيّب الريح، أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولمان، واحدتها إذْخِرَة. «لسان العرب: ۴/ ۳۰۳- ذخر-».

۳- ۳ المَحالة- بفتح الميم؛ وقيل: بكسرها-: البَكْرَةُ العظيمة، وعوداها: اللذان يُجعل عليهما ليُستقى بها. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۶۷».

۴- ۴ فى «ر»: وشجرة.

۵- ۵ من «ك».

۶- ۶ وقيل: يتعدّى إلى كلّ ما يسمّى يميناً. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۵۸».

۷- ۷ الهوامّ- جمع هامّة-: وهى دوابّه. انظر الصحاح: ۵/ ۲۰۶۲.

۸- ۸ من «ش، ر». ويلحق بالمخيّط ما أشبهه؛ كالدرع المنسوج، وجُبَّة اللّبد، والملصق بعضه ببعضٍ. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۵۵».

۹- ۹ من «ش».

۱۰- ۱۰ يتحقّق التَّظليل بكون ما يُوجب الظِّلَّ فوق رأسِهِ، كالَمحْمِلِ؛ فلا يقدحُ فيه المَشى فى ظلِّ الَمحْمِل ونحوه، عندمَيْلِ الشّمس إلى أحد جانبيه. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۶۴- ۲۶۵».

۱۱- ۱۱ من «ك، ر».

۱۲- ۱۲ من «ش، ر».

۱۳- ۱۳ فى «ك، ر»: ليمرّ.

ص: ۲۴

الیَسَارِ ابتداءا.

السادس: الحَرکة الذاتیّة أو العرضیّة مقارنةً للنیّة.

السابع: اسْتِدامتها حکماً- بمعنی أن لا یْحدث (۱) نیّة تنافی الاولی-.

الثامن: جعل البیت علی الیسار.

التاسع: إدخال الحِجَر.

العاشر: جَعل المقام علی الیمین، ویجب أن یراعی مقدار ذلک من (۲) کُلّ جانب، والدنوّ من البیت أفضل.

الحادی عشر: خروج جمیع البَدَن عن البیت، فلو مشی علی الشَّاذروان- وهو أساس البیت قدیماً-، أو کان یمسّ الجِدار بیده من جانب الشَّاذروان [لم یصحّ] (۳).

الثانی عشر: إکمال العَدَد.

الثالث عشر: حفظه، فلو لم یحصل العَدَد أصلًا، أو شکّ فی النقیصة مُطلقاً، أو فی الزیادة قبل بلُوغ الرُّکن بَطَل.

الرابع عشر: الختم بموضع البَدَاءة من الحَجَر، فلو زاد علیه متعمّداً بَطَل، وناسیاً یتخیّر فی الإکمال سبعاً، والقطْع إنْ بلغ فی الشَّوط الزاید الحجر، وإلّا قَطَع وجوباً، فإن أکمله فالثانی نَفل (۴).

الخامس عشر: الموالاة، وتتحقّق بإکمال أربعة أشواط، فإنْ قَطَعه قبلَها استأنف وإن کان لضرورة، وإلّا أتمّ (۵)، ولا یجوز القطع مطلقاً، إلّا لحاجة له ولغیره، ودخول البیت، ونحو ذلک (۶).

ویحْرم الطواف للعُمرة وعلیه بُرْطُلّه، [وهی قَلَنْسُوة طویلة کانت تُلبس قدیماً، وروی أنّها من زیّ الیهود] (۷) وکذا کلّ طوافٍ یحرم ستر الرأس فیه.

ویجوز الاخْلاد إلی الغَیْر فی العَدَد بشرط کونه بالغاً لا ذکراً (۸)، وفی اشتراط العدالة نَظَر.

ولو حاضَت قبل إتمام (۹) أربعة أشواط من طواف العُمرة انتظرت الوقوف، فإن ضاق الوقت [ولم تطهر] (۱۰) بطلت مُتعتها ووقفت وصارت حجّتها مفردة، وتعتمر بَعْدَ ذلک.

وتجبُ رکعتا الطواف، ومحلّهما (۱۱) المقام فی البناء المعدّ لذلک الآن، فإن مَنَعَه زحام صلّی خلفه أو إلی جانبیه، ووقتهما عند الفراغ منه، وهما کالیومیّة، ولا جَهْر فیهما ولا إخفات حتماً، ولا

۱- ۱ فی «ر»: بمعنی أنّه لا یجدّد.

۲- ۲ فی «ک»: فی.

۳- ۳ من «ک، ش».

۴- ۴ فی «ر»: فعل.

۵- ۵ فی «ر»: أثم.

۶- ۶ فی «ک، ر»: إلّالحاجة ونحوها.

۷- ۷ من «ش».

۸- ۸ فی «ر»: یشترط کونه بالغاً ذکراً.

۹- ۹ فی «ک»: تمام.

۱۰- ۱۰ من «ش».

۱۱- ۱۱ فی «ک»: ومحلّها، وفی «ش»: ومحلّهما خلف المقام.

ص: ۲۵

أداء فیهما ولا قَضاء (۱).

ولو نسیهما رجع فأتی بهما فی المقام، فإنْ تعذّر فحیث شاء من (۲) الحَرم، فإنْ تَعَذّر فحیث أمکن من البقاع، فإنْ ماتَ قضاهما الوَلیّ.

ونیّتهما: اصلّی رَکعتی طواف العُمرة المتمتّع بها إلی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لِوجوبهما قربةً إلی اللّه.

الثالث: السعی.

وهو لغةً: السرعة فی المشی، وشرعاً: الحرکات المعهودة من الصَّفا إلی المَروة وبالعکس للقُربة.

ویعتبر فیه امور:

الأوّل: النیّة: أسعی سَبعةَ أشواط بین الصَّفا والمَروَة للعُمرة المتمتّع بها إلی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه.

الثانی: مقارنتها للصَّفا، إمّا بأن یصعد علیه فی أیّ جزءٍ منه (۳)، أو بأنْ یلصق عقبه (۴) به، وإذا عاد ألصَقَ أصابعه، وکذا یصنع فی المَرْوَة.

الثالث: الاستِدامة حکماً- وقد مرَّ تفصیلها (۵)-.

الرابع: الحَرَکة مقارنةً للنیّة.

الخامس: الذّهاب بالطّریق المعهودة (۶)، ویختم بالمَروَة کما قدّمناه.

السادس: إتمام السبعة، من الصَّفا إلیه شوطان (۷).

السابع: استقبال المطلوب فلا یمشی القَهقَری (۸).

الثامن: إیقاعه بعد الطَّواف والرَّکعتین.

التاسع: عدم الزیادة عمداً فیبطل بها حینئذٍ، لا سَهواً، ولو لم یحصل العَدَد أو شکّ فی المَبْدأ وکان فی المزدوج علی المَرْوَة، أو فی (۹) الفرد علی الصَّفا، أعاد دون العکس فیهما.

العاشر: الموالاة کالطَّواف احتیاطاً، والمُعتمد جواز البناء ولو علی شَرط.

الحادی عشر: إیقاعه فی یوم الطَّوافِ وجوباً علی المشهور، ولیس شرطاً فی الصّحة.

الرابع: التقصیر، وهو إبانة مُسمّی الشعر أو الظّفر، وبه یتحقّق [فیها] (۱۰) الاحلال من إحرام العُمرة المتمتّع بها، أمّا المفردة (۱۱) فلا یتحقّق فیها الاحلال التامّ [إلّا] (۱۲)بالطَّواف للنساء ورکعتیه بَعْده، وواجبه ثلاثة:

۱- ۱ ونیّتهما هکذا: اصلّی رکعتی الطواف؛ طواف عمرة الإسلام، عمرة التمتّع أداءً، لوجوبه قربةً إلی اللّه «نیّات الحَجّ والعمرة: ۸۷».

۲- ۲ فی «ک»: فی.

۳- ۳ بحیث یری البیت من بابه، ویحصل ذلک بالدرجة الرابعة. «مسالک الأفهام: ۲/ ۳۵۶».

۴- ۴ فی «ر»: عقبیه.

۵- ۵ فی «ک، ر»: تفسیرها.

۶- ۶ فی «ک»: الطریق المعهود. فلو اقتحم المسجد الحرام ثمّ خرج من باب آخر لم یجز. «مدارک الأحکام: ۸/ ۲۰۷».

۷- ۷ فی «ک»: إتمام السبعة من الصفا إلیه شوطاً.

۸- ۸ القَهْقَری: المشی إلی خلف من غیر التفات بالوجه. «مسالک الأفهام: ۲/ ۳۵۸».

۹- ۹ فی «ش» وفی.

۱۰- ۱۰ من «ر».

۱۱- ۱۱ فی «ک»: المنفردة.

۱۲- ۱۲ من «ک، ش».

ص: ۲۶

الأوّل: النیّة: اقصّر للاحلال من إحرام العُمرة المتَمتّع بها إلی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قُربةً إلی اللّه.

ویجب فیها المقارنة للفِعل والاستدامة حکماً إلی الفَراغ.

الثانی: کونه بمکّة، ولا یجب کونه علی المَروة وإن استحبّ.

الثالث: تقدیمه علی إحرام الحَجّ، فلو أهلّ (۱) قبلَه عامِداً انقلبت [عُمْرته] (۲) حجّة مُفردة علی الأصحّ، لروایة أبی بصیر عن أبی عبداللّه علیه السلام (۳)، وساهیاً یقع ولا شیء علیه، وجَبَره بشاة أفضل.

وأمّا الجاهل ففیه وجهان، أوجَههما إلحاقه بالعامِد. ویتعیّن التقصیر فی عُمرة التمتّع فلا یجزئ الحَلْق عنه بخِلاف المفرَدَة. والواجب إزالة الشَعْر بحَدیدٍ، أو نُورة، أو نَتف أو قَرض بالسِّنّ.

الفصل الثانی: فی أفعال الحَجّ

وفیه مباحث:

الأوّل: الإحرام، ولا فرق بین إحرام العُمرة والحَجّ إلّابالنیّة (۴)، فینوی:

احرِم بحَجّ الإسلام حَجّ التمتّع، والبّی التلبیات الأربع لعقد هذا الإحرام، لوجوب الجمیع قربةً إلی اللّه لبّیک إلی آخرها.

ومحلّه للمتمتّع مکّة، وأفضله (۵) المسجد، وخلاصته المقام (۶) أو تحتَ المِیزاب، ولو تعذّر أحْرَم حیثُ أمکن (۷) ولَوْ بعَرَفَة.

وإحرام القَارِن والمفرِد من مِیقات عُمرة التمتّع، أو من دُوَیْرَةِ أهْلِهِ إنْ کانَت أقْرب [إلی مکّة] (۸). ولا یبطل بزوال الشمس یوم الترویة (۹) أو یوم عَرَفة قبلَه، بل ولا بغُروبها لا عامِداً، إذا أدرک المَشْعر اختیاریّاً أو اضطراریّاً مع اضطراریّ عَرفة (۱۰) علی الأصَحّ، لکن یُستَحبّ إیقاعه بَعد ظُهر التَّرْویة.

ولا یجوز له الطّواف بعد الإحرام حتّی یَرجع من مِنی، فإن طافَ ساهیاً لم ینتقض إحْرامه، وقال الشیخ: یجدّد التلبیة لیعقد بها الإحرام [والأصحّ الاستحباب] (۱۱). أمّا القارِن والمفرِد فیجوز لهما الطّواف.

[فائدة: لمّا کان موضع إحرام عمرة التمتّع والحجّ للقارن والمفرد واحداً وهو المیقات المعیّن شرعاً، أو منزل ذلک

۱- ۱ أحْرَمَ. حاشیة «ش».

۲- ۲ من «ک، ش».

۳- ۳ موسی بن القاسم، عن صفوان، عن إسحاق بن عمّار، عن أبی بصیر، عن أبی عبداللّه علیه السلام قال: المتمتّع إذا طافوسعی ثمّ لبّی قبل أن یقصّر فلیس له أن یقصّر، ولیس له متعة. تهذیب الأحکام: ۵/ ۱۵۹ ح ۵۲۹، الاستبصار: ۲/ ۲۴۳ ح ۸۴۶، جامع المقاصد: ۳/ ۲۱۲.

۴- ۴ فی «ر»: بالتلبیة.

۵- ۵ فی «ش»: وأفضلها. وفی الأفضل منهما خلاف، ورجّح فی الدروس المقام، وهو خیرة مختلف الشیعة، وهو الأصحّ. حاشیة «ش».

۶- ۶ کذا اختاره الشهید فی الدروس: ۹۵.

۷- ۷ إلّلی هنا تنتهی نسخة «ر».

۸- ۸ من «ش».

۹- ۹ هو الیوم الثامن من ذی الحجّة، سمّی بذلک لأنّ الناس کانوا یتروّون فیه الماء ویحملونه إلی عرفة. انظر: علل‌الشرائع: ۴۳۵ ح ۱.

۱۰- ۱۰ فی «ک»: عزمه. وهو تصحیف.

۱۱- ۱۱ من «ش».

ص: ۲۷

المکلّف إن کـان منزله أقرب إلی مکّة من المیقـات وجب تعیین المواقیت وهی سـتّة؛ فلأهل المدینـة ذو الحلیفـة (۱) وأفضله مسجد الشـجرة وتعینه للاـحرام منه أحوط، ولأهـل الشـام ومصـر الجحفـة، ولأهـل الیمن یلملم، ولأهل الطائف قرن المنازل- بسـکون الراء-، ولأهل العراق العقیق (۲) وأفضله المسلح (۳) وأوسطه غمرة (۴)، وآخره ذات عرق، ومن کـان منزله أقرب فالمیقـات منزله، ومیقات العمرة المفردة خارج الحرم ولو سـلک طریقاً بین میقاتین أحرم إذا حاذی أحـدهما فی برّ أو بحر، فإن بیّن تقـدّمه أعاد وإلّا أجزأ، ولو لم یحاذ میقاتاً ففی إحرامه من أدنی الحلّ إلی الحرم أو مساواة أقرب المواقیت إلی مکّة وجهان أحوطهما الثانی] (۵).

[البحث] (۶) الثانی: الوقوف بعَرَفَة، ومعناه الکَون بها یوم التاسع، ووقته من زوال الشـمس إلی غُروبها ناویاً فیه: أقِفُ بعَرَفَة إلی غروب الشـمس فی حَجّ الإسـلام حَجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه، ویجب استِدامتها حکماً إلی آخره، ویجزِئ مُسمّی الکَون وهو الرکن، وإن أثم بالإفاضَة قَبلَ الغُروب (۷).

ولا یقِف بنَمِرَة وثَوِیَّة وذی المَجَاز والأرَاک (۸) فإنّها حدود.

ویُستحبّ ضرب الخِبَاء (۹) بنَمِرة.

ویشترط السَّلامة من الجنون، والإغماء، والسّکر، والنَّوم فی جزءٍ من الوقت. ولوْ أفاضَ قبل الغروب عامداً عالِماً لم یبطل حجّه، ووجب علیه بدنة (۱۰). ولو تعذّر الوقوف [بها] (۱۱) نهاراً أجزأ (۱۲) لیلًا. والواجب فیه مسمّی الکون، وهو صالح للمَشْعر أیْضاً.

الثالث: الوقوف بالمَشْعَرِ (۱۳)، ویجب المَبِیت به لیلـة العاشـر ناویاً أوّل المَبیت: أبیتُ هـذه اللیلة بالمَشْـعَرِ فی حَجّ الإسـلام حَجّ التمتّع لوجوبِهِ قربةً إلی اللّه.

وهذا الوقوف فیه شائِبَة الاضطراریّ، أمّا الاختیاریّ المحض فمن طلوع فجر النَّحر إلی طلوع الشَّمس.

والواجب الکون (۱۴)، والرّکْنُ هو مسمّی الکون فی هذا الوقت إن لم یکُن وَقَفَ (۱۵) لیلًا، لکن لو أفاضَ قبل

۱- ۱ وهو بضمّ الحاء وفتح اللام: موضع علی ستّة أمیال من المدینة. حاشیة «ش».

۲- ۲ هو واد وکلّه میقات، فمن أیّ موضع منه أحرم صحّ، صرّح به جماعة. حاشیة «ش».

۳- ۳ لم نقف علی شـیء نعتمـد علیه فی ضـبط الحاء المهملـة والمعجمـة. حاشـیة «ش». وقـد قیل: إنّه بالسـین والحاء المهملتین واحد المسالح، وهو المواضع العالیة، وبالخاء المعجمة لنزع الثیاب به. «الروضة البهیّة: ۲/ ۲۲۵».

۴- ۴ لم نجد فی کون المیم ساکناً أو غیره شیئاً نعوّل علیه. حاشیة «ش».

۵- ۵ ما بین المعقوفین من «ش».

۶- ۶ من «ش».

۷- ۷ فی «ش»: وهو رکن، فإن أخلّ أثم.

۸- ۸ وکذلک عُرَنَة، فهذه الأماکن الخمسة حدود عَرَفة. والأراک: شجر یُسْتَاکُ بقُضْبانه- أی: یُؤْخَذُ مِنْهُ السِّواک-، له حملٌ کَعَناقِیدِ العِنَبِ، یملأ العُنقُودُ الکفَّ. والمراد به هنا: مَوْضِعٌ بعَرَفَة، مِن ناحِیَةِ الشَّام قُرْبَ نَمِرَة.

۹- ۹ الخِبَاء: الخیمة، ونحوها.

۱۰- ۱۰ فی «ش»: وجبره ببدنة.

۱۱- ۱۱ من «ش».

۱۲- ۱۲ فی «ش»: أجزأه.

۱۳- ۱۳ حدّه ما بین المَـأزمَیْن إلی الحیاض إلی وادی محسِّر. «شـرائع الإسـلام». والمَأزِمَان: مضِـیقٌ بین جَمْعٍ وعَرَفَهٔ، وآخر بین مکّهٔ ومِنی. «معجم البلدان: ۲/ ۱۶۳، وج ۵/ ۴۰».

۱۴- ۱۴ فی «ک»: الکلّ.

۱۵- ۱۵ فی «ک»: إن کانَ قَد وَقَفَ.

ص: ۲۸

الفَجْر [عامداً] (۱) عالماً وجَبَ علیه شاة.

والاضطراریّ المحض من طلوع الشمس إلی زوالها، والواجب فیه المُسمّی. ولو أفاضَ قبل طُلوع الشَّمس فلا یُجاوز إلی وادی مُحَسِّر (۲) إلّابعد طلوعها، فإنْ فَعَلَ أثم وَلَا کفّارة.

وتجب فیه النیّة مقارنة لأوّل الفجر:

أقفُ بالمَشْعَر من طُلوع الفَجر إلی طُلوع الشَّمس فی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه.

الرابع: نزول مِنی (۳) یوم النَّحْر للرَّمی والذَّبح والحَلْق، وتجب مُراعاة (۴) هذا الترتیب فإن خالف أثم وَلم یبْطل ما فَعَلَهُ (۵).

والواجب فی یوم النَّحر [هو] (۶) رمْیُ جَمَرَة العَقَبَة بسبع حَصیات من (۷) الحرَم إلّا (۸) المساجد، ویجب أن تکون أبکاراً، ویُستحبّ أن تکون بُرشاً (۹)، منقّطَة ملتقطة (۱۰) رخْوة کُحْلیّة (۱۱)، بما یُسَمّی رَمْیاً. ویُشترط الإصابة بفِعْلِهِ مباشرة بیدهِ، فلا تجوز (۱۲) الاستنابة إلّامع الضّرورة.

ووقتهُ ما بین طلوع الشمس إلی غروبها، وفضیلته من الطُّلوع إلی الزَّوال. ویقضی لو فات مقدّماً علی الحاضِرِ (۱۳)، ویخرج وقته بخروج أیّام التشریق إلی قابِل.

ونیّته: أرْمِی هذه الجمْرَة بسبْع حَصَیات فی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع أداءً لوجوبه قُربةً إلی اللّه، وکذا یصنع فی رمی الجَمْرات الثّلاث فی کلّ یوم من أیّام التشریق، وهی الحادی عشر والثانی عشر والثالث عشر، مُرتّباً یبدأ بالاولی، ثمّ بالوسطی، ثمّ بجَمْرة العَقَبة، فلو نکس أعادَ علی ما یَحْصل معه التَّرتیب.

ویحصل بأربع إذا لم یکن عامداً فیتمّ ما بقی، ولو تعمّد أو لَمْ (۱۴) یبلغ الأرْبَع أعاد، إلّاإنّه یُعید مطلقاً مع عدم بلُوغها، ویُعید علی ما بَقِیَ من الجَمْرَات دون التی رَماها أرْبعاً، فَیَقْتَصِر علی إتمام رَمْیها.

ویجب ذبح الثَّنِیّ من النِعَم الثلاثة (۱۵)، ویجزئ من الضَّأْن الجَذَع [لِسَنَتِهِ] (۱۶)، وهو ما کَمل لَهُ سبعة أشهر، والثنیّ من الإبل [وهو] (۱۷) ما دخل فی السادسة، وفی غیرها ما دَخَلَ

۱- ۱ من «ک».

۲- ۲ محسِّر: موضع بمنی. «الصحاح: ۲/ ۶۳».

۳- ۳ سمّی المکان المخصوص بذلک لأنّ جبرئیل علیه السلام قال هناک لإبراهیم علیه السلام: تمنّ علی ربّک ما شئت. انظر علل الشرائع: ۴۳۵ ب ۱۷۲ ح ۱.

۴- ۴ فی «ک»: رعایة.

۵- ۵ فی «ک»: ولم یبطل فعله.

۶- ۶ من «ک».

۷- ۷ فی «ک»: فی.

۸- ۸ فی «ش»: لا.

۹- ۹ المراد اختلاف ألوآنها والفرق بین البرش والمنقّطة- مع اشتراکهما فی اختلاف الألوان- أنّ الاختلاف فی الأوّل فی جملة الحصاة، والثانی فی الحصاة نفسها، ویجوز العکس. «مسالک الأفهام: ۲/ ۲۹۰».

۱۰- ۱۰ أى أن يكون كلّ واحدة منها مأخوذة على حدتها من الأرض.

۱۱- ۱۱ أى لا تكون بيضاً ولا سوداً ولا حمراً. «مسالك الأفهام: ۲/ ۲۹۰».

۱۲- ۱۲ فى «ك»: فلا تُجْزِئ.

۱۳- ۱۳ فى «ش»: الواجب.

۱۴- ۱۴ فى «ش»: وَلَمْ.

۱۵- ۱۵ أى: الإبل، أو البقر، أو الغنم.

۱۶- ۱۶ من «ك».

۱۷- ۱۷ من «ك».

ص: ۲۹

فی الثانیة.

ویُشترط تمام (۱) الخلْقة والصِّحّة (۲)، وأن یکون علی کُلْیَتیه شَحم، ویکفی الظَّنّ وإنْ ظهر بعد الذَّبْح خِلافه ولا یجزئ المَعِیب، وتَجِب الصَّدقَة بثُلثِهِ، وإهداء ثُلثه، والأکل ناویاً عند ذبحهِ: أذبَحُ هذا الهدْی فی حَجّ الإسْلام حَجّ التمتّع لوجُوبِهِ قُربةً إلی اللّه.

ویُسْتحبّ مباشَرَة الذَّبْح إن أحْسَنه، وإلّا جَعَلَ یده مع ید الذَّابِح، وینوی فی الصَّدقة والاهْدَاء والأکل: أتصدّق، أو أهْدی ثلث هَدْی حَجّ الإسلام [أو آکل من هدی حجّ الاسلام] (۳) حَجّ التمتّع لوجُوبه قُربةً إلی اللّه.

ویشترط فی المهدی إلیه الایمان، وفی محلّ الصَّدقة [الایمان و] (۴) الفَقْر معهُ، ولا ترتیب فی الأقسام.

ویجب حَلْق الرَّأس أو التقصیر کما سبق مقارناً للنیّة: أحْلق أو أُقصِّر للإحلال من إحرام حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قُربةً إلی اللّه. واستِدامتها حکماً إلی آخِرِ الفِعْل.

ویتعیّن علی المرأة والخُنْثی التقصِیر (۵)، ومن لیس علی رأسه شَعْر یُجْزئه إمرار المُوس علی رأسه (۶).

ولا یخرج عن مِنی حتّی یأتی بالثَّلاثة فی ذی الحِجّة، فإنْ رَحَلَ (۷)رجَعَ للذَّبح والحَلق بها طوله، فإن تعذّر استنابَ فی ذبح الهدی وحلق مکانه واجباً وبعثَ بالشَّعر لیُدفَن بها ندباً.

وأمّا الرَمی فیفوت وقته بخروج الثالث عشر کما سبق.

وبالحَلق یتحلّل من المحرّمات إلّا الطِّیبَ والنِساءَ والصَّیدَ، ثمّ یتحلّل من الطّیب بطواف الزِّیارة والسَّعی علی الأقوی، فإذا طاف للنساء حَلَلْن له، وبطوافِهِنّ یَحلّ الصَّید الّذی حَرُم بالإحْرام.

الخامس: العَوْد إلی مکّة للطوافین والسّعی، ویسمّی الأوّل طواف الحَجّ، وطواف العَوْد، وطواف الزِّیارة، وطواف الرّکْن، وطواف الصَّدْر (۸).

وکیفیّة الجمیع کما سبق إلّافی النیّة، فینوی هنا: أطُوفُ سبعة أشواط طواف حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبِهِ قربةً

۱- ۱ فی «ک»: ویشترط فیه إتْمام.

۲- ۲ فلا یُجزی العَوْراء، ولا العَرجاء البیِّنُ عَرَجُها، ولا الّتی انکسَرَ قرنُها الدَّاخلُ، ولا المقطوعة الاذُن، ولا الخَصِیُ من الفُحُول. «شرائع الإسلام: ۱/ ۲۶۰».

۳- ۳ من «ش».

۴- ۴ من «ش».

۵- ۵ وَیَجزِیهُنَّ مِنْهُ ولو مِثْل الأَنْمُلَة. «شرائع الاسلام».

۶- ۶ استحباباً، وینبغی أن لا یجزیه عن التقصیر، قاله المصنّف فی حاشیة الارشاد. حاشیة «ش».

۷- ۷ فی «ک»: أحلّ.

۸- ۸ أی الرجوع.

ص: ۳۰

إلی اللّه، اصلّی رَکْعتی طواف حج الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبهما قربةً إلی اللّه، أسعی سبعة أشواط سَعی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه، أطوفُ سبعة أشواط طواف النساء فی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه، اصلّی رَکْعتی طواف النساء فی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لوجوبِهما قربةً إلی اللّه.

السادس: العَوْد إلی مِنی للمَبیت بها لیالی التشریق الثلاث، ویجوز لمن اتّقی الصّید والنساء (۱) النَّفر فی الثانی عشر، فسقط المبیت لیلة الثالث عشر ورَمْیه، إلّاأن تَغْرب الشمس وهو بمِنی.

ویجزئ فی المبیت الکَوْن بها إلی نصف اللیل، ولو باتَ بغیرها فعن کلّ لیلةٍ شاة، إلّاأن یبیتَ بمکّة مشتغِلًا بالعِبادة، واجبة کانت أوْ مستحبّة فلا شیء، ولا فَرق بین خُروجهِ حینئذٍ من مِنی قبل غروب الشمس أو بعده.

ویجب استیعاب اللیلة بالعِبادة إلّاما یضطرّ إلیه من أکلٍ أو شربٍ، أو نومٍ یغلب علیه.

وحدّ مِنی من العَقَبة إلی وادی مُحَسِّر.

ویجب فی المبیت النیّة مقارنة لأوّل اللیلة مُسْتدامة الحکم: أبیتُ هذه اللیلة بمِنیً فی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع لِوجوبه قُربةً إلی اللّه.

والمفرِدُ والقارِنُ یُحْرِمان من المیقات بالحَجّ، ویأتیان بأفعال الحجّ إلی آخرها، وبعد الفراغ یأتیان بعُمْرةٍ مفْردةٍ.

والفرق بینهما أنّ المفرِد لا یقرن بإحرامه هَدْیاً بخِلاف القارِن، وحینئذٍ فیذبحه أو ینحره بمِنی إذا قَرن به إحرام الحَجّ، ویقسمه أثلاثاً کَهْدی التمتّع.

ولو کان نائباً أضافَ إلی نیّته فی کُلّ فعلٍ: نیابةً عن فُلان، ولو قالَ:

«لوجوبه (۲) علیه بالأصَالة وعلیَّ بالنیابة» کان أکمل، فینوی فی إحرامهِ:

احرم بالعُمْرة المتَمتّع بها إلی حَجّ الإسلام حَجّ التمتّع، والبّی التلبیات الأربع- إلی آخره (۳)- نیابةً عن فُلان لِوجوبِ الجمیع علیه بالأصالة وعَلیَّ بالنیابة قُربةً إلی اللّه لبّیک [اللّهمّ لبّیک] (۴) إلی آخره-.

وکذا یَفْعَل (۵) فی باقی المناسِک.

۱- ۱ المراد باتّقاء النساء عدم إتیانهنّ فی حال الاحرام بمعنی عدم الجماع لا مطلق ما یحرم علی المحرم ممّا یتعلّقبهنّ کالقبلة واللمس بشهوة علی ما ورد فی لفظ الحدیث وعبارة العلّامة فی المنتهی والتذکرة. أمّا الحدیث فالمرویّ عن الصادق علیه السلام: مَن أتی النساء فی إحرامه لم یکن له أن ینفر فی النفر الأوّل [الوسائل: ۱۰/ ۲۲۵ ح ۱]. وأمّا عبارة التذکرة: [۱/ ۳۹۴] فهی قوله إنّما یجوز النفر فی النفر الأوّل لمن اتّقی النساء والصید فی إحرامه فلو جامع فی إحرامه أو قتل صیداً فیه لم یجز له أن ینفر فی الأوّل. ومثلها عبارة المنتهی، ولأنّ المتبادر إلی الفهم من اتّقاء النساء وعدمه وهو مجانبة الوطی وعدمها، وکذا الظاهر انّ المراد من اتّقاء الصید عدم قتله کما هو ظاهر عبارة التذکرة والمنتهی أیضاً ویحتمل العموم فی کلّ من الأمرین والأصل یدفعه. وفی بعض الأخبار اعتبار جمیع محرّمات الاحرام واختاره ابن إدریس، والمشهور الأوّل، والاتّقاء معتبر فی إحرام الحجّ قطعاً، وفی إحرام عمرة التمتّع فی وجه قویّ لأنّها جزء من الحجّ، وهل یفرّق بین العامد والناسی فی الأمرین معاً فیکون الناسی متّقیاً أم فی النساء فقط إذ لا شیء علی الناسی لو جامع بخلاف قتل الصید سهواً أم لا.... فیهما؟ فیه أوجه، ولم أظفر فی ذلک بکلامٍ للأصحاب، إلّاأنّ المتبادر من الاتّقاء عدم المواقعة، والعمد والنسیان متصوّر إلیهما. حاشیة «ش».

۲- ۲ فی «ش»: لوجوب الجمیع.

۳- ۳ فی «ش»: «للحجّ» بدل «إلی آخره».

۴- ۴ من «ش».

۵- ۵ فی «ک»: الفِعل.

ص: ۳۱

خاتمة

[فیها بحثان:] (۱)

[الأوّل:] (۲) یستحبُّ للحاجِّ زیارةُ النبیّ صلی الله علیه و آله بالمدینة استحباباً مؤکّداً، وکذا یستحبّ لغیرهِ. ویجبر الإمامُ (۳) النّاسَ علی ذلک لو تَرَکوه (۴) لما فیه من الجَفَاءِ الُمحرَّم، کما یُجبرون علی الأذان.

وقد رویَ أنّه صلی الله علیه و آله قال: «مَنْ أتی مکّة حاجّاً ولم یَزرنی إلی المدینة جَفَوتهُ یوم القیامة، ومَنْ أتانی زائراً وجَبَتْ له شفاعتی، ومن وَجَبَتْ له شفاعتی وَجَبَتْ له الجنّة» (۵).

ویستحبُّ زیارة فاطمة علیها السلام فی بیتها و [فی] (۶) الرَّوضة والبقیع (۷)، قالت علیها السلام: «أخبرَنی أبی: أنّه مَنْ سَلّم عَلیه وعلَیَّ ثلاثة أیّام أوْجبَ اللَّه له الجنّة».

قیل لها: فی حیاتکما؟

قالت: «نعم، وبعد موتنا» (۸).

ویُستحبّ زیارة الأئمّة الطاهرین علیهم السلام،- [فی البقیع، وهم:

الحسن وزین العابدین والباقر والصادق- صلوات اللَّه علیهم.

روی] عن الباقر علیه السلام (۹) [أنّه قال] (۱۰): «ابْدَؤُا بِمَکّة واختِمُوا بنا» (۱۱).

وعنه علیه السلام أنّه قال: «إنّما امِرَ الناس أن یأتوا هذه الأحجار، فیطُوفوا بها، ثُمَّ یأتُونا فیخبِرُونا بولایتهم، ویعرضُوا علینا نَصْرَهم» (۱۲).

وعن أبی عبداللَّه علیه السلام: «مَنْ زار إماماً مُفْتَرَض الطاعة کان له ثواب حجّة مبرورة» (۱۳).

وعن الامام الرضا صلوات اللَّه علیه: «انّ لِکلّ إمامٍ عهْداً (۱۴) فی أعناق أولیائِهِ وشیعتهِ، وإنّ من تَمام الوفاء بالعَهْد وحُسن الأداء زیارة قبورهم، فمن زارَهُم رَغبةً فی زِیارتهم وتصدیقاً بما رَغبوا فیه کانت أئمّتهم شُفعاءَهم یوم القیامة» (۱۵). (۱۶) البحثُ الثانی:

[فی قولٍ وجیز] (۱۷) فی بیان شیءٍ من کفّارات الإحرام:

فأمّا الصَّید فمنه ما لِکفّارته بدل علی الخُصوص کالنعامة فإنّ فیها بدنة، فإن عجَزَ عنها فضّ قیمتها عَلی البرّ وأطعم کلّ مسکین نصف صاع، فإنْ زادت عن

۱- ۱ من «ش».

۲- ۲ من «ش».

۳- ۳ فی «ش»: الإمام علیه السلام.

۴- ۴ فی «ش»: ذلک بمکّة.

۵- ۵ الکافی: ۴/ ۵۴۸ ح ۵، کامل الزیارات: ۱۳ ح ۹، من لا یحضره الفقیه: ۲/ ۵۶۵ ح ۳۳۸، علل الشرائع: ۴۶۰ ح ۷، التهذیب: ۶/ ۴ ح ۵، البحار: ۱۰۰/ ۱۴۰۰ ح ۵ و ۶.

۶- ۶ من «ش».

۷- ۷ وسبب خفاء قبرها علیها السلام دفن علیّ علیه السلام لها لیلًا من غیر أن یشعر بها أحداً، فینبغی زیارتها فی المواضع الثلاثة، وأفضلها بیتها، وأبعد الاحتمالات کونها فی الروضة. «مسالک الأفهام: ۲/ ۳۸۳».

۸– ۸ التهذیب: ۶/ ۹ ح ۱۸، عنه البحار: ۱۰۰/ ۱۹۴ ح ۹. وأورده فی مناقب ابن شهر آشوب: ۳/ ۳۶۵.

۹– ۹ ما بین المعقوفین أثبتناه من «ش».

۱۰– ۱۰ من «ش».

۱۱– ۱۱ الکافی: ۴/ ۵۵۰ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲/ ۵۵۸ ح ۳۱۳۸.

۱۲– ۱۲ الکافی: ۴/ ۵۴۹ ح ۱، من لا یحضره الفقیه: ۲/ ۵۵۸ ح ۳۱۳۹. وقال الشیخ الصدوق رحمه الله: هذه الأخبار إنّما وردت فیمن یملک الاختیار ویقدر علی أن یبدأ بأیّهما شاء من مکّهٔ أو المدینهٔ، فأمّا من یؤخذ به علی أحد الطریقین فاحتاج إلی الأخذ فیه شاء أو أبی فلا خیار له فی ذلک، فإن اخذ به علی طریق المدینهٔ بدأ بها وکان ذلک أفضل له لأنّه لا یجوز له أن یدع دخول المدینهٔ وزیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه و آله والأئمّهٔ علیهم السلام بها وإتیان المشاهد انتظاراً لرجوعه، فربّما لم یرجع أو اخترم دون ذلک، والأفضل له أن یبدأ بالمدینهٔ.

۱۳– ۱۳ أخرج فی البحار: ۱۰۰/ ۱۲۴ ح ۳۲ عن البلد الأمین: روی أنّ من زار إماماً مفترض الطاعهٔ بعد وفاته وصلّی عنده أربع رکعات کتبت له حجّهٔ وعمرهٔ. وأخرج فی ص ۱۳۰ ح ۱۵ عن مصباح الزائر: عن الصادق علیه السلام قال: من زار إماماً مفترض الطاعهٔ بعد وفاته....

۱۴– ۱۴ قال الفاضل التفرشی: المراد بالعهد ما یشبه العهد فان من قال بإمامهٔ الأئمّهٔ علیهم السلام وبأنّهم أوصیاء رسول اللّه صلی الله علیه و آله، وانّ اللّه– عزّوجلّ– فرض طاعتهم، فکأنّه عهد إلیه أن یطیعه ویخلص له عقیدته ویزوره إلی غیر ذلک.

۱۵– ۱۵ الکافی: ۴/ ۵۶۷ ح ۲، کامل الزیارات: ۱۲۲ ح ۲، من لا یحضره الفقیه: ۲/ ۵۷۷ ح ۳۱۶۰، عیون أخبار الرضا علیه السلام: ۲/ ۲۶۰ ح ۲۴، علل الشرائع: ۴۵۹ ح ۳، التهذیب: ۶/ ۷۹ ح ۱۵۵ و ص ۹۳ ح ۱۷۵، البحار: ۱۰/ ۱۱۶ ح ۱ و ص ۱۱۷ ح ۲– ۴.

۱۶– ۱۶ زاد فی «ک»: ولیکن هذا آخر الرسالهٔ، والحمد للّهوحده، والصلاهٔ علی خیر خلقه محمّدٍ وآله. من تتمّهٔ منشآت المصنّف– تغمّده اللّه برضوانه–.

۱۷– ۱۷ من «ش».

ص: ۳۲

ستّین مسکیناً اقتصر علی السّتین، وإن نقصت اقتصَرَ علی [قَدر] (۱) القیمهٔ.

ومنه ما لا بدل له کالحَمامهٔ فإنّ فیها شاهٔ علی الُمحْرِمِ فی الحِلّ، ودرهماً علی الُمحِلّ فی الحَرَم، ویجتمعان علی الُمحرِمِ فی الحَرَمِ.

وفی الجَرادهٔ والقملهٔ إذا ألقاها أو قتلها (۲)کَفّ من طعام.

وفی لُبْس الَمخِیطِ عَمْداً دم شاهٔ وإن کان مُضطرّاً، لکن فی الضّرورهٔ ینتفی الإثم خاصّهٔ، وکذا فی لُبْس الخَفّین ونحوهما، والظاهر أنّه لا فرق فی لزُوم الکفّارهٔ بین أنْ یشقّهما أوْ لَا.

وفی قلم کلّ ظفر مدّ مِن طعام، وفی أظْفار یَدَیه أو رِجلیه أو هُما فی مجلسٍ واحدٍ دم، ولوْ تعدّد الَمجْلس فَدَمان.

وفی إزالهٔ مُسمّی الشَعْر بحَلْقٍ وغیره شاهٔ، أو إطعام عشرهٔ مساکین، لِکُلّ مسکینٍ مدّ، أو صیام ثلاثهٔ أیّام.

ولو اضْطرّ إلی حَلْق الرَّأْس لأذًی انتفی الإثم دون الکفّارهٔ، ولو وقع شیء من شعر رأسه أو لحیته بلمسه فی غیر الوضوء، وکذا الغُسل علی الأقرب (۳)- ولا یبعد إلحاق إزالهٔ النجاسهٔ بهما- وجبَ التصدّق بکفٍّ من طعام.

وفی الوضوء وما الحِقَ به لا شیء، وفی تغطیهٔ الرأس ولو بالارتماس فی الماء (۴) أو حَمل ساتر شاهٔ، وکذا فی التَّظْلیل سائراً، وفی الجدال ثلاث مرّات صادقاً شاهٔ، ولا شیء فیما دونها، وکاذباً بدنهٔ، وفی الاثنین بَقرهٔ، وفی الواحدهٔ شاهٔ.

وفی قَلْعِ الشَّجرهٔ الکبیرهٔ فی الحرَم بقرهٔ وإنْ کان محلّاً، وفی الصغیرهٔ شاهٔ، وفی الأبعاض والحشیش القِیمهٔ.

ولا کَفّارهٔ علی الجاهل والناسی والمجنون فی شیء من ذلک، إلّاالصَّید فإنّ الکفّارهٔ فیه علی النّاسی والجاهل.

وتتعدّد بتعدّد الأسباب اتَّحَدَ الوقت أو اختلف، کَفّر عن السابق أوْ لا.

ویتحقّق التکرّر فی الحلق بتغایر الوقت، کأن یحلق بعض رأسه غدوهٔ وبعضه عشیّهٔ.

وکذا اللُبس والتَّطیّب وأکل ما لا یحلّ.

وفی روایهٔ محمّد بن مسلم، عن الباقر علیه السلام: «إنّ لکُلّ صنفٍ من الثّیاب

۱- ۱ من «ک».

۲- ۲ فی «ش»: وقتلهما.

۳- ۳ وکذا التیمّم. حاشیهٔ «ش».

۴- ۴ فی «ک»: بالماء.

ص: ۳۳

فِداءً» (۱) ولیس یبعد (۲)، وهو مقتضـی کلام المُنتهی، فعلی هـذا یُعتبر تغایر الوقت فی الصِّنْف الواحـد دون المتعدّد (۳) وهل یفرق بین ذی (۴) الضّرورة وغیره فی ذلک؟ فیه تردّد.

ومحلّ الذبح والنَّحر والصَّدقة مکّة إنْ کانت الجنایة فی إحرام العُمْرة وإنْ

کانت مُتعة، ومنی [إنْ کانت] (۵) فی إحْرام الحَجّ.

وَالحمدُ للّهربّ العالمین، وصلّی اللّه علی سیّدنا مُحمّد وأهل بیتِهِ الطاهرین.

فهرس مصادر التحقیق

۱- القرآن الکریم.

۲- إحیاء الداثر من القرن العاشر «طبقات أعلام الشیعة» للشیخ آقا بزرک الطهرانی، نشر جامعة طهران ۱۳۶۶ ه. ش.

۳- الاستبصار لشیخ الطائفة أبی جعفر الطوسی، نشر دار الکتب الإسلامیّة، طهران ۱۳۹۰ ه. ق.

۴- أعیان الشیعة للسیّد محسن الأمین، نشر دار التعارف للمطبوعات- بیروت ۱۴۰۳ ه. ق.

۵- أمل الآمل للشیخ الحرّ العاملی، نشر مکتبة الأندلس- بغداد.

۶- بحار الأنوار للعلّامة محمّد باقر المجلسی، نشر مؤسّسة الوفاء- بیروت ۱۴۰۳ ه. ق.

۷- تاریخ کرک نوح للدکتور حسن عبّاس نصر اللّه، نشر المستشاریّة الثقافیّة للجمهوریة الإسلامیة الإیرانیة بدمشق- ۱۴۰۶ ه. ق.

۸- تهذیب الأحکام لشیخ الطائفة الطوسی، نشر دار الکتب الإسلامیة- طهران ۱۳۹۰ ه. ق.

۹- جامع المقاصد للشیخ علیّ الکرکیّ- مصنّف هذه الرسالة-، تحقیق ونشر مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث، قم ۱۴۰۸- ۱۴۱۵ ه. ق.

۱۰- الـدرّ المنثـور من المـأثور وغیر المنثـور للشیـخ علی بن محمـد بن حسن ابن زین الـدین الجبعی العـاملی، نشـر مکتبـة المرعشـی النجفی- قم ۱۳۹۸ ه. ق.

۱۱- الدروس للشهید الأوّل محمّد ابن مکّی العاملی، نشر مکتبة الصادقی- قم.

۱- ۱ الکافی: ۴/ ۳۴۸ ح ۲، من لا یحضره الفقیه: ۲/ ۳۴۱ ح ۲۶۲۳، التهذیب: ۵/ ۳۸۴ ح ۱۳۴۰.

۲- ۲ فی «ش»: ببعید.

۳- ۳ فی «ش»: التعدّد.

۴- ۴ فی «ک»: ذوی.

۵- ۵ من «ک».

ص: ۳۴

۱۲- الذریعة للشیخ آقا بزرک الطهرانی، نشر دار الأضواء- بیروت ۱۴۰۳ ه. ق.

۱۳- روضات الجنّات للمیرزا محمّد الخوانساری، نشر مکتبة إسماعیلیان- قم ۱۳۹۰ ه. ق.

۱۴- الروضة البهیّة فی شرح اللمعة الدمشقیة للشهید الثانی، نشر دار إحیاء التراث العربی- بیروت ۱۴۰۳ ه. ق.

۱۵- ریاض العلماء للمیرزا عبداللّه أفندی الاصفهانی، نشر مکتبة المرعشی النجفی- قم ۱۴۰۱ ه. ق.

۱۶- شرائع الإسلام فی مسائل الحلال والحرام للمحقّق الحلّی، نشر دار الأضواء- بیروت ۱۴۰۳ ه. ق.

۱۷- الصحاح للجوهری، نشر دار العلم للملایین- بیروت ۱۴۰۴ ه. ق.

۱۸- علل الشرائع للشیخ الصدوق، نشر مکتبة الداوری- قم.

۱۹- عیون أخبار الرضا علیه السلام للشیخ الصدوق، نشر مکتبة جهان- طهران.

۲۰- غایة المراد للشهید الأوّل ومعه حاشیة الإرشاد للشهید الثانی، نشر مرکز الأبحاث والدراسات الإسلامیة- قم ۱۴۱۴ ه. ق.

۲۱- فهرس مخطوطات مکتبة آیة اللّه العظمی المرعشی النجفی «الطبعة الفارسیّة»، نشر المکتبة- قم ۱۳۹۵ ه. ق.

۲۲- الفوائد الرضویّة فی أحوال علماء المذهب الجعفری للشیخ عبّاس القمی.

۲۳- الکافی للشیخ محمد بن یعقوب الکلینی، نشر دار صعب ودار التعارف للمطبوعات- بیروت ۱۴۰۱ ه. ق.

۲۴- کامل الزیارات لابن قولویه، طبع المطبعة الرضویّة- النجف ۱۳۵۶ ه. ق.

۲۵- لسان العرب لابن منظور الافریقی المصری، نشر أدب الحوزة- قم ۱۴۰۵ ه. ق.

۲۶- لؤلؤة البحرین للشیخ یوسف البحرانی، نشر مؤسسة آل البیت علیهم السلام للطباعة والنشر- قم.

۲۷- مدارک الأحکام للسیّد محمد ابن علی الموسوی العاملی، تحقیق ونشر مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث- مشهد ۱۴۱۰ ه. ق.

ص: ۳۵

۲۸- مسالك الأفهام للشهيد الثانى، تحقيق ونشر مؤسّسة المعارف الإسلامية- قم ۱۴۱۳ ه. ق.

۲۹- مستدرك الوسائل للميرزا حسن النورى «الطبعة الحجرية»، نشر المكتبة الإسلامية- طهران.

۳۰- معجم البلدان لياقوت الحموى، نشر دار إحياء التراث العربى- بيروت ۱۳۹۹ ه. ق.

۳۱- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرّسين فى الحوزة العلميّة- قم.

۳۲- نقد الرجال للتفريشى، نشر مكتبة الرسول المصطفى- قم.

۳۳- نيّات الحجّ والعمرة للشهيد الثانى، نشر فى مجلّة «ميقات الحجّ» العدد رقم ۲- بتحقيقنا-.

۳۴- وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملى، نشر دار إحياء التراث العربى- بيروت ۱۴۰۳ ه. ق.

الهوامش:

من معالم الحج والزيارة يلملم

ص: ۳۶

ص: ۳۷

ص: ۳۸

ص: ۳۹

ص: ۴۰

ص: ۴۱

ص: ۴۲

ص: ۴۳

ص: ۴۴

من معالم الحج والزيارة يلملم

الدكتور عبد الهادى الفضلى

يلملم معلمـة من معالم الحـج المهمـة لأنه من المواقيت التى وقّتها رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، والحديث فيه أو البحث عنه يتطلب تصنيف الموضوع إلى الجوانب التالية:

۱- البحث عنه لغوياً.

۲- البحث عنه جغرافياً.

۳- البحث عنه حديثياً.

۴- البحث عنه فقهياً.

فنقول- واللَّه ولى التوفيق-:

يلملم لغوياً:

- (لغات الكلمة):

ذكرت المعاجم التى بين يدى ثلاث لغات (لهجات) للكلمة، هى: (يلملم)، (ألملم)، (يرموم).

ص: ۴۵

وسمعت عند زيارتی للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين فی أرض (الوَدْيان) من مركز يلملم ثلاث لهجات، هی: يلملم وألملم، وململم... ويضيف الهمدانی فی (صفة جزيرة العرب) ص ۳۲۶ لهجة أخری هی: (لملم).

- (جذر الكلمة):

وقد أدّی تعدد اللهجة فی هذه الكلمة علی الاختلاف بين اللغويين فی تحديد جذر الكلمة والمادة الأصلية لها التی تدرج فی المعجم تحت عنوانها، ويرجع إليها لمعرفة معناها اللغوی إلی الأقوال التالية:

۱- ذهب الأزهری وابن فارس إلی أن الكلمة من المزيد الذی فی أوله ياء، قال ابن فارس فی (المجمل)- ۴/ ۹۴۳- ۹۴۴- (باب ما زاد علی ثلاثة أحرف أوله ياء): «اليسروع: دويبة تشبّه بها أصابع النساء لنعومتها وبياضها، ويبرين: موضع، وكذلك [يمؤود] ويلملم...، وسبيل الياء سبيل الهمزة الزائدة فی الرباعی والخماسی، لأن الياء إنما يعتبر بها فی هذين البابين الحرف الذی بعدها».

وقال فی (المقاييس)- ۶/ ۱۶۰-: «فأمّا ما زاد علی الثلاثة فی هذا الباب مثل (اليربوع) وهی دويبة، و (يبرين) وهو موضع، و (يمؤود) و (يلملم) وهما موضعان، و (اليرندج) وهی جلود سود، وما أشبه ذلك، فإن سبيل الياء فی أوائلها سبيل الهمزة فی الرباعی والخماسی فانهما زائدتان، وانما الاعتبار بما يجیء بعد الياء، كما هو الاعتبار فی باب الهمزة بما يجیء بعدها».

ونستخلص منه: أن جذر الكلمة ومادتها عنده (لملم)، والياء فی (يلملم) مزيدة، والألف فی (ألملم) مبدلة من الياء، وفی (يرموم) زيدت الياء، وأبدلت الراءان من اللامين.

وتابعهما علی ذلك المعلم البستانی فی (محيط المحيط) فذكر الكلمة بلغاتها الثلاث فی مادة (لملم).

۲- وذكر ابن منظور فی (لسان العرب): يلملم فی مادة (يلم)، ويرموم فی مادة

ص: ۴۶

(رمم)، ويلملم وألملم فى مادة (لمم).

ويعنى هـذا أن جذر الكلمة عنده ومادتها ثلاثى، وهو بالنسبة إلى كلمة (يرموم): (رمم)، و (يلملم) من غير إبدال (يلم)، وبإبدال يائها همزة (لمم).

وتـابعه على ذلـك الفيومى فى (المصـباح المنير) مع فـارق اعتباره الأصل فى الكلمـة (ألملم)- بالهمزة-، والياء فى (يلملم) مبدلـة من الهمزة، ولذا اعتد جذر الكلمة ومادتها (ألم).

ونسق (المعجم الكبير) نسق (المصباح المنير)، وكذلك (تاج العروس) حيث ذكرت الكلمة فيه فى مواد: (يلم) و (لمم) و (رمم).

- (وزن الكلمة):

أما وزن الكلمـة فلاـ خلاـف بينهم فى أن وزنهـا (فَعَلْعِـلَ)، قال ابن منظور فى (اللسان)- مادة يلم-: «قال ابن برى: قال أبو على: يلملم فَعَلْعَل، الياء فاء الكلمة واللام عينها والميم لامها».

ويدل هذا على أن الياء فى الكلمة أصل وليس زائداً، وهو ما ذهب إليه ابن منظور- كما تقدم.

يلملم جغرافياً:

قال البكرى فى (معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع)- ۱/ ۱۸۷:

«ألملم- بفتـح أوله- قال أبو الفتح: هو فَعَلْعَل- بفتح أوله- كصَمَحْمَح، ولا يكون من لفظ لملمتُ، لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة فى أولها إلّافى الأسماء الجارية على أفعالها، نحو مُدَحْرِج.

ويقـال أيضاً: يلملم، وكـذلك القول فيه، لأن الياء بـدل من الهمزة. وهو جبل من كبار جبال تهامـة، على ليلتين من مكـة، أهله كنانـة، وأوديته تصب فى البحر، قال سلمى بن المُقْعَد:

ولقـد نزعنا من مجالس نخلة فنجيزُ من حُتُنٍ بياضَ ألملما» وفى ۲/ ۱۳۹۸ قال: «يلملم- بفتح أوله وثانيه- جبل على ليلتين من مكة، من جبال تهامة، وأهل كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر. وهو فى طريق اليمن إلى مكّة، وهو ميقات من حج من هناك.

ويقال: ألملم- بالهمز- وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة،- وقد تقدم ذلك فى حرف الهمزة-، وقال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداة تدلّتْ من فروع يلملم وقال ابن مُقبل:

تراعى عنوداً فى الريا وكأنها سـهيل بدا فى عارضٍ من يلملما» وقال الهمدانى فى (صفة جزيرة العرب): ص ۳۲۶: «ويلملم: ميقات أهل تهامة.

وجاء فى بعض الحديث: ألملم، مكان الياء همزة، قال طُفيل:

وسلهبة تنضو الجياد كأنها رداة تدلت من فروع يلملم وقال: لملم أيضاً».

وقال ياقوت فى (معجم البلدان)- ۵/ ۴۴۱-: «يلملم: ويقال:

ألملم- والململم المجموع-: موضع على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقى: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو وادٍ هناك. قال أبو دهبل:

فما نام من راعٍ ولا ارتـد سامرٌ من الحى حتى جاوزتْ بى يلملما» وقال البلادى فى (معجم معالم الحجاز)- ۱۰/ ۲۸- ۲۹-: «يلملم- ياء مثناة

ص: ۴۷

ص: ۴۸

تحت، مفتوحـة، وتكرير اللام والميم-: واد فحلٍ من أوديـة الحجاز التهاميـة يأخـذ أعلى مساقط مياهه من شـفا بنى سـفيان، على قرابة (۳۰) كيلًا جنوب غربى الطائف، ثم ينـدفع غرباً فى انحدار عميق بين صـلاهيج (۱) جبال فيمر بالسـعدية ميقات أهل اليمن على طريق تهامة، على (۱۰۰ كيل) جنوب مكّة، فيصب فى البحر جنوب جدة على مسافة مرحلتين.

وهو واد متعدد الروافد، منها: حُثُن، ووَدْيان، وتَصِيل، ونُمار، وشكيل، وغيرها كثير ممّا يجعل سيله جارفاً.

وبه بعض الأراضى الصالحة للزراعة، ولكن لم تستصلح بعدُ. ونباته الأراك.

وسكانه: فى صدره: فَهْم، وبقية بنى صاهلة من هُذيل، وأسفله: المجادلة من بنى شعبة من كنانة.

وروافده الشمالية من ديار هُذيل.

فيه مركز حكومى تابع لإمارة الليث، وبه مركز صحى، ومقترح انشاء مدرسة فى السعدية، وقد أنشئت، وأنشئت مدرسة بالملاقى حيث الامارة.

وإمارته تضم قبيلة فهم فقط.

أما أسافله ففى السعدية امارة تابعة لقائم مقام مكّة».

وقال فى المصدر نفسه ص ۲۹: «يلملم، ويقال: ألملم، والململم المجموع:

موضع على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقى: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث.

وقيل: هو واد هناك، قال أبو دهبل:

فما نام راعٍ ولا ارتـد سامرٌ من الحى حتى جاوزتْ بى يلملما (۲) وقال البكرى: من جبال تهامـة، وأهله كنانة، تنحدر أوديته إلى البحر، وهو فى طريق اليمن إلى مكّة، وهو ميقات من حج من هناك، ويقال: ألملم- بالهمزة-

---

۱- ۱ صلاهيج: جمع صَلْهَج وهى الصخرة العظيمة.

۲- ۲ إلى هنا- ممّا ذكره البلادى- هو نصّ عبارة ياقوت المنقولة فى أعلاه، ولا أدرى لماذا لم يُشر البلادى إلى ذلك؟

ص: ۴۹

وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة- وقد تقدم فی حرف الهمزة-، وقال طُفيل:

وسلهبةٍ تنضو الجياد وكأنها سهيل بدا فی عارض من يلملما». وجاء فی (المعجم الكبير)- مادة ألملم-: «ألملم (فَعَلْعَل): جبل من جبال تهامة على ليلتين من مكّة (نحو ۶۰ ك. م)، وهو ميقات أهل اليمن وأهل تهامة فی الحج.

وأهله كنانة، وأوديته تصب فی البحر».

وفی (محيط المحيط)- مادة لملم-: «ويلملم أو ألملم أو يرمرم: ميقات أهل اليمن، وهو جبل على مرحلتين من مكة».

وفی (المصباح المنير)- مادة ألم-: «وألملم: جبل «فی» تهامة، على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن».

وفی (النهاية)- لابن الأثير-: «يلملم: فيه ذكر (يلملم) وهو ميقات أهل اليمن، بينه وبين مكّة ليلتان».

وقال الزبيدی فی (تاج العروس)- مادة لمم-: «ويلملم وألملم أو يرموم، الثانية على البدل، ميقات أهل اليمن، للاحرام بالحج، وهو جبل على مرحلتين من مكّة، وقد وردتُهُ».

ونستنتج من هذا:

۱- أن الجغرافيين واللغويين القدامى اتبعوا فی تحديد موقع (يلملم) الطريقة المألوفة لديهم قديماً، وهی اعتبار الوحدة القياسية للمسافة بين منزلين (والمنزل- هنا- يراد به ما تنزله القوافل اثناء قطعها للمسافات) الليلة، ويريدون بها الامتداد المكانی الذی يقطعه السائر فی نحو ليلة زمنية.

وقد يطلقون على الليلة باعتبارها وحدة قياسية للمسافة المرحلة- كما رأينا فی نص التاج-.

ص: ۵۰

وتقـدر الليلـة بالكيلومتر (الوحدة القياسـية المتعارفة الآن فی بلداننا الاسـلامية) ب (۵۰ کم)- خمسـين کيلومتراً- قـد تنقص قليلًا، نظراً لاختلاف الطرق التی کانت تسلك قديماً سهولة وحزونة.

۲- ان يلملم منزل من منازل الطريق بين مكّة المكرّمـة واليمن، ويبعد عن مكّة بمرحلتين أو ليلتين، أی: بينه وبين مكّة المكرمة حوالی (۱۰۰ کم)- مئة کيلومتر-.

وقدّرت المسافة فی بعض المناسك- أمثال: منسك الشيخ محمد طاهر الخاقانی ومنسك الشهيد الصدر ومنسك السيد الگلبايگانی- ب (۹۴ کم)- أربعة وتسعين کيلومتراً.

وهنا لابدّ من التنبيه علماً أن لليمن إلی مكّة المكرّمة ثلاثة طرق، هی:

۱- طريق تهامة، وهو الذی يمر بيلملم.

۲- طريق صنعاء- صعدة، ويمر ببيشة فوادی تُرَبَة فقرن المنازل فمكة.

۳- طريق حضرموت- نجران، ويلتقی مع الطريق الثانی بقرن تثليث، فيمر أيضاً بقرن المنازل.

فالطريق المقصود هنا هو طريق تهامة.

ومنازله- کما فی (مناسك) الحربی ص ۶۴۳- هی: صنعاء- جازان- الليث- يلملم- مكّة.

وعليه تكون النتيجة: إنّ لمعرفة موقع يلملم أمارتين هما:

أ- وقوعه علی طريق اليمن- مكّة التهامی.

ب- وعلی بُعد مرحلتين أو ليلتين من مكّة.

وقد قمت فی يوم الأحد ۱۵/ ۶/ ۱۴۰۹ ه الموافق ۲۷/ ۱/ ۱۹۸۹ م برحلة استطلاعية بغية إجراء دراسة ميدانية للموقع الراهن.

غادرت جدة الساعة الثامنة صباحاً بسيارة (جيب تويوتا)، وکان معی

ص: ۵۱

ابنـاى معاد وفؤاد وابنا عمتهما وهما السـيدان حسن وحسـين الخليفـة، وسـلكنا من مكّـة المكرّمـة الطريق الساحلى الـذى يعرف بطريق الليث، وطريق اليمن الساحلى.

وأهم المدن التى يمر بها الطريق، هى: مكّة المكرّمة- القنفذة- جيزان- حرض (وهو جمرك الحدود السعودية)- اليمن.

وبعد ۱۰۰ كم من مكّة تقع على يمين الطريق محطة بنزين تعرف ب (محطة الطَفيل)- بفتح الطاء-، ويقابلها على يسـرة الطريق مسـجد حـديث من انشاء الحكومـة السـعودية للاحرام منه باعتباره محاذياً للميقات، إلّاانه كان مغلقاً ومهملًا حال وصولنا إليه؛ لعزوف الحجاج عن الاحرام منه بسبب عدم تيقنهم محاذاته للميقات.

وبعد ۱۱۰ كم من مكـة وعلى يمين الطريق أيضاً هناك محطـة تسـمى (محطـة المجيرمة)، وتحاذى هذه المحطةُ مركزَ السـعدية الآتى ذكره بعد قليل.

وبعد ۱۲۶ كم من مكـة على يسار الطريق محطـة ثالثـة معروفـة ب (محطة الميقات) لأنها تحاذى ميقات يلملم، وقد أشـير إلى هذا فى لوحـة منصوبـة على حافـة الطريـق، وفيهـا مسـجد من الطين رجـع بنـاؤه إلى عهـد قريب، وآخر من البنـاء الجـاهز من إنشـاء الحكـومة السـعودية، وحمامات بدائيـة مصـنوعة من الخشب العادى لاغتسال الحجاج، ينقل إليها الماء يدوياً من صـهاريج من الصـفيح قريبة من المقهى، وفيها أكثر من مقهى وأكثر من بقالة لبيع المواد الغذائية وملابس الاحرام، وأكثر من مطعم، وكلها من النوع الشعبى البدوى.

وعندما وصـلنا إلى محطة الطَفيل المذكورة فى الساعة العاشرة قبل الظهر انحدرنا يسرة الطريق العام من منعطف قبيل المسجد المغلق- المشار إليه- فى طريق ترابية ممهدة تمهيداً يسيراً.

وسار بنا هذا الطريق آخذاً إلى اليمن حتى صب- بعد مسافة قصيرة- فى وادى يلملم.

ص: ۵۲

وبعد أن قطعنا حوالی ۲۵ کم من هذا الطریق وصلنا إلی مرکز (السعدیة).

ورأینا فی هذا المرکز علی حافة الوادی الیمنی بستاناً لأحد أهالی مکة کما قال لنا شخص کان یستقی الماء هناک.

وعلی مقربة من حافته الیسری رأینا بئراً عمیقة وقدیمة، علیها مضخة کهربائیة تنقل الماء إلی خزان منصوب علی حافة الوادی الیسری، وفی داخل البئر علی الجهة المقابلة للقبلة صخرة ملصقة فی جدارها کتب علیها العبارة التالیة:

«هذه بئر العلی سلطان الهند ذی الإجلال محمد علی خان رحمه اللّه. صلی اللّه علی محمد وآله. سنة ۷۱۱».

وعلی حافة الوادی الیسری قریباً من البئر مسجد حدیث ومدرسة ومستوصف، وهی من منشآت الحکومة السعودیة، وبقالة وورشة لإصلاح السیارات.

وبعد بئر السعدیة بحوالی کیلوین بئر اخری مندثرة، وبالقرب منها علی حافة الوادی الیسری قلعة حربیة صغیرة، تشبه تماماً فی تصمیمها العام وأحجارها وألوانها محطة قطار الحجاز بالمدینة المنورة، کتب علی إحدی أحجارها: «۹۹۱ محمد علی پرکسحای (؟)...».

ودلفنا إلی یلملم مع الوادی، وبعد مسافة غیر قلیلة ضللنا الطریق خارجین من الوادی إلی حَرّة علی مرتفع حافته الیسری، ثم وبعد السؤال من رعاة هناک اهتدینا إلی الطریق وهبطنا الوادی ثانیة، حتی انتهی بنا بعد خمسة وعشرین کیلومتراً من السعدیة، إلی الوَدْیان، وهو مرکز یلملم.

وفیه محطة بنزین وعدة بقالات ومطعمان ومقهی ومسجد حدیث من إنشاء الحکومة السعودیة سنة ۱۴۰۲ ه، ومدرسة للبنات وأخری للبنین ومرکز حکومی للإمارة، مکتوب علی لوحته: (مرکز إمارة یلملم التابعة لإمارة اللیث)، وإمارة اللیث تتبع إمارة مکّة المکرّمة.

ص: ۵۳

وفيه أيضاً بعض الورش لاصلاح السيارات ولصناعة الأبواب والشبابيك الحديديه، وورش نجارة.

كما أن فيه بيوتاً قليلة بدوية المادة والبناء.

ويشرف على المركز في شرقي جنوبه جبل يلملم، ويسميه أبناء الوادى (يلملم) و (الوعرة) (۱).

وقمنا بتصوير الجبل وبعض المرافق كالمسجد والمستوصف ومدرسة البنين.

وكان وصولنا إليه فى الساعة الثانية عشرة قبيل الظهر بنصف ساعة.

وبعد أن تناولنا الغداء فى أحد مطعميه، عدنا يضمنا بطن الوادى، الذى مررنا فيه على كثير من شجر السُمُر والأراك.

ورأينا فى جزء منه عين تنز الماء نزاً، ويسيل منها إلى مسافة لا تقل عن أربعة أو خمسة كيلومترات وسط نهر صغير.

وشاهدنا فى أكثر من موضع فى الوادى، وفى الحِرار على حافتيه محارق لصنع الفحم من أخشاب شجر الوادى، يعمل فيها سكان الوادى، وهى على الطريقة البدائية: حفرة صغيرة لا تزيد على مترين فى ثلاثة أمتار، يطرح فيها الخشب ويغطى بشىء من الأعشاب اليابسة، ثمّ يلقى عليه قليل من النفط لإشعال النار، وتغلق الحفرة بالصفيح، ويستمر الإحراق نهاراً كاملًا.

وابتعنا كيساً كبيراً من الفحم بخمسين ريالًا للاستعمال المنزلى.

وصلينا الظهر فى مسجد السعدية، ووصلنا إلى جدة الساعة الرابعة عصراً، والحمد للّهعلى التوفيق والسلامة.

ولا يفوتنى أن أشير إلى أن سكان الوادى من جهة يلملم قبيلة (فَهْم)، ومن جهة السعدية قبيلة (الجحادلة).

(نتائج الاستطلاع):

۱- أن وادى يلملم يبدأ من سفح جبل يلملم ضيقاً ثم يتسع شيئاً فشيئاً حتى

۱- ۱ يقال جبل واعر لصلابة وحزونة مرتقاه، ولعل التسمية اخذت من هذا.

ص: ۵۴

يتلاشى بعد السعدية وقبيل الطريق الساحلى العام، ليلتقى مع أودية أخرى تصب جميعها فى البحر الأحمر.

۲- أن قمة جبل يلملم تشبه فى شكلها الاسطوانى قمة جبل النور بمكّة المكرّمة.

۳- لم نهتـد إلى رؤيـة أثر من بقايا طريق اليمن القـديم المار بيلملم مباشـرة، الـذى ذكره غير واحد من الجغرافيين والمؤرخين، ومنهم الحربى فى (المناسک)- كما تقدّم-.

وممن ذكره الهمدانى فى (صـفة جزيرة العرب) ص ۳۴۱ قال: «محجة صـنعاء إلى مكّة- طريقة تهامة: من صـنعاء: صِلِيت من البون ثم الموبد ثم أسـفل العرقة وأخرف ثم الصرجة ثم رأس الشقيقة ثم حرض ثم الخصوف من بلد حكم ثم البحر ثم عثر ثم بيض ثم زنيف ثم ضـنكان ثم المعقد ثم حكى ثم الجو ثم الجوينية من قنونا وتسـمى القناة ثم دوفة وهى للعبديين من بقايا جرهم ثم إلى السـرين ثم المعجز ثم الخيال ثم إلى يلملم ثم ملكان ثم مكّة. هذه طريق الساحل.

والمحجة القديمة إلى حَلى العليا وتسمى حَلية، وإليها ينسب أسود حلية، وهى التى يعنى الشنفرى بقوله:

بريحانة من بطن حلية نوّرتْ لها أرج من حولها غير منستِ ثم إلى عشم ثم على الليث ومركوب إلى يلملم».

۴- رأينـا آثـاراً تـدل على أن طريق الحاج كان يمر بالسـعدية- التى هى محاذيـة ليلملم على بعـد ۲۵ كم- منهـا: اصـلاح بئرها، والبئر الأخرى الواقعة قريباً منها، والقلعة الحربية.

ويستنتج من نسبة إنشاء بئر السعدية والقلعة بعدها إلى الهنود أن حجاج الهند كانوا يمرون من هنا.

ص: ۵۵

ويؤيد هذا ما جاء فى محاضرة للاستاذ حسن بن ابراهيم الفقيه عميد الكلية المتوسطة بالقنفذة، التى ألقاها فى قاعة المسرح بمقر قيادة سلاح الحدود بالقنفذة، ونشر عدد الأربعاء الأسبوعى من جريدة (المدينة)- التى تصدر بجدة- تعريفاً لها ومقتطفات منها، بتاريخ ۲۳ رجب سنة ۱۴۰۹ ه، وعنوانها: (القنفذة مدينة قديمة يعود تاريخها إلى القرن الثامن الهجرى)، فقد جاء فيها: «وتسجل بعض الوثائق التاريخية استخدام مينائها (ميناء القنفذة) باباً لمكّة المكرّمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية وحجاج جنوب شرق آسيا وخاصة حجاج الهند».

ولعل ما جاء فى (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة)- ۱/ ۶۴۰- من أن يلملم ميقات لأهل اليمن والهند، يشير إلى هذا أيضاً ويؤكده.

ويعنى هذا أن الطريق القديم المار بيلملم مباشرة تحول إلى طريق السعدية، ثمّ تحول إلى الطريق الساحلى الحاضر.

وبين طريق يلملم الراهن ۲۵ كم، فيكون بين موضع المحاذاة فى الطريق الراهن وجبل يلملم ۵۰ كم.

وممّن أشار إلى اتخاذ حجاج اليمن موضع السعدية محرماً المؤرخ التركى أيوب صبرى باشا فى كتابه (مرآة جزيرة العرب)- ۲/ ۲۴۶- ترجمة الدكتور أحمد فؤاد متولى والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، فقد جاء فيه تحت عنوان: (بداية المحمل اليمنى وانقطاعه): «بدأ الوزير مصطفى باشا والى اليمن ينظم موكب المحمل الشريف باسم محمل صنعاء اليمن منذ سنة ۹۶۳ ه بعد الفرمان الصادر بهذا الخصوص، والذى يسمح له بذلك، وعند وصول المحمل المذكور إلى مكّة المكرّمة كان المرحوم الشريف حسن يستقبله فى (بركة ماجن) ثم يدخل المدينة.

تتحرك القوافل من (جبس) وتتجه نحو زبيد وتبقى فى موقع (المخا) الواقع فى الجنوب من الموقع السابق.

ص: ۵۶

وتتحرك القافلة من زبيد متجهة نحو مرحلة (رفع) ومنها إلى (بيت العقبة الصغير) ومن هناك إلى (قطيع) ومنها إلى (المنصورية) ثم قلعة (فراوع) ومنها إلى (غاغية) ثم تنزل القوافل فى (بيت الفقيه الكبير).

وأحياناً يسلك حجاج صنعاء طريق بلاد (حباب وطويلة وبلاد بنى الخياط وبلاد بنى الأهلية) ثم يواصلون سيرهم فى الطريق المعتاد.

وتتجه القوافل التى ترد من أحد هذين الطريقين من بيت فقيه إلى (صعلب) ومنها إلى (دومة)، ومن هناك إلى (حيوان) وبعدها إلى (عالية)، ومنها إلى (أبو عريش) ثم (سلامة)، ومنها إلى (ربيش) ومن هناك إلى (نماو) ومن نماو إلى (عتود) ومنها إلى (شفيق) ثم (أبيار)، ومن هناك إلى (دهيان) حيث تحط القوافل رحالها تستريح وتتزود بزاد الطريق.

وتكثر الأشجار المسماة (شجر المقل) فى أراضى مرحلة دهيان هذه.

وتدخل قوافل الحج التى تغادر دهيان إلى منزل (بركة) التى من جملة آثار عمرو بن منصور من ملوك بنى رسول.

ثم تتحرك القوافل نحو (شفق)، ومنها تعاود سيرها حتى تنزل فى استراحة (قنوتا)، وهذه الاستراحة فى وادٍ مياهه وفيرة، وله اسم آخر هو (الواديين).

وتصل القوافل التى تغادر مرحلة قنوتا إلى (ليثة) [/ الليث]، ثم منزل (هصم) المشهور بكثرة مائه، ثم تصل مرحلة (سعدية) التى تعد ميقات سكان تهامة اليمن.

وتعتبر مرحلة سعدية هذه من أكثر المراحل ماء، وتبعد عن منزل (يلملم) ثمانية عشر ميلًا».

۵- أن ما يعرف الآن بمحطة الميقات، والتى هى محرم الحاج فى عصرنا هذا، لا تحاذى السعدية، ولكن بالإمكان أن تحاذى يلملم لانعطاف الوادى.

والمحطة التى تليها والتى تعرف بمحطة المجيرمة تحاذى السعدية، ولأنها تحاذى

ص: ۵۷

السعدية تحاذى يلملم أيضاً.

أما محطة الطفيل فتحاذى السعدية ويلملم معاً، وقد أنشأت الحكومة السعودية فيها مسجداً ليكون المحرم المحاذى، ولكن عزوف الحاج اليمانى عنه واستمراره على الإحرام من محطة الميقات، استدعى الحكومة غلقه والإعراض عنه.

يلملم حديثاً:

ورد توقيت (يلملم) محرماً فى الأحاديث التى تكفلت بذكر المواقيت الخمسة، وهى أمثال:

- صحيح معاوية بن عمار عن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام: قال: «من تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التى وقتها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لا تجاوزها إلّاوأنت محرم، فإنه وقت لأهل العراق- ولم يكن يومئذ عراق- بطن العقيق من قبل أهل العراق، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل المغرب الجحفة- وهى مهيعة- ووقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ومن كان منزله خلف هذه المواقيت من ما يلى مكة فوقته منزله» (۱).

- حسن الحلبى عن أبى عبداللَّه الصادق عليه السلام: «الإحرام من مواقيت خمسة، وقتها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لا ينبغى لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها.

وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة، يصلى فيه ويفرض الحج، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل نجد العقيق، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ولا ينبغى لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» (۲).

وبهذين الحديثين الشريفين وأمثالهما احتج فقهاؤنا على مشروعية توقيت يلملم محرماً، وشرعية الإحرام منه.

وهناك أحاديث أخرى ذكر فيها أن وقت أهل اليمن هو قرن المنازل، كالذى

۱- ۱ الوسائل: الباب الأول من اليواقيت.

۲- ۲ الوسائل: الباب الأول من اليواقيت.

ص: ۵۸

رواه عبداللَّه بن جعفر فی (قرب الإسناد) عن أحمد بن محمد بن عیسی عن الحسن ابن محبوب عن علی بن رئاب، قال: سألت أبا عبداللَّه (الصادق) علیه السلام عن الأوقات التی وقتها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله للناس، فقال: إن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وقّت لأهل المدینة ذا الحلیفة وهی الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجحفة، ووقّت لأهل الیمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقیق» «۱».

والجمع بین الطائفتین من أحادیث التوقیت لأهل الیمن، هو أن الأحادیث التی ذکر فیها أن یلملم هو وقت أهل الیمن أرید بها من یمر من أهل الیمن علی طریق تهامة- وهو الطریق الساحلی- والأول من الطرق الثلاثة التی ذکرتها آنفاً نقلًا عن (مناسک الحربی).

أما الأحادیث التی ذکر فیها أن میقات أهل الیمن هو قرن المنازل، فأرید بها من یسلک من أهل الیمن أحد الطریقین الآخرین اللذین یمران بقرن المنازل، وهما:

طریق صنعاء- صعدة، وطریق حضرموت- نجران، أو غیرهما من الطرق المارة بالطائف.

وبهذا تکون الأحادیث بمجموعتیها قد غطّت جمیع الطرق من الیمن إلی مکّة المکرّمة، التی کانت علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أو فی العصر الإسلامی الأول وما بعده حتی عصرنا هذا.

یلملم فقهیاً:

واستناداً إلی النصوص الشرعیة المتقدّمة وأمثالها أفتی فقهاؤنا بمشروعیة اعتبار یلملم محرماً، وبشرعیة الإحرام منه، ولا خلاف بینهم فی ذلک.

وقد اختلفت عباراتهم فی التعبیر عن ذلک بین مطلق ومقید، ومنها:

- ما جاء فی (المقنع) و (الهدایة) للصدوق و (النهایة) و (الجمل) للطوسی و (الشرائع) للمحقق: «ولأهل الیمن یلملم».

- وفی (المقنعة) للمفید: «ووقّت لأهل الیمن یلملم، وهی میقاتهم ومیقات کلّ (۱)

۱- ۱ الوسائل: الباب الأول من المواقیت.

ص: ۵۹

من صحبهم من الحاج فی طریقهم ومرّ علیه».

- وفی (الجمل) للمرتضی و (الکافی) لابن الصلاح و (المراسم) لسلّار و (الجامع) لابن سعید: «ومیقات أهل الیمن یلملم».

- وفی (الاصباح) للصهرشتی و (الغنیة) لابن زُهرة: «ولمن حجّ علی طریق الیمن یلملم».

- وفی (المهذب) لابن البراج: «ویلملم وذلک میقات أهل الیمن ومن حجّ علی طریقهم».

- وفی (السرائر) لابن إدریس: «ووقّت لأهل الیمن جبلًا یقال له یلملم، ویقال ألملم».

- وفی (الإشارة) لابن أبی الفضل: «أو یلملم ویختص بالیمنیین ومَن نحا نحوهم».

- وفی (الوسیلة) لابن حمزة: «والرابع میقات أهل الیمن وهو یلملم».

- وفی (القواعد) للعلّامة و (الابتهاج) لآل عصفور: «ولليمن جبل یقال له یلملم».

- وفی (اللمعة) للشهید: «ویلملم للیمن» (۱).

- وفی (الهدایة) لفتاوی الشیخ یوسف البحرانی: «ویلملم لأهل الیمن ومَن والاهم».

- وفی (العروة) للیزدی: «الرابع یلملم وهو لأهل الیمن».

- وفی (المنهاج) للحکیم: «الخامس یلملم وهو میقات أهل الیمن ومَن عبر علی طریقهم إلی مکّة من أهل الآفاق الأخر».

- وفی (المنهج) للخنیزی: «ویلملم لأهل الیمن».

- وفی (المناسک) للخوئی: «الرابع یلملم وهو میقات من أراد الحج عن طریق الیمن».

۱- ۱ انظر: مجموعة الحج اعداد الشیخ علی اصغر مروارید ط. ۱ سنة ۱۴۰۶ ه.

ص: ۶۰

- وفی (الموجز) للصدر: «الرابع يلملم» وهو جبل من جبال تهامة، ويقال إن بعده عن مكّة يقدر بأربعة وتسعين كيلومتراً».

- وفی (الرسالة) للخاقانی: «الميقات الرابع يلملم وهو ميقات أهل اليمن وكلّ مَن جاء على طريق يلملم وجب عليه الإحرام منه، ويبعد هذا الميقات عن مكة بأربعة وتسعين كيلومتراً».

- وفی (المناسك) للگلبايگانی: «خامساً يلملم وهو جبل من جبال تهامة، ويبعد عن مكّة المكرّمة أربعة وتسعين كيلومتراً تقريباً، وهو ميقات أهل اليمن ومن يمرّ على طريقهم إلى مكّة من أهل الآفاق والأقطار والأمصار الأخرى» (۱).

أطلت بذكر الفتاوى لأُنبه على شىء مهم هنا، وهو أن جميع هؤلاء المفتين قصروا ميقات أهل اليمن على يلملم، والأمر- كما رأينا فی النصوص الشرعية من الروايات المذكورة فی أعلاه وأمثالها- ليس كذلك، لأن لليمن طرقاً أخرى لا تمرّ على يلملم، وانها تسلك إلى الطائف حيث يكون الميقات قرن المنازل، والمحرم المحاذی وادی محرم.

ولأن الفتاوی- عادة- يفتى بها ليعمل المقلِّد على وفقها، كان على المفتی تعرف طرق اليمن أولًا والمنازل التی تمر بها إلى مكّة، ثم الإفتاء فی ضوء هذا.

فكان الذی ينبغی أن يعبّر به للافتاء أن يقال: (يلملم: ميقات من يسلك طريق اليمن التهامی (أو الساحلی) ماراً به- سواء كان من أهل اليمن أو تهامة أو غيرهما).

وليس هذا الأمر من الإطلاق فی التعبير قاصراً على فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدی من كتب الفقه السنی ما يشارك كتبنا الفقهية فی هذا، ومنه:

- ما جاء فی (المحلی) لابن حزم ۷/ ۷۰: «ولمن جاء على طريق اليمن منها أو من جميع البلاد يلملم، وهو جنوب مكّة، ومنه إلى مكّة ثلاثون ميلًا».

- وفی (الروض المربع) للبهوتی: «وميقات أهل اليمن يلملم، بينه وبين مكّة

۱- ۱ لم اذكر أرقام الصفحات من هذه الكتب المنقول عنها؛ لان موضوع المنقولات معلوم وهو المواقيت.

ص: ۶۱

ليلتان».

– وفى (كتاب الفقه على المـذاهب الأربعـة) ۱/ ۶۴۰: «والميقات لأهل اليمن والهنـد يلملم– بفتـح اللامين وسـكون الميم بينهما– وهو جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة».

– وفى (فقه السنة) لسيد سابق: «وميقات أهل اليمن يلملم، جبل يقع جنوب مكّة، بينه وبينها ۵۴ كيلومتراً».

– وفى (التحقيق والإيضاح) لابن باز: «الرابع يلملم وهو ميقات أهل اليمن».

نعم، يستثنى من هـذه الملاحظـة الإمام الشافعى رضـى الله عنه فقـد تنبه لـذلك، وكانت عباراته وافيـة بالمطلوب، وشاملة لطرق اليمن جميعها.

وقـد يرجع هذا إلى أنه ابن مكّة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها، قال فى (الأُم) ۱/ ۱۵۲– ۱۵۳: «وان قوله (يهل أهل المدينة من ذى الحليفة) إنما هو لأنهم يخرجون من بلادهم وقد يكون ذو الحليفة طريقهم وأول ميقات يمرون به.

وقوله: (وأهـل الشام من الجحفـة) لأنهم يخرجون من بلادهم والجحفـة طريقهم وأول ميقات يمرون به، ليست المدينـة ولا ذو الحليفة طريقهم، إلّاأن يعرجوا إليها.

وكذلك قوله فى أهل نجد واليمن، لأن كلّ واحد منهم خارج من بلده، وكذلك أول ميقات يمرون به.

وفيه معنى آخر أن أهـل نجـد اليمن يمرون بقرن، فلمـا كـانت طريقهم، ولم يكلفوا أن يأتوا يلملم، وأن ميقات يلملم لأهل غور اليمن وتهامتها ممّن هى طريقهم».

– وهنا ملاحظة ثانية هى أن تقدير المسافة بين يلملم ومكة ب (۵۴ كم) أو (۹۴ كم) لا تصدق على الطريق السالك بينهما فى عصرنا هذا، وإنما المراد بها الطريق القديم الذى يمر بيلملم مباشرة قبل اندثاره.

ولأن المناسك والكتب الفقهية التى ذكرت فيها هذه التقديرات لفقهاء

ص: ۶۲

معاصرين كان ينبغى لهم تقدير المسافة وفق واقعها الحاضر.

والواقع الحاضر هو أن المسافة بين مكّة المكرّمة ومن موضع المحاذاة إلى جبل يلملم فى مركز يلملم (الوَدْيان) حوالى ۵۰ كم.

ولهـذا لابـدّ من ذكر الطرق الراهنة السالكة إلى مكة من اليمن وتهامة؛ لأضـعها بين يدى الفقهاء الأجلاء للإفادة منها فى مجال الإفتاء، وهى:

۱- اليمن- جيزان- القنفذة- قرن المنازل

المخواة- الباحة- الطائف (السيل الكبير) مكة

الليث- مفرق المُضيليف وادى محرم

محاذاة يلملم- مكة

قرن المنازل (السيل الكبير)- مكة

المخواة- الباحة- الطائف وادى محرم- مكة

۲- اليمن- جيزان- محايل المضيليف- محاذاة يلملم- مكة

۳- اليمن- جيزان- أبها الباحة- الطائف قرن المنازل (السيل الكبير)- مكة

وادى محرم- مكة

محايل المخواة- الباحة- الطائف قرن (السيل)- مكة

وادى محرم- مكة

المضيليف- محاذاة يلملم- مكة

وبعـد هـذه التطوافة العلمية لابدّ من التلميح للترويح بتطوافة أدبية نذكر فيها بعض الشـعر العربى ورد فيه ذكر يلملم، فقد تغنى الشـعراء العرب به مثله مثل المعالم

ص: ۶۳

والمعاهد العربية الأخرى... ومنه:

- قول أبی دَهْبَل وهب بن زمعة الجمحی (ت ۶۳ ه) یصف ناقة له «لم یکن فی زمانها أسیر منها ولا أحسن» (۱):

خرجتُ بها من بطن مکّة بعدما أصات المنادی للصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامر من اللیل حتی جاوزتْ بی یلملما

وما ذرَّ قرن الشمس حتی تبینت بقلیبَ نخلًا مشرفاً ومخیّما

ومرَّتْ ببطن اللیث تهوی کأنها تبادر بالإصباح نهباً مقسّماً

وجازت علی البزواء واللیل کاسر جناحیه بالبزواء ورداً وأدهما

فقلت لها قد تعتِ غیر ذمیمة وأصبح وادی البِرْک غیثاً مدیما - قول سلمی بن المقعد:

ولقد نزعنا من مجالس نخلة فنجیزُ من حُثُنٍ بیاضَ ألملما - قول طُفیل:

وسلهبة تنضو الجیاد کأنها رداة تدلت من صخور یلملم - قول ابن مُقبل:

تراعی غوداً فی الرواة کأنها سهیل بدا فی عارض من یلملما - قول السید جعفر الحلی:

واللیل یشهد لی بأنی ساهر إن طاب للناس الرقاد وهوموا

من قرحة لو أنه بیلملم نسفت جوانبه وساخ یلملم - وقول شاعر الحجازیات الشریف الرضی من قصیدة له فی رثاء والده

۱- ۱ الشعر والشعراء ۳۹۰، ط. ابریل لیدن ۱۹۰۲ م.

ص: ۶۴

الحسین الموسوی المتوفی سنة ۴۰۰ ه والتی مطلعها:

وسمتک حالیة الربیع المرهم وسقتک ساقیة الغمام المرزم ملأ الزمان منائحاً وجرائحاً خَبَطاً ببؤسی فی الرجال وأنعم

واستخدم الأیام فی أوطاره فلیفن أبعد غایة المستخدم

الیوم أغمدتُ المهندَ فی الثری ودفنتُ هَضْبَ متالعٍ ویلملم - وقوله الآخر:

إنی وإن ضرب الحجابُ بطوده أو حال دونک یذبلٌ ویلملمُ

لأراک فی مرآة جودک مثلما یلقی العیانَ الناظر المتوسم - ومن قصیدة یهنئ بها الوزیر أبا منصور محمد بن الحسن بالمهرجان سنة ۳۷۸ ه:

إلی کم تَصبّانی الغوانی وبینها وبینی عفاف مثلُ طود یلملم الهوامش:

شروط حجّ المرأة فی بحث فقهی مقارن

ص: ۶۵

شروط حجّ المرأة فی بحث فقهی مقارن

حسن محمد

حسن محمد

لوجوب فریضة الحج علی کلّ من الرجل والمرأة شروط أربعة ذکرها الفقهاء وهی: البلوغ والعقل والحریة، والاستطاعة. وهذه الشروط علیها إجماع علماء الإسلام من کلا الفریقین، وقامت علیها أدلّتهم المفصّلة. فمن الکتاب الکریم ولله علی الناس حجّ البیت من استطاع إلیه سبیلًا (۱)

ومن السنّة ذکر کلا الفریقین روایات من طرقه الخاصة علی ذلک. کما اتفقت کلمتهم علی أنه لا یشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج الواجب کما لا ـ یجوز له منعها عنه لولا أن علق بعض العامة- کما سنری- وجوب الحج علی إذن الزوج. هذا کله کان محلّ اتفاق بینهم، إلّا أن الخلاف وقع بینهم فی شرطین آخرین لوجوب الحج یختصّان بالمرأة، وهذان الشرطان هما:

الشرط الأول: أن یکون معها زوجها أو مَحْرم لها أو نسوة ثقات.

الشرط الثانی: ألا تکون معتدة عن طلاق أو وفاة.

وقد ترتبت علی ذلک الخلاف بین فقهاء المسلمین أقوال متعدّدة تبعاً لأدلتها

۱- ۱ آل عمران: ۹۷.

ص: ۶۶

نوجزها فی هذه المقالة:

الشرط الأول

أقوال فقهاء الفرق الإسلامیة:

۱- الإمامیة: إن ما ذهب إلیه فقهاء الإمامیة هو أنه لیس هناک فرق فی وجوب الحج بین الذکر والانثی والخنثی بعد حصول سببه وهو الاستطاعة.

فلا- یشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة. کما لا یشترط لوجوب الحج علیها وجود الزوج أو المحرم لها ویکفی أمن السلامة، وعدم الخوف علیها إذا حجّت وحدها بدون زوج أو محرم (۱).

۱- إذن الزوج:

لا یشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج إذا ما توفرت لها الاستطاعة، ولا یجوز له منعها منه، کما أن منعه لیس معیقاً لسفرها، هذا فی الحج الواجب، وکذا فی الحجّ النذری ونحوه، إذا کان مضیّقاً، وفی المندوب یشترط إذنه، وفی الحج الموسّع قبل تضییقه علی الأقوی، وکذا فی حجة الإسلام له منعها من الخروج مع أول الرفقة مع وجود أخری قبل تضییق الوقت (۲). وهذا ما علیه فقهاء الإمامیة، وإن کان هناک تأملٌ فی الحج النذری.

الروایات:

- عن محمد بن مسلم عن أبی جعفر علیه السلام قال: سألته عن امرأة لم تحج ولها زوج، وأبی أن یأذن لها فی الحج، فغاب زوجها، فهل لها أن تحجّ؟

قال: لا طاعة له علیها فی حجّة الإسلام (۳).

- عن معاویة بن وهب، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السلام: امرأة لها زوج فأبی أن یأذن لها فی الحجّ، ولم تحجّ حجّة الإسلام، فغاب عنها زوجها وقد نهاها أن تحجّ.

فقال: لا طاعة له علیها فی حجّة الإسلام ولا کرامة، لتحجّ إن شاءت (۴).

۱- ۱ المختصر النافع ص ۱۰۳، الروضة البهیة فی شرح اللمعة الدمشقیة ۱/ ۱۶۱، الشرائع ۱/ ۱۶۸، الجواهر ۱۷/ ۳۳۰.

۲- ۲ تحریر الوسیلة للإمام الخمینی قدس سره ۱/ ۳۸۴.

۳- ۳ الوسائل باب: ۵۹ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۱.

۴- ۴ الوسائل باب: ۵۹۱ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۳.

ص: ۶۷

- عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السلام قال: سألته عن امرأة لها زوج وهی صرورة، ولا یأذن لها فی الحجّ.

قال: تحجّ وإن لم یأذن لها (۱).

- وعن الصادق علیه السلام قال: تحجّ وإن رغم أنفه (۲).

- وفی روایة أخری: قال علیه السلام: لیس للزوج منعها من حجّة الإسلام، وإن خالفته وخرجت لم یکن علیها حرج (۳).

- وقال علیه السلام: لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق.

وأیضاً: لا تسخطوا اللّه برضا أحد من خلقه، ولا تتقربوا إلی الناس بتباعد من اللّه. وعن علی علیه السلام قال: لا دین لمن دان بطاعة مخلوق فی معصیة الخالق (۴).

وفی هذا الأمر قال بعض الفقهاء: إنّ ترک الواجب معصیة ولا ریب فی ذلک، فکیف یکون للزوج الحق فی أن یبطل ما صار واجباً بحق غیره وهو لا یستطیع إبطاله بحق نفسه؟ ثمّ إن المولی- سبحانه وتعالی- یعطی سلطنة للآخرین فیما لا یتعارض وسلطنته. والواجبات المفروضة جزء من سلطنته فکیف یمنع ما یعارضها ویناقضها إلّافی حالة التخلی عنها وهذا لا دلیل علیه؟!

هذا فیما إذا وجبت علیها حجة الإسلام، وأما فیما إذا تعلقت ذمتها بحج وجب بالنذر ونحوه. فأیضاً لیس له الحقّ فی منعها منه إذا کان مضیقاً لمراعاة حقّ اللّه الذی ترتب علیها بالنذر ولقوله علیه السلام: «لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق».

فهذا الحدیث بل هذه الأحادیث حاکمة علی أدلة وجوب طاعة الزوج- وإن کان هناک تأملٌ فی الحج الواجب بالنذر وتفصیلٌ ممّا دعا الی التوقف نعرض عنهُ خوف الاطالة (۵)- والنظر إلی هذه الأحادیث یدلنا علی أن موضوع حجّ المرأة التی استقرّ علیها بعد استطاعتها أمر لیس للزوج منعها عنه.

أما فی حالة عدم استطاعتها فإن الحج غیر واجب علیها أی هو مندوبٌ وبالتالی لابدَّ لها من الحصول علی إذن الزوج وله أن یمنعها من هذا الحج ولیس فی

۱- ۱ الوسائل باب: ۵۹ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۴.

۲- ۲ الوسائل باب: ۵۹ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۵.

۳- ۳ الوسائل باب: ۵۹ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۶.

۴- ۴ انظر الوسائل باب ۱۱ من أبواب الأمر والنهی من کتاب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.

۵- ۵ یراجع براهین الحج للکاشانی ۱/ ۲۵۰- ۲۵۱، وتفصیل الشریعة فی شرح تحریر الوسیلة للشیخ فاضل‌اللنکرانی ۱/ ۳۲۲- ۳۲۴.

ص: ۶۸

هـذا معصـیة للخالق؛ لأن المعصـیة تتحقق إذا ما کان هناک وجوبٌ قد وقع، ومنعٌ من الزوج قد حصل. کما أن للزوج أن یمنعها إذا ما کان الواجب موسّـعاً لا مضیّقاً انطلاقاً من «ولا تخرج من بیتها إلّابإذنه» وقد خرج من هذا مورد التضییق فقط، أی إذا کان واجب الحج علیها مضـیقاً، فلها أن تخرج من بیتها، ولیس له منعها، ففی حالهٔ السـعهٔ والحج المندوب لیس فی منعه لها معصـیهٔ، ولا یترتب علیه أی أثر من ذلک، فحق الزوج واجب ولا یفوت بما لیس بواجب.

- عن اسـحاق بن عمار، عن أبی الحسن علیه السلام قال: سألته عن المرأهٔ الموسرهٔ قد حجّت حجهٔ الإسلام، تقول لزوجها: أحجنی من مالی، أله أن یمنعها من ذلک؟

قال: نعم، ویقول لها: حقّی علیک أعظم من حقّک علیّ فی هذا (۱).

۲- الزوج، المحرم، الثقات:

ولأهمیّهٔ التعرّف علی المحرم لغهً وشرعاً نقول:

حَرُم الشـیء، یُحرم حرمـهً: امتنـع، ویقـال حُرم علیه کـذا، أی امتنـع علیه فعله... وحَرَّم الشـیءَ علیه أو علی غیره تحریمـاً جعله حرامـاً... الحرام: الممنوع من فعله...

وفی مفردات الراغب: حرم: الحرامُ: الممنوع منه إنما بتسـخیر إلهی وإما بمنع قهری، وإما بمنع من جهـهٔ العقل، أو من جهـهٔ الشـرع، أو من جهة من یَرتسِمُ أمرَه...

الَمحْرَم: ذو الحرمـهٔ جمعهـا محـارم. والمحَرم من النساء والرجال: هو الـذی یُحرم التزوّج به لرحمه وقرابته. والمحَرَم: الحَرامُ ویقال: هو ذو مَحرَمٍ منها إذا لم یحلّ له نکاحُها...

ومن ذلک: الرَّحِمُ الَمحرَمُ: هو القریب الذی حَرُمَ نکاحه أبداً.

وحریم الرجل: ما یدافع عنه ویحمیه، ومنه سمیت نساء الرجل بالحریم أو أهله.

۱- ۱ الوسائل ۱۱، باب: ۹ من أبواب وجوب الحج، الحدیث ۲.

ص: ۶۹

ومن ذلک سمیت المرأة بالحُرمة. والحرمةُ، حرمة الرجل وأصله وجمعها حُرَمٌ (۱)...

والمحرم مـا حرّمَ اللّه تعالی، ومن ضـمن ما حرم اللّه تعالی النساء اللاتی حرم علی الرجال نکاحهنّ أو تحریم العقـد علیهن لأنه حقیقة فیه... أی یمتنع نکاحهنّ ولهذا بینت الآیة ۲۳ من سورة النساء ما حرم علی الرجال من النساء أی ما امتنع:

حرمت علیکم امهـاتکم وبناتکم وأخواتکم وعماتکم وخالاتکم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتُکم اللاتی أرضـعنکم واخواتکم من الرضاعـة وأمهـات نسـائکم وربـائبکم اللاـتی فی حجورکم من نسائکم اللاتی دخلتم بهنَّ فإن لم تکونوا دخلتم بهن فلا جناح علیکم وحلائلُ أبنائکم الذین من أصلابکم وأن یجمعوا بین الأختین... (۲)

.

فالآیة- بعد تقدیر المضاف أی نکاح أمهاتکم لاسـتحالة تحریم الذوات- بیّنت المحرمات من النساء، نسـباً أو سـبباً «رضاعة ومصاهرة» علی تفصـیل ذکر فی هذه المسألة فی کتب التفسیر والفقه. اضافة إلی زوجة الأب علی تفسیر ولا تنکحوا ما نکح آباؤکم من النساء... (۳)

فهی من المحارم، فیجوز للمرأة السـفر مع محرمها بالنسب والسـبب، هذا وإن ضابط المحرم عند الفقهاء هو مَن حرم علیه نکاحها علی التأبید بسبب مباح لحرمتها بنسب أو سبب وبالتالی یجوز لها أن تسافر مع کل واحد من هؤلاء باعتباره المحرم.

وقد عثرتُ علی رأی للحنابلة، یجعلون فیه الزوج من المحارم قال الحنابلة:

المحرم الذی یشترط للسفر مع المرأة للحج یشمل زوجها ومن تحرم علیه علی التأبید بنسب کأبیها، أو الرضاع کأخیها من الرضاعة، أو المصـاهرة کـأبی زوجهـا وابن زوجهـا. ودخل الزوج فی مفهوم المحرم هنا مع کونه یحلّ لها وتحلّ له؛ لحصول المقصود بسـفره معها وهو حفظها وصیانتها.

فقد جعلوا الزوج من المحارم لأنه یؤدی الفرض نفسه الذی یؤدیه المحرم فی

۱- ۱ انظر المنجد، المختار من صحاح اللغة، المعجم الوسیط، القاموس الفقهی لغة واصطلاحاً.

۲- ۲ النساء: ۲۳.

۳- ۳ النساء: ۲۲.

ص: ۷۰

سفرها من أمن وسلامة ورعاية، وقد استدلوا على مدعاهم هذا بالحديث الذى أخرجه البخارى عن ابن عباس أنه سمع النبى صلى الله عليه و آله يقول: «ولا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلّا معها ذو محرم، ولا تسافر المرأةُ إلّامع ذى محرم، فقام رجل وقال: يا رسول اللَّه إن امرأتى خرجت حاجّةً وإننى أكتتب فى غزوة كذا وكذا. قال صلى الله عليه و آله: فانطلق واحجج مع امرأتك».

وجه الدلالة بهذا الحديث أن الزوج داخل فى مفهوم المحرم هنا أو قائم مقامه.

أقول: ولا أرى ضرورة لهذا الدمج بين المَحْرم والزوج خاصة بعد أن فرّقت روايات أخرى بينهما كالحديث التالى: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلّاومعها ذو محرم منها أو زوجها» وكالحديث الذى أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لا ـ يحلُ لامرأةٍ تؤمن باللَّه واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلّامعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو ذو محرم منها» فالمقصود بهذا أن الذى يجوز للمرأة مرافقته فى سفرها والذى هو شرط لوجوب الحج عليها هو الزوج ومن هو مَحرم عليها على التأبيد. وأما بالنسبة للحديث الأول، فبما أنها سافرت وليس معها محرم، أمره الرسول بالذهاب مع زوجته، وليس معنى هذا أنه محرم. كما ليس هناك من دليل على أننا إذا اطلقنا كلمة محرم فإنّ هذا الاطلاق يشمل الزوج ومن يحرم عليها على التأبيد.

وقد ذكر الزوج فى أحاديث أخرى صراحة بجانب المحرم ممّا يدل على التفريق بينهما.

ثم إننا إذا عدنا إلى العرف واستعمالاته فإنه يميز بين اللفظتين، ويقول هذا زوج لها وهذا محرم.

هذا اضافة إلى الجانب اللغوى لكلمة محرم الذى يعنى فيما يعنيه من معانى «امتنع» أى امتنع عليه نكاحها وليس هذا حال الزوج... وقد عرّفت الحنفية المَحرم بأنه هو الذى لا يحل له زواجها بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع.

ص: ۷۱

کما أننا ذکرنا أن المحرم من حرم علیه نکاحها علی وجه التأبید أی حرمهٔ أبدیهٔ، فلا یشمل المُلاعن بالنسبهٔ لزوجته التی لاعنها، فإن تحریمها علیه بعد اللعان والتفریق بینهما فرقهٔ مؤبدهٔ إنما هو تحریم علی وجه العقوبهٔ والتغلیظ ولیس لحرمتها، فلا یکون المُلاعن حرماً لها (۱).

أما شروط المَحرم فهی أن یکون: مسلماً بالغاً، عاقلًا، قادراً. أما وظیفته: فهی حفظ المرأهٔ بتوفیر الأمن والسلامهٔ لها، وهذا لا یحصل إذا کان المحرم صبیاً أو مجنوناً أو مریضاً أو عاجزاً عن تلک المهمهٔ المناطهٔ به.

أقوال فقهاء الفرق الإسلامیهٔ:

۱- الإمامیهٔ: لا تتوقف استطاعهٔ المرأهٔ لأداء فریضهٔ الحج ووجوب هذه الفریضهٔ علی وجود المحرم. هذا ما نراه فی الروایات ثمّ فی أقوال فقهاء الإمامیهٔ.

الروایات

عن صفوان الجمال قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: قد عرفتنی بعملی، تأتینی المرأهٔ أعرفها بإسلامها وحبّها إیاکم، وولایتها لکم لیس لها محرم، قال: إذا جاءت المرأهٔ المسلمهٔ فاحملها، فإن المؤمن محرم المؤمنهٔ، ثم تلا هذه الآیهٔ: والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولیاء بعض.

عن سلیمانِ بن خالد، عن أبی عبداللَّه علیه السلام فی المرأهٔ ترید الحج لیس معها محرم، هل یصلح لها الحج؟ فقال: نعم، إذا کانت مأمونهٔ.

وفی روایهٔ: عن المرأهٔ تحج إلی مکهٔ بغیر ولی؟ فقال: لا بأس، تخرج مع قوم ثقات.

وفی روایهٔ أخری:... إن کانت مأمونهٔ تحج مع أخیها المسلم.

وفی روایهٔ:... إذا کانت مأمونهٔ ولم تقدر علی محرم فلا بأس بذلک.

... لا بأس أن تحج المرأهٔ الصرورهٔ مع قوم صالحین إذا لم یکن لها محرم ولا زوج (۲).

۱- ۱ الفقه الإسلامی وأدلته للزحیلی- الاستطاعهٔ.

۲- ۲ انظر وسائل الشیعهٔ ۹ باب ۵۸ من أبواب الحج.

ص: ۷۲

أقوال الفقهاء:

نذكر الآن شيئاً مما قاله بعض فقهاء الإمامية:

يقول السيد الإمام: لا يشترط وجود الَمحرم فى حجّ المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كانت ذات بعل أو لا... (۱) «وليس المحرم شرطاً فى وجوب الحج عليها مع الاستغناء عنه عند علمائنا» (۲) وعن الجواهر:

فلا يشترط حينئذ فى وجوب الحج وجود المحرم فى النساء مع عدم الحاجة إليه، بل يكفى غلبة ظنها بالسلامة على نفسها وبضعها للرفقة مع ثقات، وكونها مأمونة أو غير ذلك بلا خلاف أجده فيه بيننا؛ لصدق الاستطاعة بعد جواز خروجها مع عدم الخوف نصّاً وفتوى بدونه (۳).

ويمكن استفادة ذلك كله من لسان الروايات حيث إن ما يظهر منها ومن أقوال الفقهاء أن الغرض من استصحاب الزوج أو المحرم أو من تثق بدينه هو السلامة والأمن، فإذا ما توفر لها هذان العنصران فلا حاجة ولا ضرورة لرفقة الزوج أو المحرم؛ لأن رفقتهما إنما تُطلب لتوفير السلامة لها، وها هى قد توفرت لها.

لاحظ التعليل الوارد فى أقوال الفقهاء لا يشترط وجود المحرم فى حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، وقد ورد هذا التعليل فى لسان جملة من الروايات والأخبار:

ففى صحيح ابن خالد عن أبى عبد اللّه عليه السلام: «المرأة تريد الحج وليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال عليه السلام: نعم، إذا كانت مأمونة». أو (.. امرأة تحج بغير ولى فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات).

ولا ـ فرق بين كونها ذات بعل أم لا وذلك لوجود شرط الوجوب وهو الاستطاعة ولدلالة الأخبار الكثيرة عليه (۴)، وفى صحيح ابن عمار عنه عليه السلام: «عن المرأة تحجّ بغير ولىّ؟ قال عليه السلام: لا بأس. وإن كان لها زوج أو أخ أو ابن أخ فأبوا أن

۱- ۱ تحرير الوسيلة ۱/ ۳۸۴.

۲- ۲ التذكرة، الذخيرة.

۳- ۳ الجواهر: ۱۷/ ۳۳۰.

۴- ۴ براهين الحج للكاشانى ۱/ ۲۵۱.

ص: ۷۳

یحجوا بهـا، ولیس لهم سـعة فلا ینبغی لها أن تقعـد، ولا ینبغی لهم أن یمنعوها» وظهوره فی عـدم الفرق بین من لها زوج ومن لا زوج لها ممّا لا ینکر.

هذا فی حالة کونها آمنة فعلیها أن تخرج للحج ولیس لهم منعها.

وأما فی حالـة کونها غیر آمنـة فیجب علیها حینئـذٍ استصـحاب المحرم لو قَبل الرفقـةَ ولو بالإجرة، مع تمکنها منها، ومع عدم قدرتها لا تکون مستطیعة، لکون ذلک من مؤن الحج، فمع التمکّن منها یجب، ومع العدم لا وجه للوجوب.

یقول السـید الإمام:... ومع عـدم الأمن یجب علیها استصـحاب مَحرم أو مَن تثق به ولو بالإجرة، ومع العدم لا تکون مسـتطیعة ولو وجد ولم تتمکن من إجرته لم تکن مستطیعة... (۱) ویقول صاحب الجواهر: نعم، لو توقف حجّها علیه للخوف بـدونه، اعتبر حینئذ، وإن لم یجب علیه الإجابـة، ولو اقترح اجرة أو نحوهـا وجب علیهـا مع اسـتطاعتها لـذلک، وإن کان أزیـد من اجرة المثل، وإلّا لم یجب الحجُّ علیها، ضرورة کونه کغیره حینئذ من المقدمات التی فرض توقف الحج علیها.

بعد هذا یمکن القول: إنه لا وجه لاختصاص الحکم بالزوج أو بالَمحرم بعد أن عرفنا أن الواجب علی المرأة المستطیعة استصحابَ من تثق به لسـلامتها وأمنها ولو لم یکن زوجاً أو محرماً: «تخرج مع قوم ثقات» بل یجب علیها الحج إذا کانت مأمونة، «تحج بغیر محرم إذا کانت مأمونة».

وعن صفوان الجمّال، قال: قلتُ لأبی عبداللَّه علیه السلام: قد عرفتنی بعملی، تأتینی المرأة أعرفها بإسلامها وحبّها إیاکم، وولایتها لکم، لیس لها محرم، قال: إذا جاءت المرأة المسـلمة فاحملها، فإنّ المؤمن محرم المؤمنـة، ثمّ تلا هـذه الآیة: والمؤمنون و المؤمنات بعضـهم أولیاء بعض (۲)

.

وهـذا ما اسـتفاده الشـیخ فی النهایـة: وینبغی أن لا تخرج إلّامع ذی محرم لها من أب أو أخ أو عمّ أو خال، فإن لم یکن لها أحـد ممّن ذکرناه، جاز لها أن تخرج مع مَن

۱- ۱ تحریر الوسیلة ۳۸۴ /۱.

۲- ۲ الوسائل الباب: ۵۸، وجوب الحج وشرائطه، الحدیث ۱،؟؟؟.

ص: ۷۴

تثق بدينه من المؤمنين.

فإذا كانت مأمونةً يجب عليها إذن أن تؤدى فريضة الحج ومناسكها التى علقت على الأمان، أما إذا لم تكن كذلك فيجب على المرأة أن تبذل وسعها لاستصحاب من تستطيع معه أن تكون سالمة آمنة مطمئنة غير خائفة ولو بأن تستأجر محرماً، وإنما يجب ذلك عليها من جهة كون الامتثال أى امتثال الفريضة متوقفاً عليه لخطورة وأهمية حفظ العرض والفرج والنفس، ويكون ذلك من قبيل مقدمة الواجب التى يجب عليها تحصيلها، اللهم إلّاأن يترتب على سعيها ذلك ذلة لها أو يشقّ عليها فعند ذلك يسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفى العسر والحرج وقد (لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً، فالاستطاعة حينئذ غير حاصلة (۱).

أما إذا كان وجوب الحج أو الاستطاعة معلقاً على وجود المحرم، ولأن تحصيل الاستطاعة ليس واجباً عليها، فبالتالى لا يجب عليها بذل جهدها لتحصيل المحرم.

نعم قد ينتقل عملها إلى الاستنابة.

الاستنابة: فى البداية لابدّ من ملاحظة ما يلى:

أولًا: اطلاق أدلة التكليف توجب على المكلف الحى أداء ما كلّف به بنفسه وبمباشرته له. وللّه على الناس حجّ البيت....

ثانياً: أن فعل الشخص الآخر خارج عن قدرة ذلك المكلف؛ لهذا فالاستنابة وهى فعل الغير تحتاج إلى دليل آخر.

ثالثاً: ولو وجد الدليل واستناب المكلف، فسقوط التكليف بفعل النائب هذا يحتاج أيضاً إلى دليل آخر.

فالاستنابة إذن خلاف الأصل، إلّاأن النيابة عن الحى فى الحج- شريطة

۱- ۱ مستند العروة الوثقى: ۱/ ۲۸۶ للسيد الخوئى.

ص: ۷۵

استطاعته أولًا. وشريطة وجود العسر والحرج والضرر ثانياً. وثالثاً عدم علم المكلف بارتفاع ذلك العسر والحرج والضرر، أو عدم علمه بحصول الأمن والسلامة فى السنوات اللاحقة- خرجت النيابة عن الحى فى الحج عن الأصل للروايات الخاصة وبالتالى فلا إشكال فيها. هذا ملخّص ما ذكره بعض الفقهاء عند تعرضهم لمسألة الاستنابة.

فالمرأة التى وجب عليها الحجّ ولم يتوفر لها الأمان والسلامة وحفظ الفرج والعرض فيجب- على قول- عليها الاستنابة فى هذه الحالة.

تقول الروايات:

محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: كان على عليه السلام يقول: لو أن رجلًا أراد الحج فعرض له مرض، أو خالطه سقم فلم يستطع الخروج فليجهز رجلًا من ماله ثمّ ليبعثه مكانه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:... وإن كان موسراً وحال بينه وبين الحج مرض أو حصر أو أمر يعذره اللَّه تعالى فيه فإنّ عليه أن يحجّ عنه من ماله صرورة لا مال له.

... وعن الإمام أبى جعفر عليه السلام عن أبيه أن علياً عليه السلام قال لرجل كبير لم يحج قط:

إن شئت ان تجهّز رجلًا ثم ابعثه يحجّ عنك...

وفى رواية أخرى: إن شئت فجهّز رجلًا ثمّ ابعثه يحجّ عنك.

وعلى ضوء هذه الروايات التى ذكرنا قسماً منها اختلفت آراء الفقهاء بين وجوب الاستنابة واستحبابها، فالذى ذهب إلى الوجوب كان ذلك مستنداً إلى ظاهر الروايات التى تدل على الوجوب، فى حين استند الفريق الثانى فى ذهابه إلى الاستحباب إلى أن بجانب هذه الروايات روايات أخرى تعلق الأمر فيها على المشيئة وبالتالى فهى لا تدل على الوجوب بل على عدمه، فرفعوا اليد عن الأدلة الظاهرة فى الوجوب وحملوا المسألة (الاستنابة) على الاستحباب.

ص: ۷۶

وهنا يمكن أن يرد السؤال التالي: إذا كانت الاستنابة مستحبةً عليها وبالتالي لها الحق في عدم الاستنابة، فهل تحج مع الحرج وعدم السلامة أم أنها لا تحج، علماً بأن وجوب الحج عند الإمامية مبني على الفور لا التراخي الذي يُعمل به عند بعض المذاهب الأخرى، فيؤجل الحج حتى يتوفر عنصرا السلامة والأمان؟ وهذا ما أجاب عنه البحث الفقهي في كون عنصرا الأمن والسلامة إن كانا جزءاً من الوجوب والاستطاعة فلا يجب عليها السعي لتحصيل الاستطاعة؛ لأن تحصيلها ليس بواجب، وبالتالي تكون غير مستطيعة فلا حجّ عليها. وإن كان الأمن والسلامة من المقدمات للواجب فعليها تحصيلهما أو تحصيل ما يؤدي إليهما إلّاإذا ترتب عليها في ذلك مهانة وحرج فيسقط وجوب الحج عليها لقاعدة نفي العسر والحرج.

أما إذا حجت مع عدم توفر عنصري الأمن والسلامة صحّ حجّها على تفصيلٍ بأن جُعل وصولها الميقات هو الحدّ الفاصل للصحة وعدم الصحة، وخلاصته: أن حالة الخوف الحاصل وعدم الأمن إن كان قبل الميقات- وها هي قد وصلت الميقات- فقد أجزأ عملها عن حجة الإسلام بعكس ما لو كان الخوف وعدم الأمن قد حصلا بعد الميقات ففي صحة حجّها إشكال وإن ذهب صاحب العروة الوثقى إلى اقوائية الصحة.

وتوضيح ذلك كما ذكر السيد الخوئي: إنّ الخوف الحاصل قد يكون في خصوص الطريق قبل الوصول إلى الميقات، وقد يكون من الميقات وما بعده، فإن كان على النحو الأول فلا ريب في الحكم بالصحة، لاقتران جميع الأعمال بالشرائط المعتبرة كالأمن وعدم الخوف، والمفروض زوال الخوف بالوصول إلى الميقات. نعم لا يجب عليها الحج من أول الأمر، ولا يلزم عليها تحمل السفر المستلزم للخطر، بل ربما يكون السفر أو الخروج من الدار محرماً فالاستطاعة حينئذ غير حاصلة.

وأما لو تحملت السفر المستلزم للخوف، وزوال الخوف عند الميقات، فقد

ص: ۷۷

حصلت الاستطاعة هناک ویجب علیها الحجّ وصحّ حجّها، لعدم خلل فی أفعاله وأجزائه.

وإن کان علی النحو الثانی، وکان الخوف وعدم الأمن حصلا من المیقات وما بعده، فقد استشکل البعض فی صحة حجها، وصرّح بعضٌ آخر بعدم اجزائه، بینما ذهب ثالث إلی تفصیل انتهی به إلی أن العبرة فی الحکم بالصحة بالأمن الواقعی، والأمن الحاصل لها طریق إلی الواقع مستدلًا بصحیح معاویة بن عمار: (عن المرأة تحجّ إلی مکّة بغیر ولی، فقال: لا بأس تخرج مع قوم ثقات) حیث علق وجوب الحج علیها بکون القوم ثقات، ومن المعلوم أن الوثوق طریق إلی الواقع لا أنه مأخوذ فی الحکم (۱).

بعد ذلک ننتقل إلی معرفة آراء الفرق الإسلامیة الأخری:

* الشافعیة: لهم رأیان:

الأول: وهو المشهور عندهم وعلیه جمهورهم وهو المستفاد ممّا عندهم من نصوص وروایات، والقائل بعدم وجوب الحج علیها إلّاإذا کانت برفقة محرم لها أو زوج أو نسوة ثقات وإلّا لم یلزمها الحج؛ لأن الشرط لوجوب هذه الفریضة علیها عند أصحاب هذا الرأی هو حصول الأمن لها والسلامة علی نفسها، وهذا ما یتوفر لها بالزوج أو المحرم أو وجود نسوة یتصفن بالثقة والعدالة ولو وجدت امرأة واحدة وإن کانت ثقة فلا یجب علیها الحج، ولکن یجوز لها الحج معها.

الثانی: فی حین ذهب فریق منهم إلی رأی آخر یختلف عن الأول کثیراً فی مسألة الجواز والوجوب.

حیث یقول: یلزمها الحج بوجود نسوة ثقات أو امرأة واحدة ثقة، وقد یکثر الأمن ولا تحتاج إلی أحد بل تسیر وحدها فی جملة القافلة، وتکون آمنة.

وقد اختلفوا أیضاً فی خروجها لحج التطوع وسفر الزیارة والتجارة ونحو ذلک من الأسفار التی لیست واجبة، فقال بعضهم: یجوز لها الخروج فیها مع نسوة

۱- ۱ مستند العروة الوثقی، السید الخوئی.

ص: ۷۸

ثقات کحجة الإسلام، وقال الجمهور: لا یجوز إلّامع زوج أو محرم، یقول النووی: وهذا هو الصحیح للأحادیث الصحیحة.

وأما بخصوص إذن الزوج فقد نقل فی مغنی المحتاج أن الشافعیة قالت: لیس للمرأة حجّ التطوع إلّابإذن زوجها، وکذا لحج الفریضة فی الأصح فی المذهب (۱).

وهذا بخلاف ما نقله بعضٌ من أنهم (فقهاء المذاهب الإسلامیة) اتفقوا علی أنه لا یشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج الواجب (۲).

* المالکیة: قالت: یشترط لوجوب الحج علی المرأة أن تجد محرماً من محارمها یسافر معها للحج، أو یخرج معها زوجها إن کانت ذات زوج، ویقوم مقام المحرم الرفقة المأمونة فی سفر الفرض فقط. والرفقة المأمونة قد تکون من النساء فقط، أو من الرجال فقط، أو من مجموع الجنسین (۳).

قال الدسوقی فی حاشیته:... فی حق المرأة أن تجد محرماً من محارمها یسافر معها أو زوجاً لقول رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لا یحل لامرأة تؤمن باللَّه والیوم الآخر أن تسافر یوماً ولیلة إلّاومعها محرم...» (۴).

* الظاهریة: قالت: المرأة التی لا زوج لها ولا ذا محرم یحج معها فإنها تحجّ ولا شیء علیها، فإن کان لها زوج ففرض علیه أن یحج معها، فإن لم یفعل فهو عاصٍ للَّه تعالی، وتحج من دونه ولیس له منعها من حج الفرض، ولکن له منعها من حج التطوع. فقد قال ابن حزم فی الفقه الظاهری:... ولیس له منعها فی فرضٍ، وله منعها من حج التطوع (۵) وقد احتج ابن حزم وغیره من الظاهریة بقوله تعالی: وللَّه علی الناس حجّ البیت من استطاع إلیه سبیلًا. فالحج واجب فی هذه الآیة ولم یشترط أو یعلق هذا الواجب علی وجود المحرم أو الزوج، فحال المرأة حال جمیع المسلمین فی أن الحج واجب علی من توفرت الاستطاعة عنده وهو ما یتّفق مع رأی الإمامیة.

أما موقفهم إزاء الأحادیث الناهیة عن سفر المرأة إلّامع محرم أو زوج، فقد

۱- ۱ انظر مغنی المحتاج: ۱/ ۴۶۸.

۲- ۲ الفقه المقارن، جناتی.

۳- ۳ الشرح الصغیر للدردیر، حاشیة الصاوی ۲۶۳- ۲۶۴، حاشیة الدسوقی ۲/ ۹- ۱۰.

۴- ۴ الدسوقی فی حاشیة علی الشرح الکبیر ۲/ ۹، وانظر ۷/ ۱۰۷ من موسوعة الفقه الإسلامی.

۵- ۵ المحلی ۷/ ۴۷، موسوعة الفقه الإسلامی ۷/ ۱۲۲، نیل الأوطار للشوکانی ۴/ ۳۲۶ باب النهی عن سفر المرأةللحج إلّابمحرم.

ص: ۷۹

عدوها أحاديث عامة لكل سفر إلّاالسفر الواجب، وبما أن سفر الحج واجب فقد استثنى من نواهى السفر المذكورة.

ولم ينجو قول ابن حزم من الردّ عليه بأن يقال: إن اشتراط المحرم أو الزوج لا يتعارض مع الآية المذكورة. لأن وجودهما من جملة الاستطاعة المطلوبة لوجوب الحج. ولم تكن الاستطاعة متوقفة فقط على وجود الزاد والراحلة دون الشروط الأخرى التى منها وجود الزوج أو المحرم للمرأة.

ويواصل صاحب هذا القول كلامه بقوله: لأنا نقول: إن أحاديث النهى عن سفر المرأة إلّامع زوج أو محرم تضمنت اشتراط وجود الزوج أو المحرم مع وجود الزاد والراحلة بالنسبة لسفر الحج، وهذه الزيادة غير منافية لشرط الزاد والراحلة فيتعين قبولها... (۱)*

الزيدية: قالت: وجود المحرم للمرأة هو شرط أداء لحجها، وليس هو شرط وجوب، كما أن هذا هو فى حقّ الشابة، أما فى حق العجوز فليس بشرط، فيجوز لها الخروج إلى الحج مع نساء ثقات أو مع غيرهن (۲). كما جعلوا اجرة المحرم جزءاً من الاستطاعة، ويلزمها المحرم إذا كانت المسافة بريداً (۳) فصاعداً أو ثلاثة أيام فصاعداً (۴).

* الحنابلة: قالوا: لا يجب الحج على المرأة التى لا محرم لها ولا زوج، وقد نصّ على ذلك الإمام أحمد، فقد قال أبو داود، قلت لأحمد: امرأة موسرة لم يكن لها محرم، هل يجب عليها الحجّ؟ قال: لا، وقال المحرم من السبيل. وعنه أن المَحرم لحفظها، فهو كأمن الطريق، وإمكان المسير.

وعن أحمد أيضاً: أن المحرم من شرائط الأداء لا الوجوب، وعلى هذا من فاتها الحج بعد إكمال شرائط الوجوب بموت أو بمرض لا شفاء منه أخرج من مالها ما يحج به عنها. ولكن المذهب عند الحنابلة هو الأول، أى أن وجود المحرم- أو الزوج- من شرائط الوجوب واحتجوا لمذهبهم بجملة من الأحاديث التى منها:

۱- ۱ انظر مغنى المحتاج ۱/ ۴۶۸.

۲- ۲ شرح الأزهار ۲/ ۶۵- ۶۶، موسوعة الفقه الإسلامى ۷/ ۱۲۳، الفقه الإسلامى وأدلته، الاستطاعة.

۳- ۳ البريد: فرسخان.

۴- ۴ موسوعة الفقه الإسلامى ۷/ ۱۲۳ الاستطاعة.

ص: ۸۰

الدارقطنی بإسناده عن ابن عباس أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «لا تحجن امرأة إلّاومعها ذو محرم»..

ولأنها لا یمکنها الحـج بلا محرم، فإذا امتنع من الحج معها- مع أن نفقته علیها لأنها کالراحلة- فهی کمن لا محرم لها وبالتالی لا تحج (۱).

أما فی مسألـة إذن الزوج فقـد ذهبوا إلی أنه یسـتحب للمرأة أن تسـتأذن زوجها فی حجـة الفریضة، فإن أذن لها فیها، وإلّا خرجت بغیر إذنه إذا وجدت المحرم، أما فی حج التطوع فلابدّ من اذنه.

قال ابن المنـذر: أجمع کلّ من أحفظ عنه من أهل العلم أنه له منعها من الخروج فی حـجّ التطوع، وذلک لأن حقّ الزوج علیها واجب، فلیس لها تفویته بما لیس بواجب (۲).

ومعنی هذا أن لها تفویت حقه بواجب وهو حجّة الإسلام.

* الاباضیة:

وملخص ما ذهبوا إلیه أن المرأة تحج مع زوج أو محرم، فإن منعها زوجها أو أبوها وکانت مستطیعة لم یلزمها الحج.

فإن لم تجد زوجاً أو محرماً فلها أن تسافر مع ثقات یمنعونها من الضـرر کمنعهم أنفسـهم وإن لم تجد فلها أن تستأجر، وإلّا سقط عنها الحج (۳).

* الحنفیـة: قالت:- بعـد أن قسـموا الاسـتطاعة إلی أنواع ثلاثة: البدنیة والمالیة والأمنیة وجعلت سـلامة المرأة من النوع الثالث- یشترط لحـج المرأة أن یکون معها زوجها أو محرم لها، فإن لم یوجـد أحـدهما لا یجب علیها الحـج فبعـد أن میزوا بین شـروط وجوب الحج عنـدهم وشـروط الأـداء لانهم یفرقون بین الوجوب وبین الأداء ذکروا شـروطاً أربعـة للأداء کان ثالثها: وجود زوج أو محرم للمرأة، لا فرق بین أن تکون المرأة شابـة أو عجوزاً إذا کـان بینها وبین مکّـة ثلاثـة أیام فأکثر؛ أما إذا کانت المسافـة أقل من ذلک، فیجب علیها أداء الحج وإن لم یکن

۱- ۱ موسوعة الفقه الإسلامی- المجلس الأعلی للشؤون الإسلامیة- باب الاستطاعة ۷/ ۱۱۹ المغنی ۳/ ۲۳۶- ۲۳۷، ۲۳۸.

۲- ۲ المغنی ۳/ ۲۴۰.

۳- ۳ موسوعة الفقه الإسلامی، الاستطاعة ۷/ ۱۳۰.

ص: ۸۱

معها محرم ولا زوج؛ والمحرم هو الذى لا يحل له زواجها بسبب النسب؛ أو المصاهرة أو الرضاع. هذا وان ابن عابدين فى الوقت الذى عدّ أمن الطريق والمحرم من شروط الاداء، فقد عدّها الكاسانى من شروط الوجوب وقال:... ولأنها إذا لم يكن معها زوج أو محرم لا يؤمن عليها، إذ النساء لحم على وضم (الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير...) إلّاما ذبّ عنه.

وقال أيضاً فى خصوص قوله تعالى: ولِلّه على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا: هذهالآية لاتتناول النساء حالعدم الزوج أوالمحرم؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها، فتحتاج إلى من يركبها، وينزلها، ولا يجوز ذلك لغير الزوج والمحرم فلم تكن مستطيعة فى هذه الحالة فلا يتناولها النصّ ... (۱)وقد ذكر فى البدائع أنهم قالوا: لها أن تخرج مع المحرم فى حجة الفريضة من غير إذن زوجها إذا وجدت المحرم مع وجود الزاد والراحلة لها وله، فقد استطاعت إلى حج البيت سبيلًا فوجب عليها الحج، وإذا قيل: إن حق الزوج فى الاستمتاع بها يفوت بخروجها، فيجب أخذ إذنه، فإن أذن خرجت، وإن أبى لم تخرج؛ لأن الحج على التراخى لا على الفور، فإنا نقول: إن منافع الزوجة والاستمتاع بها من قبل زوجها مستثناة من حق الزوج فيها فى أوقات أداء الزوجة الفرائض كما فى الصلوات الخمس وصوم رمضان، فكذلك فى حج الفريضة بخلاف حج التطوع إذا منعها فعليها الامتناع (۲).

اقول: وفرق كبير بين الصلاة والصوم التى تكون على مقربة من زوجها وبين فريضة تتطلب سفراً طويلًا وغياباً لأيام وليالى، فالقياس على الصلاة والصيام لا أظنه ينهض دليلًا على ما ذهبوا إليه من استثناء.

وذكروا للمحرم شروطاً فقالوا: ويشترط فيه أن يكون مأموناً عاقلًا بالغاً، ولا يشترط كونه مسلماً.

واحتجوا بجملة أحاديث، كما احتجوا بأن حجّها بدون المحرم أو الزوج

۱- ۱ موسوعة الفقه الإسلامى، الاستطاعة ۷/ ۱۰۲.

۲- ۲ البدائع ۲/ ۱۲۴.

ص: ۸۲

يعرضها للفتنة وهذا ضرر بها، والضرر مرفوع شرعاً (۱).

الادلة:

إن الـذين اشترطوا وجود الزوج أو المحرم للمرأة لوجوب الحـج عليها، احتجوا بالأحاديث الصـحيحة الثابتـة عنـدهم التى تـدل على ما ذهبوا إليه، التى منها:

* اخرج الإمـام البخـارى عن ابن عبـاس: «لا تسافر المرأة إلّامع ذى محرم، ولا يـدخل عليها رجل إلّاومعها محرم. فقال رجل: يا رسول اللَّه إنى أريد أن أخرج فى جيشِ كذا وكذا، وامرأتى تريدُ الحجَّ، فقال صلى الله عليه و آله: اخرج معها» (۲).

* وأخرج عبدالرزاق وغيره عن ابن عيينة عن عكرمة عن النبى صلى الله عليه و آله: «ولا تحجنَّ امرأة إلّاومعها محرم» (۳).

* واخرج الإمام مسـلم عن أبى سـعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه و آله: «نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين إلّاومعها زوجها أو ذو رحم...» (۴).

* وعن نـافع عن عبـداللَّه بن عمر عن النبى صـلى الله عليه و آله قـال: لاـ يحـلّ لاـمرأة تؤمن باللَّه واليوم الآخر تسافر مسـيرة ثلاث ليالٍ إلّاومعها ذو محرم.

فى حين احتج القائلون: بأن للمرأة أن تحجّ وحدها، ولا يشترط لوجوب الحج عليها وأداءه وجود الزوج أو المحرم بهذه الأدلة:

۱- الآية وللَّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا فالحج فى هذه الآية لم يعلّق وجوبه إلّاعلى الاستطاعة.

۲- حديث عدى بن حاتم الذى قال فيه: «بينا أنا عند رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله إذا أتاه رجل فشـكا إليه الفاقةَ. ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قطع السبيل، فقال صـلى الله عليه و آله: يا عـدى، هل رأيت الحيرة؟ قال عـدى: لم أرها وقد أُنبئتُ عنها. قال صـلى الله عليه و آله: فإن طالت بكَ حياةٌ لترَيَنَّ الظعينـةَ ترتحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبـة، لا تخاف أحداً إلّااللَّه، قال عدى: فرأيتُ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف

۱- ۱ موسوعة الفقه الإسلامى، الاستطاعة ۷/ ۱۰۳.

۲- ۲ صحيح البخارى بشرح العسقلانى ۳/ ۷۲.

۳- ۳ صحيح البخارى بشرح العسقلانى ۴/ ۷۵.

۴- ۴ صحيح مسلم بشرح النووى ۹/ ۱۰۶.

ص: ٨٣

إلّا اللَّه...» (١).

فبعض فقهاء العامة أخذوا بهذا الحديث واستدلوا به على جواز سفر المرأة وحدها. فی حين ذهب بعض آخر منهم إلى أن هذا الحديث لا ينفعنا فی مسألة جواز سفر المرأة وحدها فضلًا عن وجوبه، لأنه أمر مستقبلی أخبر به الرسول وأنه سيقع هذا لا غير فهو من النبؤات المستقبلية، وبالتالی لا يصمد هذا الحديث أمام الأحاديث الناهية عن سفر المرأة وحدها (٢).

وقد ردّ هذا بأن هذا الخبر ورد عن الرسول صلى الله عليه و آله ولم يستنكره أو يعبر عن استيائه بل هی حالة ممدوحة (... حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلّااللَّه) ولأنها مبعث على السرور والمدح فيمكن أن تدل على جواز سفرها...

٣- القياس: فقد اتخذ هذا الفريق ممّن أسلمت فی دار الحرب، وأن لها الحق فی أن تخرج إلى دار الإسلام وحدها. وليس هذا فقط بل الأسيرة المسلمة إذا تخلصت من أسر الكفار، فإن لها الخروج إلى دار الإسلام وحدها. اتخذ من ذلك دليلًا على أنه يجوز للمرأة إذن أن تخرج وحدها إلى الحج قياساً على جواز خروجها وحدها إلى دار الإسلام.

ويرد عليه أنه قياس مع الفارق؛ لأن خروج المرأة المسلمة وحدها إلى دار الإسلام فی هاتين الحالتين هو خروج للضرورة، فلا يصح أن يقاس عليه خروج المسلمة للحج فی حال السعة والاختيار.

وقد اضاف هذا الفريق فی رده قائلًا: إن الفقهاء اختلفوا فی الحج هل هو على الفور أو على التراخی؟

فإن قلنا بالتراخی فممّا يجعل سفرها حتى يوجد المحرم أو الزوج أولى من سفرها وحدها.

ثمّ إن الأسيرة ومن أسلمت فی دار الحرب، إنما تدفعان بخروجهما وحيدتين ضرر بقائهما بين الكفار بتعرضهما للفتنة أو الاعتداء على عرضهما فجاز لكل

١- ١ صحيح البخاری- باب علامات النبوة فی الإسلام، بشرح العسقلانی ۶/ ۶۱۰- ۶۱۱.

٢- ٢ المغنی ٣/ ٢٣٨.

ص: ۸۴

واحدة منهما دفع هذا الضرر بتحمل ضرر السفر لوحدها، وهو ضرر مظنون ولیس هو مثل ضرر بقائهما فی دار الکفر...

أما فی السفر إلی الحج وحدها ففیه ضرر محتمل تتحمله المرأة دون دفع أی ضرر أصلًا (۱).

وفرق القاضـی فی مسألـة الهجرة ومسألـة الحـج قائلًا: واتفق العلماء علی أنه لیس لها أن تخرج فی غیر الحـج والعمرة إلّامع ذی محرم إلّاالهجرة من دار الحرب فاتفقوا أن علیها أن تهاجر منها إلی دار الإسلام وإن لم یکن معها محرم.

والفرق بینهما أن إقامتها فی دار الکفر حرام إذا لم تسـتطع إظهار الـدین، وتخشـی علی دینها ونفسـها، ولیس کذلک التأخر عن الحج فإنهم اختلفوا فی الحج هل هو علی الفور أم علی التراخی؟ وقد ذهبوا إلی التراخی وبالتالی یصح لها تأخیر الحج.

وفی روایـة للـدارقطنی عن أبی أمامـة مرفوعـاً: (لا- تسـافِرُ المرأةُ سـفرَ ثلاثـة أیـام أو تحـجّ إلّاومعها زوجها أو لا تحجنّ امرأة إلّاومعها زوجها» (۲) و «لا- تسـافر المرأة ثلاثـة إلّاومعها ذو محرم» (۳) واحتـج ابن حزم لمـذهبه بحـدیث أبی معبد عن ابن عباس قال: سـمعت رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله یخطب ویقول: «لا- یَخْلُوَنَّ رجـلٌ بـامرأةٍ ولا تُسافر امرأةٌ إلّامع ذی محرمٍ. فقام رجل فقال: یا رسولَ اللَّه إنّ امرأتی خرجت حاجّةً وإنی اکتتبتُ فی غزوة کذا أو کذا. فقال صلی الله علیه و آله: انطلقْ فاحجُجْ مع امرأتک» (۴).

وقـد اسـتدل ابن حزم بهـذا: لأن نهیه علیه الصـلاة والسـلام عن أن تسافر امرأة إلّا مع ذی محرم- وقع- أی وقع سـفر المرأة بدونه- ثمّ سـأل الرجـل عن امرأته التی خرجت حاجـةً لا مع ذی محرم، ولا مع زوج، فأمره النبی صـلی الله علیه و آله بأن ینطلق فیحـجّ معها، ولم یأمر صلی الله علیه و آله بردّها، ولا عاب سفرها إلی الحجّ دونه ودون ذی محرم.

ویمکن هنا ردّ اسـتدلال ابن حزم بأنه لو لم یکن ذلک- أی وجود المحرم أو الزوج مع المرأة فی سفرها- شرطاً لما أمر صلی الله علیه و آله زوجها بالسفر معها وترک الغزو الذی کتب فیه (۵). ولما ورد عن نافع وعن روایات أخری ذکرها مسلم فی (سفر المرأة مع

۱- ۱ المغنی ۳/ ۲۳۸.

۲- ۲ انظر الفقه الإسلامی وأدلته ص ۳۶، وعن نیل الأوطار ۴/ ۴۹۱.

۳- ۳ انظر الفقه الإسـلامی وأدلته ص ۳۶، متفق علیه عنـد البخاری ومسـلم وأحمـد عن ابن عمر، عن نیل الأوطار ۴/ ۲۹۰، باب النهی عن سفر المرأة للحج... أورد ثلاث روایات عن ابن عباس وابن عمر وعن أبی سعید وعن أبی هریرة.

۴- ۴ متفق علیه عن ابن عباس، واللفظ لمسلم سبل السلام ۲/ ۱۸۳.

۵- ۵ المحلی ۷/ ۴۷- ۵۱، نیل الأوطار للشوکانی ۴/ ۲۹۱- ۲۹۲.

ص: ٨٥

محرم إلى حج وغيره) (١).

رفقة النساء الثقات:

رفقـة النسـاء الثقات هی الاخری تقوم مقام الزوج أو المحرم فی سـفر المرأة للحـج هـذا ما رآه الإمام البخاری اسـتناداً إلی ما رواه فی صحيحـه: أن عمر بـن الخطـاب قـد أذن لأزواج النـبی صـلی الله عليـه و آلـه فی آخر حجّـة حجّهـا، فبعـث معهـن عثمـان بـن عفـان وعبدالرحمن بن عوف، ثمّ كان عثمان بعد عمر بن الخطاب يحج بهن فی خلافته أيضاً.

وبعـد ذكر هذا يقولون: إن وجه الدلالة بحج أمهات المؤمنين برفقة عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف أن هذا الأمر حصل باتفاق عمر وعثمان وعبدالرحمن ابن عوف ونساء النبی ودون نكير عليهن من غيرهم من الصحابة.

ومن هـذا كله يسـتفيدون أيضـاً الاجماع علی جواز سـفر المرأة للحـج برفقـة نساء ثقات، لأن أمهات المؤمنين كن ثمانيـة فی سـفرهن للحج، وقد ذكر ابن حجر العسـقلانی فی شرحه «لصحيح البخاری» من حديث أم معبد الخزاعية، الذی أخرجه ابن سعد، قالت: «رأيت عثمان وعبدالرحمن فی خلافة عمر حجّا بنساء النبی صلی الله عليه و آله فنزلن بقديد، فدخلت عليهن وهن ثمان».

وأمـا المالكيـة: فيقولون: إن الرفقـة المأمونـة تقوم مقـام الزوج والمحرم ولكن بشـرط إن كانت الرفقـة نساء فقط أو نساء ورجالًا فنساء النبی صـلی الله عليه و آله أكثر من واحـدة بدلالـة الحـديث الآخر عن أمّ معبد الخزاعية، ولا يسـتدل علی كفاية الرفقة إن كانت رجالًا فقط.

فالمالكية يشترطون إذن لصحة الرفقة وجود نساء أو نساء ورجال ثقات.

الشرط الثانی

أما بالنسبة إلی الشرط الثانی لوجوب الحج علی المرأة، وهو ألا تكون معتدة

١- ١ صحيح مسلم بشرح النووی ٩/ ١٠٢- ١٠٩.

ص: ۸۶

من طلاق أو وفاة، فنقول:

إن الإماميـة ذهبوا إلى أن المطلّقـة فی عدّتها الرجعية يجوز لها أن تؤدى حجة الإسـلام إذا اسـتطاعت، لأن البينونة فی العدّة الرجعية لا تحصل إلّابعد انقضاء هذه العدّة فحالها حال الزوجة فی عدم كون إذن زوجها شـرطاً فی اسـتطاعتها أو فی وجوب حجة الإسـلام عليها وليس له منعها، وأما فی الحج المندوب والموسّع فهی تحتاج الى إذن زوجها وله منعها.

أما البائنة فلها ان تحج حجاً واجباً أو مندوباً مضيّقاً أو موسّعاً فی عدّتها لإنقطاع عصمتها من الزوج.

أما التی توفی عنها زوجها، فهی أيضاً لها ان تحج الحج الواجب أو المندوب..

لانتفاء إذن الزوج بانتفاء وجوده.

الروايات

* عن معاوية بن عمار عن أبی عبداللّه عليه السلام فی حديث قال: لا تحجّ المطلقة فی عدتها.

فهـذه الرواية- وبالنظرة الأولى لها- عامة تشـمل كلَّ مطلقة وكلَّ صاحبة عدّة، ولكن نظراً لانقطاع عصـمة المرأة البائنة من زوجها فقد ملكت نفسـها بـذلك وليس له سلطنة عليهـا بعـد وقوع البينونـة تلك وبالتالی فلا تحتاج إلى إذنه، ولا تكترث بمنعه لو حـدث، إذا ما أرادت أن تحج حجاً واجباً أو مستحباً..

فعن سـعيد بن أبی خلف فی المطلقة، قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن شیء من الطلاق، فقال: إذا طلق الرجل امرأة طلاقاً لا يملك فيه الرجعة، فقد بانت منه ساعة طلّقها وملكت نفسها ولا سبيل له عليها (۱).

وكذلك المتوفى عنها زوجها لها أن تحج واجباً كان الحج أو مستحباً فی عدتها لانتفاء وجود الزوج بوفاته.

لهذا كله فقد خرجت كلّ من البائنة والمتوفى عنها زوجها حكماً وموضوعاً

۱- ۱ وسائل الشيعة، كتاب الطلاق- أبواب الطلاق/ الباب ۲۰.

ص: ۸۷

من هذه الروایة وکذلک من الآیة التی ستأتی.

بقی عنـدنا الحالة الثالثة وهی المرأة المطلّقة رجعیاً فی عدّتها، التی لا تحصل البینونة فیها إلّابعد انقضاء العدة کما قلنا، لذلک علیها ان تبقی فی بیتها وهو بیت الزوجیـة طیلة فترة العدّة لا تُخرج منه ولا تَخرج منه، إلّاإذا أتت بفاحشة مبینة کما فی الآیة التالیة: لا تُخرجوهنّ من بیوتهنّ ولا یَخرجن إلّاأن یأتینَ بفاحشـةٍ مبیّنـة فلیس للزوج إخراجها منه مادامت تقضـی فترة عـدتها من طلاقها الرجعی، ولیس لها هی الأخری أن تَخرج من هذا البیت إلّالضرورة ظاهرة فإن خرجت فقد اثمت کما عن مجمع البیان (۱).

وإنمـا ألزمت بالبقـاء فی بیت زوجها لا کعقوبـة لها ولکن لإعطاء فرصـة أخری لکلّ من الزوج والزوجـة لیراجع کلٌ منهما نفسه، فلعل الحیاة الزوجیة الطیبة تعود من جدید بینهما ویعیشا بالمعروف..

وهـذه المرأة إذا أرادت أن تؤدی حجاً مسـتحباً أو موسـعاً- فقـد جاءت هـذه الروایـة وغیرها من الروایات لتوضّـح لنا- أن علیها أن لا تخرج فی هـذه الحالـة من بیتهـا، ولابـدّ لهـا من إذن زوجهـا وإذا منعها لیس لها مخالفته؛ لأن المطلقـة الرجعیـة بحکم الزوجـة، وهـذا بعکس ما لو اسـتطاعت ووجبت علیها حجّ ة الإسـلام، فلها أن تخرج فی هـذه الحالـة من بیتها لتؤدی فریضـة الحـج فحالها- لاسـتمرار عنوان الزوجیة علیها- حال الزوجة المسـتطیعة التی اسـتقر علیها الحج فی عدم کون إذن زوجها شرطاً فی استطاعتها وفی وجوب الحج علیها، کما لیس له منعها من هذا الحج.

فـإذن اضافـةً الی الاسـتثناء الوارد فی الآیـة:.. إلّاأن یأتینَ بفاحشـةٍ مبیّنـة، یسـتثنی امرٌ آخر- اسـتناداً الی الروایات- وهو أن تخرج لأداء فریضـة الحج التی اسـتقرت علیها بسـبب اسـتطاعتها دون الحج المسـتحب أو الموسّع علماً بأن صاحب الوسائل حمل روایة معاویة هذه علی أن المراد لا تحج تطوّعاً فی عدّتها الرجعیة

۱- ۱ مجمع البیان سورة الطلاق الآیة ۱.

ص: ۸۸

بدون إذن الزوج.

*... عن محمد بن مسلم عن أحدهما علیهما السلام قال: المطلّقة تحجّ فی عدتها، وهذه الروایة عامّة أیضاً تشمل الحج سواءً أکان حجاً واجباً أو مستحباً.

*... عن منصور بن حازم: إن کانت صرورة حجّت فی عدتها، وإن کانت حجت، فلا تحج حتی تقضی عدتها.

فهذه الروایة المرسلة، تدل مع المطلقة تحجّ فی عدتها حجّة الإسلام دون الحج المندوب.

أما روایات حج المرأة وهی فی عدة وفاة زوجها فهی:

* عن داود بن الحصین، عن أبی عبداللَّه علیه السلام قال: سألته عن المتوفی عنها زوجها، قال: تحجّ وإن کانت فی عدّتها.

* وعن زرارة، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن المرأة التی یتوفی عنها زوجها، أتحجّ؟ فقال: نعم.

* وعن عبداللَّه بن بکیر، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن المتوفی عنها زوجها، تحجّ فی عدّتها؟ قال: نعم، وتخرج وتنتقل من منزل إلی منزل (۱).

أما الحنفیة فقد اشترطوا لوجوب حج المرأة بأن لا تکون معتدة أیة عدّة کانت، سواء أکانت فی عدّة طلاق أو فی عدة وفاة... فإذا کانت معتدة وقت خروج أهل بلدها للحج فلا یجب علیها الحج.

دلیلهم:

۱- الآیة: ولا تخرجوهنَّ من بیوتهنّ ولا یخرجن فقد نهی اللَّه تعالی المعتدات عن الخروج.

۲- ولما روی أن عبداللَّه بن عمر، وعبداللَّه بن مسعود ردّا المعتدات من المیقات.

۳- ولأن الحج یمکن أداؤه فی وقت آخر، أما العدة فلابد من قضائها فی وقتها

۱- ۱ وسائل الشیعة ۱۱/ ۱۵۹ باب ۶۱.

ص: ۸۹

أی لها وقت مخصوص وهو ما بعد الطلاق أو الوفاة مباشرة، فكان الجمع بین الأمرین أولی بل المتعین.

وأما إذا لزمتها العدة بعد خروجها للسفر، فإن كانت العدة من طلاق رجعی، فإن علی زوجها أن لا یفارقها؛ لأن الطلاق الرجعی لا یزیل الزوجیة، ولكن الأفضل أن یُراجعها زوجها.

وإن كانت العدة من طلاق بائن أو عن وفاة یُنظر: فإن كانت المسافة بینها وبین بلدها أقل من مدة السفر، أی أقل من مسیرة ثلاثة أیام، والی مكّة مدة السفر، أی: مسیرة ثلاثة أیام، فإنها ترجع إلی بلدها؛ لأنه لیس فیه إنشاء سفر، فصار كأنها فی بلدها، وإن كانت المسافة بینها وبین مكّة أقل من مدة السفر.

وإن كانت المسافة من الجانبین أقل من مدة السفر فهی بالخیار إن شاءت مضت إلی مكّة، وإن شاءت رجعت الی بلدها.

وإن كان من الجانبین مدة سفره فإن كانت فی المصر فلیس لها أن تخرج حتی تنقضی عدتها فی قول أبی حنیفة، وإن وجدت محرماً. وعند أبی یوسف ومحمد: لها أن تخرج إذا وجدت محرماً، ولیس لها أن تخرج بلا محرم، وإن كان ذلك فی المفازة أو فی بعض القری بحیث لا ـ تأمن علی نفسها ومالها، فلها أن تمضی فتدخل فی موضع الأمن، ثم لا تخرج منه فی قول أبی حنیفة سواء وجدت محرماً أو لم تجد، وعند أبی یوسف ومحمد: تخرج إذا وجدت محرماً.

هذا هو مذهب الحنفیة (۱).

الحنابلة:

وأما عند الحنابلة: لا تخرج إلی الحج فی عدة الوفاة نصّ علیه أحمد، قال:

ولها أن تخرج إلیه فی عدة الطلاق البائن؛ لأن لزوم المنزل والمبیت فیه واجب فی عدة الوفاة، وقدم علی الحج لأنه یفوت، والطلاق البائن لا یجب فیه ذلك.

وإن كانت فی عدّة طلاق رجعی فإن هذا الطلاق لا یرفع النكاح، فهی

۱- ۱ الفقه الإسلامی وأدلته ۳/ ۳۷ للدكتور الزحیلی، والفقه علی المذاهب الأربعة، وانظر البدائع ۲/ ۱۲۴.

ص: ۹۰

زوجته ما دامت فی العـدة، وإذا خرجت للحـج فتوفی زوجها، فإن كانت قريبـة من بلـدها رجعت لتعتـد فی بيتها، وإن كانت بعيدة عن بلدها مضت فی سفرها إلی الحج (۱).

الهوامش:

تحوّل القبلة ومسجد القبلتين

۱- ۱ انظر المغنی ۳/ ۲۴۰- ۲۴۱.

ص: ۹۱

ص: ٩٢

ص: ٩٣

تحوّل القبلة ومسجد القبلتين

محمد على المقدادى

قال اللّه تبارك وتعالى فى كتابه العزيز:

سَيَقُولُ السُّفَهآءُ مِنَ النَّاسِ ماوَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتى كانُوا عَلَيْها قُلْ للّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدى مَنْ يَشآءُ الى صِراطٍ مُسْتَقيم* وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ امَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتى كُنْتَ عَلَيْهآ الَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَانْ كانَتْ لَكَبيرَةً الَّا عَلَى الَّذينَ هَدَى اللّهُ وَما كانَ اللّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ إنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحيمٌ* قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه وَإنَّ الَّذِينَ اوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ اوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ ايَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اهْوآءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إنَّكَ اذاً لَمِنَ الظَّالِمينَ* الَّذينَ اتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَه كَما يَعْرِفُونَ أَبْنآءَهُمْ وَإن

ص: ۹۴

فَريقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّک فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرينَ* وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلّيها فاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَميعاً إنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ* وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَک شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإنَّه لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّک وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَک شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَه لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلَّاالَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱)

.

إن تحوّل القبلة من بيت المقدس (۲) إلی الكعبة المشرَّفة من أهم الوقائع التی حدثت فی غرب المدينة المنورة، بعد هجرة رسول اللَّه صلی الله عليه و آله إليها من مكّة المكرّمة، وبعد مضی أكثر من أربع عشرة سنة من أداء الصلاة ودفن الموتی وذبح الذبائح إلی القبلة الاولی ببيت المقدس.

هذه الواقعة حوت مراتب كبيرة من الامور الدينية والتشريعية والأخلاقية والتربوية والتأريخية، نستعرضها فی خمسة محاور وباللَّه التوفيق.

أولًا: البواعث التی أدّت إلی تحويل القبلة.

ثانياً: تفسير الآيات الواردة حول هذا الموضوع.

ثالثاً: الروايات الواردة فی شأن نزول تلک الآيات الشريفة.

رابعاً: ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبلة أولًا، ثم الكعبة ثانياً؟

خامساً: زمان تحول القبلة ومكانه، وكيفية وقوعه.

۱- البواعث التی أدّت إلی تحويل القبلة

لا شک فی أنّ رسول اللَّه صلی الله عليه و آله لم يزل مطيعاً لأوامر اللَّه سبحانه وراضياً بها، ولم يكن فی نفسه الشريفة كراهة حتی للحظة واحدة بالنسبة إلی القبلة الأولی، لأن الكراهة لا تجتمع مع الإطاعة، ولكنه كان منتظراً ومتوقعاً نزول الوحی فی أمر

۱- ۱ سورة البقرة: ۱۴۲- ۱۵۰.

۲- ۲ قراءة «بيت المَقْدِسْ» أو «البيت المقدّس» كل من القراءتين صحيحة انظر: المنجد، حرف الباء: ۵۵.

ص: ۹۵

القبلة، كما يشير إليه القرآن الكريم: قد نَرى تقلُّبَ وجهك فی السماء... (۱)

وذلک لبواعث نذكر بعضها:

۱- نقل المفسرون والمؤرخون أن اليهود كانوا يعيّرون المسلمين، ويتفاخرون عليهم ويقولون: نحن أقدم منكم زماناً لعبادهٔ اللَّه نحو الصخرهٔ فی بیت المقدس، وأنتم اتّبعتم قبلتنا، فاغتمّ رسولُ اللَّه صلی الله علیه و آله بذلک غمّاً شدیداً، كما دلّت علیها الأخبار الواردهٔ من طرق الفريقين، الشيعهٔ والسنهٔ، سنذكرها.

قال العلّامهٔ الطباطبائی قدس سره: إن اليهود كانوا امّهٔ لا يرون لغير المحسوس من عالم الطبيعهٔ أصالهٔ، ولا لغير الحسّ وقعاً، إذا جاءَهم حكم من أحكام اللَّه معنوی، قبلوه من غير تكلم عليه، وإذا جاءَهم أمر من ربّهم صوری متعلق بالمحسوس من الطبيعهٔ كالقتال والهجرهٔ والسجدهٔ وخضوع القول وغيرها، قابلوه بالانكار وقاوموا عليه ودونه أشد المقاومهٔ.

وبالجملهٔ فقد أخبر اللَّه سبحانه عمّا سيعترضون به علی تحويل القبلهٔ وعلّم رسوله ما ينبغی أن يجابوا ويقطع به قولهم.

أمّا اعتراضهم: فهو أن التحول عن قبلهٔ شرعها اللَّه سبحانه للماضين من أنبيائه إلی بيت ما كان به شیء من هذا الشرف الذاتی، ما وجهه؟ فإن كان بأمر من اللَّه، فإن اللَّه هو الذی جعل بیت المقدس قبلهٔ فكيف ينقض حكمه وينسخ ما شرعه، واليهود ما كانت تعتقد النسخ (كما تقدم فی آيهٔ النسخ)، وإن كان بغير أمر اللَّه ففيه الانحراف عن مستقيم الصراط والخروج من الهدايهٔ إلی الضلال، وهو تعالی وإن لم يذكر فی كلامه هذا الاعتراض، إلّاأن ما أجاب به يلوّح بذلک؟

وأمّا الجواب: فهو إنّ جعل بيت من البيوت كالكعبهٔ، أو بناء من الأبنيهٔ أو الأجسام كبيت المقدس، أو الحجر الواقع فيه قبلهٔ، ليس لاقتضاء ذاتی منه يستحيل التعدّی عنه، أو عدم إجابهٔ اقتضائه، حتی يكون البيت المقدّس فی كونه

۱- ۱ سورهٔ البقرهٔ: ۱۴۴.

ص: ۹۶

قبلة لا ـ يتغيّر حكمه ولا يجوز إلغاؤه، بل جميع الأجسام والأبنية وجميع الجهات التى يمكن أن يتوجه إليه الإنسان فى أنها لا تقتضى حكماً ولا ـ يستوجب تشريعاً على السواء، وكلها للّه، يحكم فيها ما يشاء، وكيف يشاء، ومتى يشاء، وما حكم به من حكم فهو لهداية الناس على حسب ما يريد من صلاحهم وكمالهم الفردى والنوعى، فلا يحكم إلّاليهدى به ولا يهدى إلّاإلى ما هو صراط مستقيم إلى كمال القوم وصلاحهم (۱).

۲- قال الزمخشرى: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يتوقع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان؛ لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود، فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحى بالتحويل (۲).

۳- وذكر أن الباعث للتحويل هو اختبار المسلمين وامتحانهم لاتّباع النبى صلى الله عليه و آله بما أمرهم به وما نهاهم عنه، قال الإمام أبو محمد العسكرى عليه السلام: إن هوى أهل مكّة كان فى الكعبة، فأراد اللّه أن يبين متبع محمّد صلى الله عليه و آله من مخالفيه، باتباع القبلة التى كرهها، ومحمّد صلى الله عليه و آله يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة فى بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليبيّن من يوافق محمداً صلى الله عليه و آله فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه... الحديث (۳).

۴- وقد ذكر أيضاً، أن الكعبة كانت مشغولة فى صدر الإسلام بأصنام المشركين وأوثانهم، وكان السلطان معهم، والإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره وقدرته، فهدى اللّه رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبلة لليهود، الذين هم أقرب فى دينهم من المشركين إلى الإسلام، ثمّ لمّا ظهر أمر الإسلام بهجرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى المدينة، قرب زمان الفتح وتوقع تطهير البيت من أرجاس الأصنام، جاء الأمر بتحويل القبلة (۴).

وسنذكر مطالب اخرى فى المحور الرابع إن شاء اللّه تعالى.

۱- ۱ الميزان ۱: ۳۱۷، ۳۱۸.

۲- ۲ الكشّاف ۱: ۲۰۲.

۳- ۳ البرهان فى تفسير القرآن ۱: ۱۵۹.

۴- ۴ الميزان ۱: ۳۲۹.

ص: ۹۷

۲- تفسير الآيات المباركة حول التحويل

الآيات الواردة في سورة البقرة من رقم ۱۴۲ إلى ۱۵۰ تحكي واقعة تحويل القبلة، وما هو مربوط بتلك الواقعة من توطين الرسول صلى الله عليه و آله نفسه للجواب عمّا يثيره اليهود والمشركون حول هذه المسألة، ومن ابتلاء المسلمين، وقبول صلواتهم تجاه القبلة الأولى من قِبلِ اللّه سبحانه وتعالى، وغيرها من النكات.

وقد ادّعى بعض المفسرين تقدم بعض هذه الآيات على بعضها الآخر ونسخ بعضها بعضاً، قال العلّامة الطباطبائي قدس سره:

الآيات مترتبة متّسقة منتظمة في سياقها على ما يعطيه التدبر فيها وهي تنبئ عن جعل الكعبة قبلة للمسلمين، فلا يصغى إلى قول من يقول: إن فيها تقدماً وتأخراً، أو إن فيها ناسخاً ومنسوخاً، وربما رووا فيها شيئاً من الروايات، ولا يعبأ بشيء منها بعد مخالفتها لظاهر الآيات (۱).

إذا عرفت هذا فلنشرع ببيان ما ورد في تفسير هذه الآيات البينات، ولنبدأ بما قاله المفسر المتألّه الفيض الكاشاني رحمه الله قال:

قوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين، وفائدة تقديم الإخبار به، توطين النفس وإعداد الجواب ما وَلّيَهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس قل للّه المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان يهدى مَن يشاء إلى صراط مستقيم وهو ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجّه إلى بيت المقدس تارةً، وإلى الكعبة اخرى (۲).

وقال العلّامة الطباطبائي قدس سره في ذيل هذه الفقرة من الآية الشريفة: قل للّه المشرق والمغرب، اقتصر من بين الجهات بهاتين لكونهما المعينتين لساير الجهات الأصلية والفرعية، كالشمال والجنوب، وما بين كل جهتين من الجهات

۱- ۱ المصدر نفسه ۱: ۳۱۷.

۲- ۲ تفسير الصافي: ۴۹.

ص: ۹۸

الأربعة الأصلية، والمشرق والمغرب جهتان إضافيتان تتعينان بشروق الشمس أو النجوم وغروبهما، يعمان جميع نقاط الأرض غير نقطتين موهومتين، هما نقطتا الشمال والجنوب الحقيقيتان، ولعل هذا هو الوجه فی وضع المشرق والمغرب موضع الجهات.

ثمّ ذكر قدس سره للفقرة الأخيرة من الآية الشريفة يهدی من يشاء إلی صراط مستقيم ما هذا لفظه: تنكير الصراط، لأن الصراط يختلف باختلاف الامم فی استعداداتها للهداية إلی الكمال والسعادة (۱).

قوله تعالی:... وما جعلنا القبلة التی كنت عليها إلّالنعلم من يتَّبع الرسول... وما كان اللَّه ليضيعَ إيمانكم إنّ اللَّه بالناس لرءُوف رحيم

ذكر الزمخشری (۲) أن رسول اللَّه صلی الله عليه و آله كان يصلی بمكّة إلی الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلی صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثم حوّل إلی الكعبة ثانياً بعد الهجرة.

ثم نقل الزمخشری عن ابن عباس: كانت قبلته بمكّة بيت المقدس، إلّاأنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه.

أقول: إن الزمخشری بعد أن ادّعی ذلك لم يذكر دليلًا للمدّعی بل نقل عن ابن عباس تلك الرواية التی ذكرناها تعارض ما قال ولا تفيده شيئاً.

نعم، بما أن رسول اللَّه كان موحِّداً ومؤمناً إبراهيمياً وكان عابداً للَّهسبحانه وتعالی من أوّل عمره إلی آخره فهل صلواته فی مكّة المكرّمة قبل البعثة وبعدها كانت تجاه الكعبة أو بيت المقدس؟ لهذا البحث مجال واسع يتطلب محلًا آخر.

وقال السيد عبداللَّه شبَّر (۳): وقيل: المراد الكعبة، أی ما رددناك إلی ما كنت عليها إلّالنعلم الثابت من المرتد لأنه صلّی اللَّه عليه وآله كان يصلّی بمكّة إليها.

هذا، ولكن روی الفيض الكاشانی قدس سره فی تفسيره الصافی، عن كتاب الاحتجاج أنه: «لما كان رسول اللَّه صلی الله عليه و آله بمكّة أمره اللَّه عزّوجلّ أن يتوجّه نحو بيت المقدس فی صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يمكن استقبل بيت

۱- ۱ الميزان ۱: ۳۱۹.

۲- ۲ الكشاف ۱: ۲۰۰.

۳- ۳ تفسير شُبَّر: ۶۱.

ص: ۹۹

المقدس كيف كان، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يفعل ذلك طول مقامه بها...» (۱).

وأنت كما ترى لا يمكن أن يكون مثل هذه الطائفة من الأخبار دليلًا لو فرض أن الزمخشرى وغيره قد استفاد منها، وسياق الآيات الكريمة وظاهرها لا يساعده، مع أنّه نجد غير واحد من المفسرين يخالف هذا الادّعاء كالفيض الكاشانى والعلامة الطباطبائى و....

قال فى تفسير الميزان: وظاهر الآية أنه دفع لما يختلج فى صدور المؤمنين من تغيير القبلة ونسخها، ومن جهة الصلوات التى صلّوها إلى القبلة، وما شأنها؟

ويظهر من ذلك أن المراد بالقبلة التى كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليها، هو بيت المقدس لا الكعبة، فلا دليل على جعل بيت المقدس قبلة مرتين، وجعل الكعبة قبلة مرتين، إذ لو كان المراد من القبلة فى الآية الكعبة، كان لازم ذلك ما ذكر (۲).

وفى تفسير آلاء الرحمن: وما جعلنا القبلة التى كنت عليها ظاهر قوله تعالى فى الآية التى بعد هذه فلنولّينك قبلة أنها نزلت قبل تحوله صلى الله عليه و آله إلى الكعبة، وظاهر السوق أن هذه الآية نزلت قبل تلك، مع أن ظاهر قوله تعالى: التى كنت عليها كنت تتوجّه إليها فيما مضى وصرفت عنها، فتشكل هذه الظواهر.

ولأجل ذلك قال بعضهم: إنّ كان تامة بمعنى أنت عليها. وقال فى الكشاف:

إن التى كنت عليها مفعول ثان لجعلنا، والمقصود من الموصول مكة، أى وما جعلنا القبلة مكة. وفيه تعقيد ومخالفة للاعتبار مع أن الإشكال المذكور على حاله.

ويرتفع من أصله بأن قوله تعالى: كنت عليها لا يختص بما بعد الانصراف عنها وانقطاع الكون، بل قيل باعتبار الكون الماضى وتوجهه صلى الله عليه و آله إلى البيت المقدس أشهراً عديدة من دون نظر إلى الانقطاع نحو: وكان اللَّه غفوراً رحيماً أى: وما جعلنا بيت المقدس قبلة لك هذه المدة إلّالِنعلم اللام للعاقبة، والحصر إنما هو باعتبار العاقبة لا حكمة التشريع (۳).

قوله تعالى:... إلّالِنَعلم مَن يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن

۱- ۱ تفسير الصافى: ۴۹.

۲- ۲ الميزان ۱: ۳۲۴ والمراد من قوله رحمه الله: «جعل بيت المقدس قبلة مرتين وجعل الكعبة قبلة مرتين» أى: مرة فى مكّة المكرّمة ومرّة أخرى فى المدينة المنوّرة.

۳- ۳ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ۱: ۱۳۴.

ص: ۱۰۰

كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى اللّه وما كان اللّه ليضيع إيمانكم إن اللّه بالناس لرَءُوف رحيم (۱)

قال البلاغى رحمه الله فى تفسيره: وكبيرة ثقيلة، ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش والعرب إلّاالذين هداهم اللّه إلى الإيمان برسول اللّه صلى الله عليه و آله فيعلمون أن ذلك أمر من اللّه الحكيم وما كان اللّه ليضيع ايمانكم إن اللّه بالناس لرَءُوف رحيم فى الكافى عن ابن أبى عمير الزبيدى عن أبى عبداللّه عليه السلام فى الآية: إن اللّه سمّى الصلاة ايماناً. وذكر الصدوق فى الفقيه: قال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول اللّه؟ فأنزل ذلك. وذكر أنّه أخرج حديثه فى كتاب النبوة. وفى رواية العياشى: أنّه لما حولت القبلة قالوا: ما حالنا؟ أى فى صلاتنا الماضية، وما حال من مضى فى صلاتهم إلى بيت المقدس؟

فأنزل اللّه: وما كان اللّه ليضيع ايمانكم. وفى الدرّ المنثور عن ابن عباس نحوه وصحّحه الحاكم (۲).

ونقل الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس قال: لمّا وجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلون نحو بيت المقدس؟

فأنزل اللّه جلّ ثناؤه: وما كان اللّه ليضيع إيمانكم ونقل أيضاً عن أبى إسحاق عن البراء قال: مات على القبلة قبل أن تحول إلى البيت رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل اللّه تعالى ذكره: وما كان اللّه ليضيع إيمانكم (۳)

.

قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولّينك قبلةً ترضيها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام....

تقدم سابقاً تفسير هذه الآية الشريفة فى المحور الأول من المباحث فراجع.

قال على بن إبراهيم القمى رحمه الله فى تفسيره: إن اليهود كانوا يعيرون برسول اللّه صلى الله عليه و آله ويقولون: أنت تابع لنا، تصلى إلى قبلتنا، فاغتم من ذلك رسول اللّه صلى الله عليه و آله غمّاً شديداً، وخرج فى جوف الليل ينظر فى آفاق السماء ينتظر بأمر اللّه تبارك وتعالى فى ذلك، فلمّا أصبح وحضرت صلاة الظهر كان فى مسجد

۱- ۱ سورة البقرة: ۱۴۳.

۲- ۲ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ۱: ۱۳۵.

۳- ۳ جامع البيان ۲: ۱۱.

ص: ۱۰۱

بنی سالم [بنی سلمة] (۱) قد صلی بهم الظهر رکعتین، فنزل جبرئیل علیه السلام فأخذ بعضدیه فحوّله إلی الکعبهٔ... (۲).

قال العلامهٔ الطباطبائی قدس سره: قوله تعالی: وإن الذین اوتوا الکتاب لیعلمون أنّه الحق من ربهم وذلک لاشتمال کتابهم علی صدق نبوهٔ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أو کون قبلهٔ هذا النبی الصادق هو شطر المسجد الحرام، وأیّاً ما کان فقوله: اوتوا الکتاب یدل علی اشتمال کتابهم علی حقیقهٔ هذا التشریع، إمّا مطابقهً أو تضمناً وما اللَّه بغافل عمّا یعملون من کتمان الحق، واحتکار ما عندهم من العلم (۳).

قوله تعالی: ولئن أتیت الذین اوتوا الکتاب بکلّ آیهٔ ما تبعوا قبلتک وما أنت بتابع قبلتهم... (۴)

.

قال البلاغی رحمه الله: ولئن أتیت الذین اوتوا الکتاب ولم یوفقوا للإیمان بک بکل آیهٔ ما تبعوا قبلتک أی الکعبهٔ وما أنت بتابع قبلتهم اتباعاً خصوصاً بعدما أُمرت بالتوجه شطر المسجد الحرام وما بعضهم بتابع قبلهٔ بعض فإن النصاری تتوجّه إلی المشرق والیهود إلی بیت المقدس ولئن اتبعت أهواءَهم...

هذا توبیخ لهم وتبکیت بأنهم أصحاب أهواء فاسدهٔ لا یتبعها إلّاالظالمون.

وخوطب بذلک رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لقطع أطماعهم ولبیان فضله، لأنه لا یتّبع أهواءَهم أبداً بدلیل قوله تعالی: وما أنت بتابع قبلتهم (۵)

.

وفی المیزان: قوله تعالی: ولئن أتیت الذین اوتوا الکتاب بکل آیهٔ تقریع لهم بالعناد واللجاج، وأنّ اباءَهم عن القول لیس لخفاء الحق علیهم، وعدم تنبیه لهم، فانهم عالمون بأنّه حق علماً لا یخالطه شک، بل الباعث لهم علی بث الاعتراض وإثارهٔ الفتنهٔ، عنادهم فی الدین وجحودهم للحق، فلا تنفعهم حجهٔ، ولا تقطع إنکارهم آیهٔ، فلو أتیتهم بکل آیهٔ ما تبعوا قبلتک لعنادهم وجحودهم، وما أنت بتابع قبلتهم؛ لأنک علی بیّنهٔ من ربک، ویمکن أن یکون قوله: وما أنت نهیاً فی صورهٔ خبر، وما بعضهم بتابع قبلهٔ بعض، وهم الیهود یستقبلون صخرهٔ

۱- ۱ الصحیح ما ذکرناه بین المعقوفتین، فراجع المحور الخامس من البحث، وانظر الخریطهٔ رقم ۱.

۲- ۲ تفسیر القمی ۱: ۶۳.

۳- ۳ المیزان ۱: ۳۲۶.

۴- ۴ سورهٔ البقرهٔ: ۱۴۵.

۵- ۵ آلاء الرحمن فی تفسیر القرآن ۱: ۱۳۶- ۱۳۷.

ص: ۱۰۲

بيت المقدس أينما كانوا، فلا هذا البعض يقبل قبلة ذاك البعض، ولا ذاك يقبل قبلة هذا اتباعاً للهوى (۱).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله فى التبيان: قوله: وما أنت بتابع قبلتهم قيل فى معناه أربعة أقوال:

أولها- أنّه لمّا قال: ولئن أتيت الـذين اوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم... على وجه المقابلة كما تقول: ما هم بتاركى إنكار الحق وما أنت بتارك الاعتراف به، فيكون الذى جرّ الكلام، التقابل للكلام الأول، وذلك حسن من كلام البلغاء.

الثانى- أن يكون المراد أنه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم، لأن النصارى يتوجهون إلى المشرق، واليهود الى بيت المقدس، فبيّن اللّه تعالى أن رضا الفريقين محال.

الثالث- أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود، إذ كانوا طمعوا فى ذلك وظنوا أنه يرجع إلى الصلاة إلى بيت المقدس وماجوا فى ذكره.

الرابع- أنه لما كان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل اللّه تعالى الآية، ليرتفع ذلك التجوّز (۲).

ثم إنه ذكر الشيخ الطوسى رحمه الله قولين آخرين فى ذكر هـذه الفقرة من الآية: وما بعضهم بتابع قبلة بعض هذا نصّه: قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، والسدى، وابن زيد، والجبائى: إنه لا يصير النصارى كلهم يهودياً، ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام.

وهذا من الإخبار بالغيب.

[ثانيهما]- وقال غيرهم: معناه إسقاط الاعتدال بأنّه مخالفة لأهل الكتاب، الذين ورثوا ذلك عن أنبياء اللّه بأمره إياهم به، فكلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح فى بعض الأزمان (۳).

۱- ۱ الميزان ۱: ۳۲۶.

۲- ۲ التبيان ۱: ۱۹- ۲۰.

۳- ۳ المصدر نفسه ۱: ۲۰.

ص: ۱۰۳

قوله تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم... (۱)

.

قال الطبرسی رحمه الله: أخبر اللَّه سبحانه بأنهم يعرفون النبی صلی الله عليه و آله وصحهٔ نبوته فقال الذين آتيناهم أی أعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم يعرفونه أی يعرفون محمداً صلی الله عليه و آله وأنّه حقّ كما يعرفون أبناءَهم (۲)

...

ونری فی تفسير الميزان: الضمير فی قوله: يعرفونه راجع إلی رسول اللَّه صلی الله عليه و آله دون الكتاب، والدليل عليه تشبيه هذه المعرفهٔ بمعرفهٔ الأبناء، فإن ذلك إنما يحس فی الإنسان، ولا يقال فی الكتاب إن فلاناً يعرفه أو يعلمه، كما يعرفه ابنه، علی أن سياق الكلام- وهو فی رسول اللَّه صلی الله عليه و آله وما أوحی إليه من أمر القبلهٔ- أجنبی عن موضوع الكتاب الذی اوتيه أهل الكتاب، فالمعنی أن أهل الكتاب يعرفون رسول اللَّه صلی الله عليه و آله بما عندهم من بشارات الكتب كما يعرفون أبناءَهم، وإن فريقاً منه ليكتمون الحق وهم يعلمون...

قوله تعالی: الحق من ربّك فلا تكوننَّ من الممترين تأكيد البيان السابق وتشديد فی النهی عن الامتراء، وهو الشك والارتياب، وظاهر الخطاب لرسول اللَّه صلی الله عليه و آله ومعناه للُامّهٔ (۳).

قوله تعالی: ولكلٍّ وجههٌ هو مولّيها فاستَبقوا الخيرات... (۴)

قال الطبرسی رحمه الله فی معنی هذه الآيهٔ الشريفهٔ: هذا بيان لأمر القبلهٔ أيضاً وقوله: ولكلٍّ وِجْهَهٌ فيه أقوال:

أحدها- أن معناه لكلّ أهل ملّهٔ من اليهود والنصاری قبلهٔ؛ عن مجاهد وأكثر المفسرين.

ثانيها- أن لكلّ نبیّ وصاحب ملّهٔ وجههٔ، أی طريقهٔ وهی الإسلام وإن اختلفت الأحكام كقوله تعالی: لكلٍّ جعلنا منكم شرعهٔ ومنهاجاً يعنی شرائع الأنبياء، عن الحسن.

ثالثها- أن لكلّ من المسلمين وأهل الكتاب قبلهٔ، يعنی صلاتهم إلی بيت

۱- ۱ سورهٔ البقرهٔ: ۱۴۶.

۲- ۲ مجمع البيان ۱: ۲۲۹.

۳- ۳ الميزان ۱: ۳۲۶- ۳۲۷.

۴- ۴ سورهٔ البقرهٔ: ۱۴۸.

ص: ۱۰۴

المقدس وصلاتهم إلى الكعبة، عن قتادة.

رابعها- أن لكلّ قوم من المسلمين وجهة، ومن كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، وهو اختيار الجبائی... (۱).

قوله تعالی: ومن حیث خرجت فولّ وجهک شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربّک وما اللَّه بغافلٍ عمّا تعلمون* ومن حیث خرجت فولّ وجهک شطر المسجد الحرام وحیث ما کنتم فولّوا وجوهکم شطره... (۲)

.

قال البلاغی رحمه الله فی تفسیره: ومن حیث خرجت سواء کان الخروج من مکّهٔ إلی المدینهٔ أو من المدینهٔ إلی الشام... فولّ وجهک فی جمیع هذه الأحوال وجمیع الجهات شطر المسجد الحرام نحوه وإنّه أی التوجه إلی المسجد الحرام فی الصلاهٔ علی الاطلاق المنصوص علیه لَلْحق من أمر ربک وشریعته الجاریهٔ علی الحکمهٔ وکرامهٔ البیت، وأن اللَّه لا یضیع أجرکم فی امتثال أمره (۳)، انتهی کلامه.

أقول: أما التکرار الذی وقع فی صدر هاتین الآیتین أعنی: ومن حیث خرجت فولّ وجهک شطر المسجد الحرام فقد نقل الطبرسی رحمه الله لذلک وجوهاً نذکرها:

۱- أنه لما کان فرضاً نسخ ما قبله، کان من مواضع التأکید والتبیین؛ لینصرف الخلق إلی الحال الثانیهٔ من الحال الاولی علی یقین.

۲- أنه مقدم لما یأتی بعده ویتصل به فأشبه الاسم الذی تکرر لخبر عنه بأخبار کثیرهٔ کما یقال: زید کریم، زید عالم، زید فاضل وما أشبه ذلک ممّا یذکر لتعلق الفائدهٔ به.

۳- أنه فی الأول بیان لحال الحَضر وفی الثانی بیان لحال السفر (۴).

قال العلامهٔ الطباطبائی قدس سره: قوله تعالی:... لئلا یکون للناس علیکم حجّهٔ إلّا الذین ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونی بیان لفوائد ثلاث فی هذا الحکم

۱- ۱ مجمع البیان ۱: ۲۳۰- ۲۳۱.

۲- ۲ سورهٔ البقرهٔ: ۱۴۹- ۱۵۰.

۳- ۳ آلاء الرحمن فی تفسیر القرآن ۱: ۱۳۸.

۴- ۴ مجمع البیان ۲: ۱۳.

ص: ۱۰۵

الذی فیه أشد التأکید علی ملازمهٔ الامتثال، والتحذر عن الخلاف:

إحـدیها- أن الیهود کانوا یعلمون من کتبهم أن النبیّ الموعود تکون قبلته الکعبـهٔ دون بیت المقدس، کما قال تعالی: وإن الذین أوتوا الکتـاب لیعلمون أنّه الحق من ربهم... وفی ترک هـذا الحکم، الحجـهٔ للیهود علی المسـلمین بـأن النـبیّ لیس هو النـبیّ الموعود، لکن الـتزام هـذا الحکم والعمـل به یقطع حجتهم إلّاالـذین ظلمـوا منهم، وهو اسـتثناء منقطع، أی لکن الـذین ظلموا منهم باتبـاع الأهـواء لا ینقطعون بذلک فلا تخشوهم؛ لأنهم ظالمون باتباع الأهواء، واللَّه لا یهدی القوم الظالمین واخشونی.

ثانیتها: أن ملازمهٔ هذا الحکم یسوق المسلمین إلی تمام النعمهٔ علیهم بکمال دینهم...

ثالثتها: رجاء الاهتداء إلی الصراط المستقیم (۱)...

هذا تمام الکلام فیما أردت أن أذکره فی هذا المحور، من التفسیر حول التحویل.

۳- الروایات الواردهٔ فی شأن نزول آیات التحویل

قد ذکرنا بعض الروایات الواردهٔ حول شأن النزول فی المحورین السابقین ومع ذلک نذکر بعضاً آخر منها، تتمیماً للفائدهٔ:

نقل الطبری عن ابن جُریج عن مجاهد قال: قالت الیهود: یخالفنا محمد ویتبع قبلتنا، فکان یدعو اللَّه جلّ ثناؤه ویستعرض للقبلهٔ فنزلت: قد نری تقلب وجهک فی السماء فلنولینک قبلهً ترضاها فولِّ وجهک شطر المسجد الحرام- وانقطع قول الیهود یخالفنا ویتبع قبلتنا- فی صلاهٔ الظهر فجعل الرجال مکان النساء والنساء مکان الرجال (۲).

ونقل شیخ الطائفهٔ رحمه الله فی التهذیب عن الطاطری عن محمد بن أبی حمزهٔ عن

۱- ۱ المیزان ۱: ۳۲۸- ۳۲۹.

۲- ۲ جامع البیان ۲: ۱۳.

ص: ۱۰۶

ابن مسكان عن أبى بصير عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلّالنعلم من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه أمره به؟ قال: نعم، إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يقلب وجهه فى السماء، فعلم اللَّه عزّوجلّ ما فى نفسه فقال: قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها (۱)

.

ونقل الطبرسى رحمه الله فى الاحتجاج، عن الإمام أبى محمد العسكرى عليه السلام: «جاء قوم من اليهود إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس، قد صليت إليها أربع عشرة سنة، ثم تركتها الآن، أفحقاً كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فإنما يخالف الحق الباطل، أو باطلًا كان ذلك؟ فقد كنت عليه طول هذه المدة، فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: بل ذلك كان حقّاً وهذا حقّ، يقوله اللَّه: قل للَّهالمشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد فى استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم فى استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم فى غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير اللَّه فى عباده، وقصده إلى مصالحكم، ثم قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: قد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه فى السبت ثم عملتم بعده، افتركتم الحقّ إلى الباطل والباطل إلى حقّ؟ أو الباطل إلى باطل؟ أو الحقّ إلى حقّ؟ قولوا: كيف شئتم، فهو قول محمد صلى الله عليه و آله وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل فى السبت حقّ، والعمل بعده حقّ، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: فكذلك قبلة بيت المقدس فى وقته حقّ، ثم به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس، حين (۲) نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما بدا له عن ذلك، فإنه العالم بالعواقب، والقادر على المصالح، لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف (۳) المتقدم، جلّ عن ذلك، ولا يقع أيضاً عليه مانع يمنعه عن مراده، وليس يبدو إلّالمن كان هذا وصفه، وهو عزّوجلّ متعال عن هذه الصفات علواً كبيراً.

ثم قال لهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أيها اليهود، أخبرونى عن اللَّه، أليس يُمرض ثمّ

۱- ۱ تهذيب الأحكام ۲: ۴۳.

۲- ۲ فى المصدر: حتى.

۳- ۳ وفيه: بخلاف.

ص: ۱۰۷

يُصح؟ ويصح ثمّ يمرض؟ أبدا له فى ذلک؟ أليس يحيى ويميت؟ (أليس يأتى بالليل فى أثر النهار ثم بالنهار فى أثر الليل) (۱)؟ أبدا له فى كلّ واحد من ذلک؟ قالوا: لا، قال:

فكذلک اللَّه تَعبَّد نبيّه محمداً صلى الله عليه و آله، بالصلاة إلى الكعبة، بعد أن (۲) تَعبَّده بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له فى الأول- ثم قال:- أليس يأتى بالشتاء فى أثر الصيف؟

والصيف فى أثر الشتاء؟ أبدا له فى كلّ واحد من ذلک؟ قالوا: لا، قال: فكذلک لم يبد له فى القبلة.

قال، ثم قال: أليس قد ألزمكم فى الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة؟ وألزمكم فى الصيف أن تحترزوا من الحر؟ فبدا له فى الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به فى الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: فكذلک تعبدكم فى وقت لصلاح يعلمه بشيء، ثم بعده (۳) فى وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم اللَّه فى الحالين استحققتم ثوابه، وأنزل اللَّه وللَّه المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه اللَّه (۴)

أى إذا توجهتم بأمره، فثمّ الوجه الذى تقصدون منه اللَّه وتأملون ثوابه.

ثم قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يا عباد اللَّه، أنتم كالمرضى واللَّه ربّ العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه (۵) الطبيب [و] (۶) يدبره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلموا للَّهأمره تكونوا من الفائزين.

فقيل له: يا ابن رسول اللَّه، فلم أمر بالقبلة الأُولى؟ فقال: لما قال اللَّه عزّوجلّ: وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس إلا لنعلم من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه (۷)

إلا لنعلم ذلک منه موجوداً، بعد أن علمناه سيوجد ذلک، إنّ هوى أهل مكّة كان فى الكعبة، فأراد اللَّه أن يبين متبع (۸) محمد صلى الله عليه و آله من مخالفه (۹)، باتباع القبلة التى كرهها، ومحمد صلى الله عليه و آله يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة فى بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة، ليتبين (۱۰) من يوافق محمداً صلى الله عليه و آله فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه.

۱- ۱ ما بين القوسين ليس فى المصدر.

۲- ۲ وفيه زيادة: كان.

۳- ۳ فى المصدر: تعبّدكم.

۴- ۴ البقرة ۲: ۱۱۵.

۵- ۵ فى المصدر: يعمله.

۶- ۶ أثبتناه فى المصدر.

۷- ۷ البقرة ۲: ۱۴۳.

۸- ۸ فى المصدر: متبعى.

۹- ۹ ممّن خالفه.

۱۰- ۱۰ وفيه: لِيُبيّن.

ص: ۱۰۸

ثم قال: وإن كانت لكبيرة إلّاعلى الذين هدى اللَّه (۱)

إنما كان التوجه إلى بيت المقـدس، فى ذلك الوقت كبيرة، إلّاعلى من يهـدى اللَّه، فعرف أن اللَّه يُتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلى طاعته فى مخالفته هواه» (۲).

فقـد ظهرت من هـذه الروايات وغيرها، مهمّـة القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة المشـرّفة، والحِكم التى أرادها اللَّه سـبحانه وتعالى من بداية هذه الواقعة الكبيرة حتى النهاية.

وسيوافيك مزيداً من البحث حول هذا الموضوع إن شاء اللَّه.

۴- ما هو السبب لجعل بيت المقدس قبلةً أوّلًا ثم الكعبة ثانياً؟

حينما نرجع إلى المصادر- من الكتاب والسنّة والتفسير والتأريخ- للتعرف عن السبب لهذا الجعل، نجد أسـباباً مختلفةً ومطالب شتى، فبما أن تعرّف هذه الأسباب مفيد جدّاً، وأن الورود فى مثل هذه الأبحاث يسـتدعى التعرض للمطالب الفرعية فضلًا عن الأصلية، فلنبدأ بذكر تلك الأسباب:

۱- قوله تعالى: ولِلَّه المشرق والمغرب فأينما تولّوا فَثَمَّ وجهُ اللَّه (۳)

.

۲- قوله تعـالى: سـيقول السـفهاء من الناس ما ولّيهم عن قبلتهم التى كانوا عليهم قل للَّهالمشـرق والمغرب يهـدى من يشاء إلى صـراط مستقيم (۴)

.

۳- قوله تعالى: وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلّالنعلم من يتبع الرسول... (۵)

.

۴- الإمام الحسن بن علىّ العسكرى عليه السلام: إن هوى أهل مكّة كان فى الكعبة... وهوى أهل المدينة فى بيت المقدس... فأراد اللَّه أن يبين متبع محمّد صلى الله عليه و آله من مخالفه (۶).

۵- الإمـام أمير المـؤمنين على بن أبى طـالب عليه السـلام: «إن رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله لمـا بعث كـانت الصـلاة إلى قبلـة بيت المقدس، فكان فى أول بعثته يصلى إلى بيت المقدس

۱- ۱ البقرة ۲: ۱۴۳.

۲- ۲ مستدرک الوسائل ۳: ۱۷۵.

۳- ۳ سورة البقرة: ۱۱۵.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۱۴۲.

۵- ۵ المصدر نفسه: ۱۴۳.

۶- ۶ مستدرک الوسائل ۳: ۱۷۸.

ص: ۱۰۹

جميع أيام مقامه بمكّة، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيّرته اليهود...» (۱).

۶- قال صاحب تفسير مجمع البيان: وأمّا الوجه فى الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان:

أحدهما: أنه لِما علم اللَّه تعالى فى ذلك من تغير المصلحة.

الآخر: أنه لما بيّنه سبحانه بقوله: لنعلم من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه لأنهم كانوا بمكّة أمروا أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين، الذين كانوا يتوجهون إلى الكعبة، فلما انتقل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى المدينة كانت اليهود يتوجهون إلى بيت المقدس، فأمروا بالتوجه إلى الكعبة ليتميزوا من أولئك (۲).

۷- قال الزمخشرى فى الكشاف: إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله... أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس... ثمّ حوّل إلى الكعبة... امتحاناً للناس وابتلاء... (۳).

۸- وقيل: لنميز التابع من الناكص (۴).

۹- قال البلاغى رحمه الله:... ومن اللازم أن يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش والعرب، إلّاالذين هداهم اللَّه إلى الإيمان برسول اللَّه فيعلمون أن ذلك أمر من اللَّه الحكمى (۵).

۱۰- نقل العلامة المجلسى رحمه الله عن كتاب الاحتجاج: وتفسير العسكرى عليه السلام فى احتجاج النبىّ صلى الله عليه و آله على المشركين قال: إنّا عباد اللَّه مخلوقون مربوبون، نأتمر فيما أمرنا، وننزجر عمّا زجرنا... فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا، ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها فى سائر البلدان التى نكون بها فأطعنا، فلم نخرج فى شىء من ذلك من اتباع أمره (۶).

۱۱- وقال العلامة الطباطبائى: إن هذه الأحكام والتشريعات ليست إلّا لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس وتكميلهم، وتمحيص المؤمنين من غيرهم وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين (۷).

هذا تمام الكلام فى الأسباب.

۱- ۱ بحار الأنوار ۸۱: ۶۶.

۲- ۲ مجمع البيان ۱: ۲۲۲.

۳- ۳ الكشاف ۱: ۲۰۰.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ۱: ۱۳۵.

۶- ۶ بحار الأنوار ۸۱: ۷۱.

۷- ۷ الميزان ۱: ۳۲۴.

ص: ۱۱۰

ثم إنه اختلف في الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس أولًا ثم إلى الكعبة ثانياً، أهم اليهود، أو المشركون، أو المنافقون؟

قال ابن عباس وغيره: هم اليهود.

وقال الحسن: هم مشركو العرب، وأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا حوّل إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا: يا محمد رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها، فلترجعنَّ إلى دينهم.

وقال السدي: هم المنافقون، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام (۱).

واختلف أيضاً في سبب مقالتهم، فقال ابن عباس: إنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ. وقيل: للامتحان. وقيل: إنما قاله مشركو العرب؛ ليوهموا أن الحقّ ما هم عليه (۲).

۵- زمان تحويل القبلة ومكانه وكيفية وقوعه

بما أن هذا المحور من أدقّ وأصعب المحاور في هذا المقال؛ لكثرة الاختلاف في المواضيع التي أردنا التعرض لها، فلذلك أخرناه حتى تكون المحاور السابقة بمثابة المقدمة، وسنستفيد من بعض الخرائط اللازمة تبييناً للمراد وتسهيلًا للبحث.

الف: زمان تحويل القبلة:

اعلم أن زمان التحويل كان في السنة الثانية للهجرة، والأكثر قائلون بذلك شيعة وسنة، ويؤيده بعض الأخبار من طرق الفريقين، ولكن الخلاف وقع في شهر الوقوع ويومه.

نقل العلامة المجلسي في البحار عن المفيد: حوّلت القبلة في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة (۳).

وقال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وعن البراء: على رأس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وعن

۱- ۱ مجمع البيان ۱: ۲۲۲.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ بحار الأنوار ۸۱: ۶۳.

ص: ۱۱۱

السدی: علی رأس ثمانیهٔ عشر شهراً من مهاجرته (۱).

وقال الحلبی فی سیرته: وحوّلت القبلهٔ فی شهر رجب من السنهٔ المذکورهٔ، التی هی الثانیهٔ فی نصفه... (۲).

وقال ابن هشام: قال ابن إسحاق:... وصرفت فی رجب علی رأس سبعهٔ عشر شهراً من مقدم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله المدینهٔ (۳).

وذکر الطبری فی تفسیره أن ابن عباس قال:... وصرفت فی رجب علی رأس سبعهٔ عشر شهراً... (۴).

ونقل الکازرونی الیمانی عن محمد بن حبیب الهاشمی: حوّلت فی الظهر یوم الثلاثاء للنصف من شعبان (۵).

وقال الشبلنجی: وفی السنهٔ الثانیهٔ من الهجرهٔ فی نصف شعبان حوّلت القبلهٔ إلی الکعبهٔ (۶).

وقال الیعقوبی فی تأریخه:... وصـرفت القبلهٔ نحو المسجد الحرام فی شعبان بعد مقدمه بالمدینهٔ بسنهٔ وخمسهٔ أشهر، وقیل بسنهٔ ونصف (۷).

ونری فی تأریخ الطبری: صرفت فی النصف من شعبان (۸).

ونقل الحلبی أیضاً: وقیل: کان فی جمادی الآخرهٔ (۹).

هذا، والحق ما قاله المفید رحمه الله والواقدی ومن تبعهما؛ لأن قدوم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من مکّهٔ المکرّمهٔ إلی المدینهٔ کان فی شـهر ربیع الأول، والدلیل علی ذلک ما رواه الطبرسی فی الاحتجاج بالإسناد إلی الإمام أبی محمد العسکری علیه السلام، قال: «لمّا کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بمکهٔ، أمر اللَّه تعالی أن یتوجّه نحو البیت المقدس فی صلاته، ویجعل الکعبهٔ بینه وبینها إذا أمکن، وإذا لم یتمکن اسـتقبل البیت المقدس کیف کان، وکان رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله یفعل ذلک طول مقامه بها، ثلاث عشرهٔ سنهٔ، فلمّا کان بالمدینهٔ، وکان متعبداً باستقبال بیت المقدس، استقبله وانحرف عن الکعبهٔ، سبعهٔ عشر شهراً أو ستهٔ عشر شهراً...» (۱۰).

۱- ۱ حیاهٔ النبی وسیرته ۱: ۲۹۸.

۲- ۲ السیرهٔ الحلبیهٔ ۲: ۱۲۸.

۳- ۳ السیرهٔ النبویهٔ لابن هشام ۲: ۱۹۸.

۴- ۴ تفسیر الطبری ۲: ۳.

۵- ۵ المنتقی فی مولد المصطفی.

۶- ۶ نور الأبصار: ۴۴.

۷- ۷ تأریخ الیعقوبی ۲: ۴۲.

۸- ۸ تأریخ الطبری ۲: ۴۱۶.

۹- ۹ السیرهٔ الحلبیهٔ ۲: ۱۲۸.

۱۰- ۱۰ مستدرک الوسائل ۳: ۱۸۴.

ص: ۱۱۲

وروى الطبرسى أيضاً فى المجمع عن ابن عباس: «كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبى صلى الله عليه و آله المدينة سبعة عشر شهراً» (۱).

وروى أيضاً عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة» (۲).

ب- مكان تحويل القبلة

لا شک فى أن تحويل القبلة وقع فى المدينة، ولكن اختلفت الأخبار والآراء فى محلّ التحويل، فهل وقع ذلك فى المسجد النبوى الشريف، أو وقع فى مسجد بنى سلمة (دار أم بشر)، أو فى مكان آخر؟

أما المسجد النبوى الشريف، فلا يمكن القول به؛ لأنه:

أولًا: إذا حدث هذا الأمر المهم فى المسجد النبوى؛ لعرفنا موضع التحويل كما نعرف الأماكن الأثرية المقدّسة فى ذلک المكان الشريف.

ثانياً: يوجد مسجد واحد فقط بالمدينة، يعرف بالقبلتين، مع أنه حدث فى مكانين آخرين (مسجد قبا (۳) وعند بنى عبد الأشهل (۴)) أداء صلاة واحدة إلى القبلتين (بيت المقدس والكعبة) ولم يطلق عليهما اسم القبلتين من صدر الإسلام إلى زماننا هذا، فإن لم تكن لمسجد القبلتين (المعروف من صدر الإسلام حتى الآن) خصوصية، فلماذا لم يطلق لكلا المكانين ذلک الاسم؟

ثالثاً: إن النبى صلى الله عليه و آله لم يكن فى نفس الوقت عند بنى عبدالأشهل ومسجد قبا، بل خبر التحويل وصل إلى المكانين المذكورين، والمصلّون كانوا فى الصلاة، فاستداروا نحو الكعبة.

رابعاً: إنّا لم نجد خبراً يدل على وجود مسجد عند بنى عبدالأشهل يعرف بالقبلتين، مع أنهم كانوا يعيشون فى شرق المدينة المنورة، لا فى غربها.

نعم، روى الشيخ الطوسى فى التهذيب عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام:

«... قال: إن بنى عبدالأشهل أتوهم وهم فى الصلاة قد صلّوا ركعتين إلى بيت

۱- ۱ مجمع البيان ۱: ۲۲۳.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ الموطّأ ۱: ۱۹۴.

۴- ۴ تهذيب الأحكام ۲: ۴۴.

ص: ۱۱۳

المقدس فقيل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة، فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلّوا صلاة واحدة إلى القبلتين، فلذلك سمّى مسجدهم مسجد القبلتين» (۱).

ولكنه لا يخفى أن المسجد الأثرى الذى يعرف بمسجد القبلتين، يقع إلى الشمال الغربى من المسجد النبوى الشريف فى الحرّة الغربية (حرّة الوبرة)، وكان لبنى سلمة، وكان فيه محرابان، أحدهما متجهٌ إلى بيت المقدس، وثانيهما متجهٌ إلى الكعبة.

وأمّا بنو عبدالأشهل فكانت بيوتهم ومساكنهم فى الحرّة الشرقية (حرّة واقم)، شرق المسجد النبوى الشريف، وشتان بينه وبين ذاك المسجد الأثرى، الذى حقّق اللَّه تعالى فيه أمنية وتطلّعات رسوله الكريم صلى الله عليه و آله، فى أن تكون وجهته وقبلته البيت الحرام والكعبة المشرّفة.

وممّا يجدر ذكره أن مسجد الإجابة (مسجد المباهلة) يقع بين دور بنى عبدالأشهل (۲)ودور بنى معاوية، ولم يعرف ولم يسمّ بالقبلتين، اللّهم إلّاأن يقال:

إنه كان هناك مسجد وخرب ولم يبق منه أثر؛ وهذا بعيد جدّاً.

وممّا يؤيد ما نحن بصدده، ما قاله الفيض الكاشانى رحمه الله فى ذيل خبر التهذيب، حيث أورد بعض الأشياء على ظهور الخبر، واختلاف الألفاظ فى قصة بنى عبدالأشهل.

قال: بيانٌ: «أتوهم» أى جماعة، والظاهر أن لفظة «هم» زيادة من النساخ، وبناء الفعل للمفعول كما فى «قيل» فإنّ فى بعض هذه القصة: «فأتى بنى عبدالأشهل رجل من الأنصار» وفى بعضها: «فأتى رجل ممّن صلّى مع النبى صلى الله عليه و آله قوماً فى مسجد». وبالجملة فيها ما يدلّ على انفراد المخبر (۳).

ثم إنه توجد روايات فى كتب الفريقين تدل على تحويل القبلة فى مسجد بنى سلمة، والنبىّ صلى الله عليه و آله كان حاضراً هناك، وإليك بعضها:

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ انظر إلى الخريطة رقم ۲.

۳- ۳ الوافى ۷: ۵۳۸.

ص: ۱۱۴

روی علی بن إبراهیم بإسناده عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام قال: تحوّلت القبلهٔ إلی الکعبهٔ بعدما صلّی النبیّ صلی الله علیه و آله بمکّهٔ ثلاث عشرهٔ سنهٔ إلی بیت المقدس...

فلمّا أصبح وحضر وقت صلاهٔ الظهر، کان فی مسجد بنی سالم [سلمهٔ] (۱) قد صلّی من الظهر رکعتین فنزل علیه جبرائیل علیه السلام فأخذ بعضدیه فحوّله إلی الکعبهٔ...

وکان صلّی رکعتین إلی بیت المقدس ورکعتین إلی الکعبهٔ (۲).

وعن جابر بن عبداللّه الأنصاری: أن النبی صلّی فی مسجد الخربهٔ ومسجد القبلتین، وفی مسجد بنی حرام الذی بالقاع (۳).

وروی عثمان بن محمّد الأحبشی قال: زار رسول اللّه صلی الله علیه و آله امرأهٔ من بنی سلمهٔ یقال لها أم بشر فی بنی سلمهٔ، فصنعت له طعاماً فجاء الظهر، فصلّی رسول اللّه صلی الله علیه و آله بأصحابه فی مسجد القبلتین الظهر، فلمّا صلَّی رکعتین أُمر أن یتوجه إلی الکعبهٔ، فاستدار رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فسمی ذلک المسجد مسجد القبلتین (۴).

وقال السمهودی: وعند الزمخشری: صُرِفت القبلهٔ ورسول اللّه صلی الله علیه و آله فی مسجد بنی سلمهٔ- یعنی مسجد القبلتین- وقد صلّی بأصحابه رکعتین من صلاهٔ الظهر، فتحوّل فی الصلاهٔ، واستقبل المیزاب، وحول الرجال مکان النساء، والنساء مکان الرجال (۵).

فقد ورد أنّه صلی الله علیه و آله جاء یعزی أم بشر، امرأهٔ من بنی سلمهٔ مات ابن لها، وعزمت علیه أن یقیل عندها هو ومن معه من أصحابه، فذبحت له عناقاً «جفرهٔ» وتغدی عندها، فأدرکته صلاهٔ الظهر فقام یصلی هو وأصحابه فی بیتها متوجهین إلی بیت المقدس، وبعد قیامه للرکعهٔ الثالثهٔ نزل علیه الوحی بتحویل القبلهٔ إلی بیت اللّه الحرام، فاستدار بوجهه إلی الجنوب، واستدار أصحابه حتی صاروا خلفه... وبعد ذلک طلب بنو سلمهٔ من أم بشر أن تبیعهم هذه الدار؛ لیتخذوها مسجداً لصلاهٔ النبی صلی الله علیه و آله فیها، فوهبتها لهم فبنوا فیها مسجدهم الذی أطلق علیه بعد مسجد بنی سلمهٔ إسم «القبلتین» الذی نزلت آیهٔ تحویل القبلهٔ فی مکانه (۶).

۱- ۱ الظاهر الصحیح ذلک، انظر الخریطهٔ رقم ۲.

۲- ۲ مجمع البیان ۱: ۲۲۳.

۳- ۳ تأریخ المدینهٔ المنوّرهٔ، لابن شبّه ۱: ۶۸.

۴- ۴ أخبار مدینهٔ الرسول، لابن النجار: ۱۱۵.

۵- ۵ وفاء الوفا، للسمهودی ۱: ۳۶۲.

۶- ۶ طیبهٔ، مدینهٔ الرسول: ۹۰- ۹۱.

ص: ۱۱۵

ج- كيفية وقوع التحويل

بما أن الروايات والأخبار التأريخية الواردة في شأن هذا الحدث العظيم قد صرحت بتحويل القبلة، حين الصلاة في بني سلمة، إلّاأن تسمية هذا المكان ب (مسجد القبلتين) تمّ؛ لأن التحويل وقع فيه أولًا وفي صلاة جماعة كان النبيُّ صلى الله عليه و آله إمامَها ثانياً، ولو لم يكن كذلك، لصدق أسم مسجد القبلتين على غيره من الأماكن كمسجد بني عبد الأشهل ومسجد قبا (۱) لوقوع صلاة العصر في الأول وصلاة الصبح في الثاني إلى القبلتين.

ثم إنه‌نقل السمهودي في وفاء الوفا عن ابن سعد أن الانصراف إلى الكعبة كان في صلاة الجماعة. وكذا ابن سعد نقل عن الواقدي: أن تحويل القبلة كان في صلاة الجماعة، وكان إمامها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وفي مسجد القبلتين، ثم قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا (۲).

ونقل الشيخ قوام الدين‌الوشنوي عن‌إسعاف الراغبين: وفي‌هذه السنة- السنة الثانية- حوّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، والنبيّ صلى الله عليه و آله يصلّي بأصحابه صلاة الظهر عند الأكثر، فوقع نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى الكعبة (۳).

ونقل الشيخ قوام الدين الوشنوي أيضاً: والأكثرون على ان تحويلها كان في صلاة الظهر، وقيل العصر، وفي الصحيحين عن البراء: أن أول صلاة صلّاها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الكعبة صلاة العصر. ثم قال: وقد يقال لا منافاة، لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلّاها كلّها إلى الكعبة صلاة العصر، لأن الظهر صلّى نصفها الأول إلى بيت المقدس ونصفها الثاني إلى الكعبة (۴).

فظهر عمّا ذكر أن تحويل القبلة حدث في صلاة الظهر، وقد صرّح بذلك ما رواه علي بن إبراهيم بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۵)، وقد ذكر في كتب الحديث والتأريخ أنه حدث ذلك في صلاة الجماعة بإمامة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مسجد القبلتين. واللَّه العالم.

۱- ۱ الموطّأ ۱: ۱۹۴.

۲- ۲ وفاء الوفا، للسمهودي ۱: ۳۶۳.

۳- ۳ حياة النبي وسيرته ۱: ۳۰۱.

۴- ۴ المصدر نفسه ۱: ۲۹۹.

۵- ۵ مجمع البيان ۱: ۲۲۳.

ص: ۱۱۶

الخريطة رقم ۱

ص: ۱۱۷

الخريطة رقم ۲

ص: ۱۱۸

المراجع

۱- القرآن الكريم.

۲- المنجد، الطبعة ۲۱، دار المشرق، بيروت.

۳- الميزان فى تفسير القرآن، الطبعة ۳، مؤسسة اسماعيليان للنشر، قم، ۱۳۹۳ ه.

۴- البرهان فى تفسير القرآن، الطبعة ۲، دار الكتب العلمية، قم.

۵- الكشاف، الطبعة ۱، مكتب الإعلام الإسلامى، قم، ۱۴۱۴ ه.

۶- تفسير الصافى، رحلى، مكتبة المحمودى، طهران، ۱۳۳۴ ه. ش.

۷- آلاء الرحمن فى تفسير القرآن، لمحمد جواد البلاغى، الطبعة ۲، مكتبة الوجدانى، قم.

۸- جامع البيان فى تفسير القرآن، للطبرى، دار المعرفة، بيروت، ۱۴۰۹ ه.

۹- تفسير القمى، لعلىّ بن إبراهيم القمى من أعلام قرنى ۳- ۴ ه، مكتبة الهدى، ط ۲، بيروت، ۱۳۸۷ ه.

۱۰- تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسى رحمه الله، دار الأضواء، بيروت- الطبعة ۳، ۱۴۰۶ ه.

۱۱- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة ۱، ۱۴۰۷ ه.

۱۲- بحار الأنوار، للعلامة المجلسى رحمه الله، مؤسسة الوفاء، بيروت- الطبعة ۲، ۱۴۰۳ ه.

۱۳- مجمع البيان، للشيخ الطبرسى رحمه الله، دار إحياء التراث العربى، ۱۳۷۹ ه.

۱۴- حياة النبى وسيرته، لقوام الدين الوشنوى، دار الأسوة، قم ط ۱، ۱۴۱۶ ه.

۱۵- السيرة الحلبية.

۱۶- السيرة النبوية لابن هشام.

۱۷- تفسير الطبرى، دار المعرفة بيروت، ۱۴۰۹ ه.

۱۸- المنتقى فى مولد المصطفى، للكازرونى اليمانى.

۱۹- نور الأبصار، للشبلنجى.

۲۰- تأريخ اليعقوبى، لأحمد بن أبى يعقوب، دار صادر بيروت، ۱۳۷۹ ه- ۱۹۶۰ م.

۲۱- تأريخ الطبرى، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

۲۲- الموطّأ، لمالك بن أنس، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

۲۳- الوافى، لملّا محسن الفيض الكاشانى، طبع إصفهان، ط ۱، ۱۴۰۶ ه.

۲۴- تأريخ المدينة المنورة، لابن شبّه.

۲۵- أخبار مدينة الرسول، لحافظ محمد بن النجار، مكتبة الثقافة، مكّة المكرّمة، ط ۳، ۱۴۰۱ ه.

۲۶- وفاء الوفا، للسمهودى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ط ۳، ۱۹۸۱ م.

۲۷- طيبة، مدينة الرسول، المهرجان للإعلان، جدة، ۱۹۹۴ م.

امُّ المؤمنين خديجة

ص: ۱۱۹

ص: ۱۲۰

ص: ۱۲۱

ص: ۱۲۲

ص: ۱۲۳

أمُّ المؤمنین خدیجهٔ

محمد سلیمان

فی بیت من البیوت العریقـهٔ وذات السـمعهٔ الطیبهٔ والمکانهٔ العالیهٔ فی الحجاز، ولدت سیدتنا خدیجهٔ لأبوین قرشیین: فأبوها خویلد بن أسد بن عبد العزّی بن قصی بن کلاب بن مرّهٔ ابن کعب بن لؤی ابن غالب بن فهر بن مالک بن النضر من کنانهٔ... من قریش، فهو من بنی أسد. وقدمات فی حرب الفِجار، التی قامت فی الجاهلیهٔ فی الأشـهر الحرم بین قریش وقیس عیلان، ویومذاک کان عمر خدیجهٔ- إذا ما أخذنا بروایهٔ أن عمرها حین زواجها من الرسول صلی الله علیه و آله أربعون سنهٔ- ثلاثین سنهٔ.

وأما أمُّها فهی فاطمـهٔ بنت زائـدهٔ بن الأصم بن فهر بن لؤی بن غالب. فهی تجتمع مع زوجها خویلـد فی لؤی بن غالب... من کنانهٔ من قریش.

خدیجهٔ القرشیّهٔ الأسدیهٔ تلتقی نسباً مع النسب الکریم لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی جدّه الرابع «قصی»، فهو محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصی... وهی بالتالی أقرب نسائه إلیه صلی الله علیه و آله.

کانت تدعی فی الجاهلیهٔ بالطاهرهٔ، وسیدهٔ نساء قریش، وسیدهٔ قریش.

ص: ۱۲۴

وهی یومئذ أوسط نساء قریش نسباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأکثرهنّ مالًا وأحسنهنّ جمالًا... وفی لفظ کان یقال لها سیدة قریش؛ لأن الوسط فی ذکر النسب من أوصاف المدح والتفضیل، یقال: فلان أوسط القبیلة أعرقها فی نفسها... (۱) عمرُ خدیجة:

الاهتمام بعمرها أمر طبیعی جدّاً؛ لأنه جزء من دراسة حیاتها المبارکة بعد أن اقترنت برسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وصارت حیاتها جزءاً من حیاته الشخصیة والدینیة بکلِّ أبعادها.

ولکن هذا الاهتمام بدلًا من أن یولد لدینا القطع بعمرها عمّق الاختلاف فیه تبعاً لاختلاف الروایات والأخبار وبالتالی الآراء عن ولادتها، وعن عمرها وحیاتها حین اقترانها بالرسول الکریم صلی الله علیه و آله، وراحت- اعتماداً علی تلک الروایات- أقوال قدماء المؤرخین بالذات وأقوال مَن جاراهم من الکتاب المحدثین توسع ذلک الاختلاف وتثبته ولم تستطع حسمه بما تقدمه من أدلة.

وابتداء نشیر إلی بعض روایات سنِّها ومصادرها:

فعن ابن عباس: کانت خدیجة یوم تزوجها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ابنة ثمان وعشرین سنة (۲).

وعن حکیم بن مزاحم (ابن اخیها):

تزوج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله خدیجة وهی ابنة أربعین سنة، ورسول اللَّه صلی الله علیه و آله ابن خمس وعشرین سنة. ویقول مزاحم: وکانت أسنّ منی بسنتین، ولدت قبل الفیل بخمس عشرة سنة، وولدت أنا قبل الفیل بثلاث عشرة سنة (۳) (فقد ولد صلی الله علیه و آله بعد وقعة الفیل بخمسین یوماً...) (۴).

وذکر الواقدی: أنها کانت لما تزوجها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بنت خمس وأربعین سنة.

وعن البیهقی والحاکم:... وأن عمره صلی الله علیه و آله کان خمساً وعشرین وعمرها خمساً وثلاثین.

کما أن هناک من یقول: إنها ابنة ۲۵ سنة، أو ۳۰ سنة...

یقول صاحب کتاب اتحاف الوری بأخبار أمِّ القری...

... خطب النبیُّ صلی الله علیه و آله الی خدیجة نفسها، وکانت ابنة أربعین سنة. ویقال:

۱- ۱ انظر السیرة الحلبیة ۱/ ۱۳۷، باب تزوجه صلی الله علیه و آله خدیجة بنت خویلد رض.

۲- ۲ مختصر تاریخ دمشق ۲/ ۲۷۵.

۳- ۳ مختصر تاریخ دمشق ۲/ ۲۷۵.

۴- ۴ انظر الطبقات الکبری لابن سعد ۱/ ۱۰۰، وأنساب الأشراف للبلاذری ص ۹۲.

ص: ۱۲۵

ابنة خمس وأربعين ويقال:... ثمان وأربعين سنة ويقال:... ست وأربعين، وقيل:... ثلاثين، ويقال:... ثمان وعشرين....

فالأقوال إذن في مسألـة عمرها مختلفـة، وقد ذهب جلال مظهر في كتابه: محمد رسول اللَّه، سيرته وأثره في الحضارة إلى (أنها كانت ابنة ۲۵ سنة) دون أن يذكر سبباً مرجّحاً لذلك.

في حين اعتمـدت بنت الشاطئ في كتابها نساء النبيّ روايـة الأربعين، التي اعتمدها الطبري والواقدي ورواها حكيم بن مزاحم. وهيكل هو الآخر اعتمد في كتابه حياة محمد ما اعتمده الطبري والواقدي.

وقد ذكر كلٌّ من الدكتور عبد الصـبور شاهين وإصـلاح عبدالسـلام في أمهات المؤمنين: وقد أجمعت كتب التأريخ والسـيرة، إلّارواية واحدة في الطبقات على أن السيدة خديجة كانت في الأربعين من عمرها، عند زواجها...

إن ما ذكراه بعيـد عن الدقّة، فأين هو الإجماع، وهذه المصادر وكتب التأريخ بين أيدينا قد ذكرت روايات متعددة...، وكلّها تشـير إلى الاختلاف في سنّها؟!

وذهب ابن اسحاق، كما في مستدرك الحاكم، إلى أن خديجة كانت في الثامنة والعشرين من العمر (1).

في حين ذهب العقاد في كتابه فاطمـة الزهراء والفاطميون إلى اعتماد رواية ۲۵، ۲۸ سنة، حيث يرى أن المرأة في بلاد كجزيرة العرب يبكر فيها النمو ويبكر فيها الهرم، فلا تتصدى للزواج بعد الأربعين.

وهذا ردّ صريح على من أخذ برواية الأربعين، الذين أخذوا في اعتبارهم أن السيدة خديجة قد تزوجت قبل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من عتيق بن عائـذ ومن بعـده من أبي هالـة زُرارة، وأنجبت لهما أولاداً، ثم مكثت بعد وفاة زوجها الثاني مدّة ليست قصـيرةً، راغبةً في تنميـة ثروتهـا وأموالها، التي ورثتها من أبيها الـذي كان ثرياً ومن قبيلـة ذات مال وفير، ومن زوجيها، عازفـةً عن الزواج الثالث؛ لأن كلّ من تقدّم لزواجها- كما زعم- إنما كان تدفعه الرغبة في ثروتها، ولأنها لم تجد فيهم

۱- ۱ مستدرك الحاكم ۳/ ۱۸۲، وقد كان كلام ابن اسحاق بلا إسناد.

ص: ۱۲۶

من الشرف والأمانة والصدق، هذه الصفات التى كانت تنشدها، حتى تستطيع أن تأمنه على أموالها وتجارتها... حتى قدر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يضارب بتجارتها، وقد قبلت به لمعرفتها بأنه الصادق الأمين، وهو الذى عُرف بهذا بينهم، وفعلًا سافر إلى الشام ببضاعتها وعاد ببضاعة أخرى وفيرة وأرباح عالية لم تعهدها من قبل، مع ما حدّثها عنه غلامها ميسرة، الذى كان برفقة محمد وخدمته، فزادت معرفتها به، وعظم تعلقها به، ورأت فيه ما كانت تتمنى، فتزوجته. وقد استعان أصحاب رواية الأربعين بذيل الرواية نفسها عن حكيم بن مزاحم على تأييد ما ذهبوا إليه، وذيلها يقول: إنها توفيت فى شهر رمضان سنة عشر من النبوّة وهى يومئذ ابنة خمس وستين سنة (۱)...

وأُخذ على هذا الرأى: أنها كيف أنجبت فى هذه السن المتأخرة؟!

واجيب عن ذلك بأنه من المشاهد وجود نساءٍ قد أنجبن بعد الأربعين، بل بعد الخمسين أيضاً، وهذا الأمر يتوقف على توفر عوامله، التى منها صحة المرأة واستعدادها وقابليتها وبيئتها، وما تعيشه المرأة من رفاهية فى حياتها واستقرار وراحة... وهو ما توفر للسيدة خديجة. علماً بأن هناك من يقول: إن آخر ما أنجبته خديجة فاطمة الزهراء وهى فى الخمسين إن لم تكن أقل من ذلك من عمرها المبارك، ومعنى هذا أنها لم تنجب بعد الخمسين سنة وكانت هذه الفترة ۱۵ سنة.

فالمدائنى قال: ولدت فاطمة قبل النبوة بخمس سنين.

وفى رواية جعفر بن سليمان: ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولد النبى صلى الله عليه و آله.

وعن أبى جعفر:... أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبنى الكعبة والنبى صلى الله عليه و آله ابن خمس وثلاثين سنة.

فهذه الروايات تبين أن فاطمة- وهى آخر مولود لخديجة- ولدت وخديجةُ بعدُ لم تتجاوز الخمسين من عمرها. وعلى رواية الأربعين كانت البعثة وخديجة فى الخامسة والخمسين من عمرها...

۱- ۱ مختصر تاريخ دمشق ۲/ ۲۷۱.

ص: ۱۲۷

وقد ترد بعض الملاحظات على مسألة التمسک بروایة ۴۰ وأنها قد تزوجت مرتین...

۱- لماذا هذا الاصرار على التمسک بروایة الأربعین وعدّها هی المشهورة، وهی روایة من عدّة روایات (۴۵ سنة، ۲۸ سنة، ۲۵ سنة، ۳۰ سنة...) ألیس هذا ترجیحاً بلا مرجح؟

۲- امرأة بهذا العمر (۴۰، ۴۵ سنة، وفی أجواء کأجواء الحجاز الحارة جدّاً، التی یسرع الکبر فیها إلى الإنسان، وقد تقدم لخطبتها- کما تقول الأخبار- أعظم قریش نسباً ومالًا ورفضتهم، بل وتمناها وتهالک علیها کلّ شریف وعظیم، فقد کان ممّن خطبها عقبة بن أبی معیط، والصلت بن أبی یهاب وکان لکلّ واحد منهما أربعمائة عبد وأمة، وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفیان (۱)، فهل کلّ هذا یکون من أجل امرأة بهذه السنّ المتأخرة، ومن أجل امرأة عاشت ببیتین (بیت عتیق، وبیت «أبو هالة»)، وأنجبت واحداً على روایة، واثنین على روایة أخرى، وثلاثة على روایة ثالثة، وهم (هند والحارث وبنت اسمها زینب) (۲)، وترملت بعدهما وعاشت سنین أخرى؟! أو یصح هذا وهم قادرون بما عندهم من شرف ومال وجاه أن یتزوجوا بما یحلو لهم من النساء من بیوتات عربیة أخرى ذات شرف وعفة ومال وجمال؟!

ثم إن زوجیها السابقین لم یکونا بدرجة عالیة من المکانة، ومع هذا قبلت بهما وهی فی شبابها... فکیف وقد تقدم بها العمر ترفض زعماء قریش وأشرافها؟! وإن قیل إنها قررت تنمیة ثروتها، فإن هذا ادعاء سطرته أقلامُ الکتاب، ولا یصلح أن یکون مبرراً یفرض علیها ما دامت لم تصرح به، علماً بأن فی قبال هذا الادعاء ادعاءً یقول: إنها إنما رفضتهم جمیعاً؛ لعدم توفر الصفات التی تریدها فیمن تقدم لخطبتها، وهو ادعاء اقوى من ادعاء الکتّاب؛ لأنه من أقرب الناس لها.

قال ابو القاسم الکوفی: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الأنام ونقلة الأخبار، على أنه لم یبق من

۱- ۱ انظر البحار ۱۶/ ۲۲.

۲- ۲ جوامع السیرة النبویة، ابن حزم الأندلسی المتوفى سنة ۴۵۶ ه دار الکتب العلمیة- بیروت.

ص: ۱۲۸

أشراف قريش، ومن ساداتهم، وذوى النجدة منهم، إلّامن خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشراف قريش، وأمراؤهم فلم تتزوجى أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيم أبى طالب فقيراً، لا مال له؟! فكيف يجوز فى نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابى من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرافها على ما وصفناه؟! ألا- يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أبين المحال، وأفظع المقال؟! (۱) ۳- وفى الاستغاثة ذكر بعض أنه كانت لخديجة أخت اسمها هالة (۲) تزوجها رجل مخزومى، فولدت له بنتاً اسمها هالة، ثم خلف عليها رجل تميمى يقال له أبو هند فأولدها ولداً اسمه هند... وكان لهذا التميمى امرأة أخرى قد ولدت له زينب ورقية، فماتت ومات التميمى، فلحق ولده هند بقومه وبقيت هالة أخت خديجة والطفلتان اللتان من التميمى وزوجته الأ-خرى؛ فضمتهم خديجة إليها، وبعد أن تزوجت بالرسول صلى الله عليه و آله ماتت هالة، فبقيت الطفلتان فى حجر خديجة والرسول صلى الله عليه و آله... وكان العرب يزعمون أن الربيبة بنت، ونسبتا إليه صلى الله عليه و آله، مع أنهما ابنتا أبى هالة زوج أختها، وكذلك كان الحال بالنسبة لهند نفسه (۳).

أريد من هذا كله أن أقول: إن ما يناسب صفات هذه السيدة، وما يلائم كلّ ما قيل بحقّها، ورغبة الآخرين فيها، وما يبعدنا عن مسألة كلّ ما يرد من إشكالات حول عمرها وقدرتها على الانجاب، وما دامت الروايات كلها قد تكون بمستوى واحد وليس لواحدة على الأخرى ترجيح، أرى أن الأخذ برواية ۲۵، أو ۲۸ كما ذهب إليه العقاد أولى، لأن هاتين الروايتين تناسبان واقع حياة هذه المرأة لا غير. أما زواجها السابق لمرتين فهو أيضاً محل تأمل وتوقف، وقد وردت أدلة وأقوال على أنها باكر كما ذهب إلى ذلك كلّ من أحمد البلاذرى، وأبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، والمرتضى فى الشافى، وأبو جعفر فى التلخيص: أن

۱- ۱ لها ذكر فى كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۱۵۷- ۱۵۸.

۲- ۲ الاستغاثة ۱/ ۷۰.

۳- ۳ راجع الصحيح فى سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله، والاستغاثة ۱/ ۶۸- ۶۹ ورسالة مطبوعة طبعة حجرية فى آخر مكارم الأخلاق ص ۶.

ص: ۱۲۹

النبی تزوج بها وکانت عذراء، هذا ما نقله ابن شهر آشوب فی المناقب فی ترتیب أزواجه صلی الله علیه و آله، حیث یقول: تزوج بمکّة أولًا خدیجة بنت خویلد؛ قالوا:

وکانت عند عتیق بن عایذ المخزومی ومن ثمّ عند أبی هالة زرارة بن نباش الأسدی.

وروی أحمد البلاذری، وأبو القاسم الکوفی فی کتابیهما، والمرتضی فی الشافعی، وأبو جعفر فی التلخیص: أن النبیّ تزوّج بها وکانت عذراء، یؤکد ذلک ما ذکر فی کتابی الأنوار والبدع: أن رقیة وزینب کانتا ابنتی هالة أخدت خدیجة (۱).

الزواج المبارک:

استجمعت أحاسیسها وراحت تستمع فرحةً مسرورةً لحدیث غلامها میسرة، الذی صحب النبیّ صلی الله علیه و آله وهو یضارب فی تجارة لخدیجة فی الشام، وراح یحدثها عن سیرة محمد معه وعن أخلاقه وطباعه وصفاته الجمیلة، وعمّا کان یراه من کراماته التی لم یر میسرة مثیلًا لها من قبل علی کثرة سفراته مع آخرین، فأعجبت به، وقد أسر کلَّ مشاعرها، وامتلک کلَّ عواطفها، وتحرّکت فی قلبها أسراره، وکأنها ترید لهذا الحدیث ألّا یتوقف أو ینتهی، ثم راحت تحدّق فی مستقبل فتی بنی هاشم الصادق الأمین، الذی غدا صدقه یملأ الآفاق، وأمانته یلهج بها کلّ لسان، ماذا یخبیء المستقبل لهذا الیتیم الهاشمی، وما هو ذاک الشأن العظیم الذی ینتظره؟!

لقد تمثلت أمام عینیها شخصیته بکلّ ما فیها من نبل صفاته ورقة شمائله، وعظیم وکرم أخلاقه، وجمال روحه وشرفه وفضله علی الجمیع.

لاحت من میسرة نظرة إلی سیدته، فردّت طرفها وعلتها العفة وهی أنبل نساء عصرها حیاءً وأعظمهنّ خُلقاً...

فانقلبت غبطتها تلک وفرحتها إلی حبٍّ لم تحسّ به من قبل، والی ودٍّ ما لامس مثله أحاسیسها أبداً، وإلی إکبار وتکریم ولجا قلبها ملأ کلّ منهما علیها حیاتها... وهی التی تمرّدت علی واقع نساء قومها، وامتنعت أمام أعظم قریش شرفاً ونسباً وثراء ومکانة...

فالتفتت بعد حین إلی أختها علی قول

۱- ۱ المناقب لابن شهر آشوب المازندرانی المتوفی سنة ۵۸۸، ۱/ ۱۵۹.

ص: ۱۳۰

وإلى صديقتها نفيسة بنت منبه على قول آخر؛ لتسرّها بأن ما قاله ميسرة عن محمد قد نفذ إلى روحها، وأنها وجدت فيه ما كانت تتمناه ولم تجده فيمن تقدم لخطبتها، فما كان من نفيسة- وقد سرّت بما سمعته- إلّاأن بادرت إليه- على رواية- فقالت له: ما يمنعك أن تتزوج؟

قال: ما بيدى ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟

قال: فَمن هى؟!

قالت: خديجة.

قال: كيف لى بذلك؟!

فقالت نفيسة، وقد علت ملامح وجهها الفرحةُ: علىّ ذلك، وسارعت لتبلغ خديجة بما سمعته من محمد.

وفى رواية:... وكانت لبيبةً حازمةً، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمٍّ، إنى قد رغبتُ فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (۱).

لقد خصّها اللَّه بكرامة ادّخرها لها، وكانت له من الشاكرين، واختارها لمكانتها وصفاتها لتكون امرأة خاتم رسله، وسيد الأولين والآخرين محمد ابن عبداللَّه.

لم يتأخر محمد فى إبلاغ عمّه (أبو طالب) وعشيرته بذلك، كما لم تتأخر خديجة فقد أبلغت عمّها عمرو بن أسد، الذى حضر، ودخل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليه فى عمومته، ومعه بنو هاشم وسائر رُؤساء مُضَر، فخطب أبو طالب فقال:

الحمد للَّهالذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ مَعَدّ، وعُنصر مُضر، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسُوّاس حَرمِه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنّ ابن أخى هذا محمد بن عبد اللَّه لا يُوزن به رجل من قريش إلّارجح به شرفاً ونُبلًا وفضلًا وعقلًا، فإن كان فى المال فلا، فإن المال ظلّ زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة. ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى هذا، وهو مع هذا- واللَّه- له نبأ عظيم، وخطر جليل أو «له واللَّه خطب عظيم ونبأ شائع». فتزوجها

۱- ۱ السيرة الحلبية ۱/ ۱۳۷.

ص: ۱۳۱

وأصـدقها عشـرين بكرة، وقيل اثنتى عشـرة (اثنتين وعشـرين) أوقيه ذهباً ونشا (نصف اوقيـة)، والأوقية أربعون درهماً، والنش عشـرون درهماً؛ فذلك خمسمائة درهم.

وفى رواية- فقال لأعمامه..، فجاء معه حمزة عمّه حتى دخل على خويلد [خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل بل عمرو بن أميـة عمّهـا، وكـان شـيخاً كبيراً وهو الصـحيح، على ما فى نهايـة الأرب ۱۶ / ۹۸، وعنـد ابن سـعد فى الطبقات ۱ / ۱۳۲ وعن جمهرة النسب للكلبى ص ۷۴ وهو عمرو بن أسد ابن عبد العزّى، وهو يومئذ شـيخ كبير لم يبق لأسد لصُلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو ابن أسد شيئاً] (۱).

إذن فقـد اشـتهر أن عمّها عمرو بن أسد، هو الذى زوّجها، وإن قيل: إن الذى زوجها أخوها عمرو بن خويلد؛ لأن أباها مات قبل حرب الفِجار، وهذا كلّه يكذب المزاعم، التى رويت من أن أباها زوّجها بعد أن سـقته خمراً... لتحصل بذلك على موافقته؛ لأنه لا يوافق من تزويجها من فقير يتيم...

ففى رواية أحمد فى مسنده:

حـدّثنا أبو كامـل، ثنـا حمّـاد، عن عمّـار ابن أبى عمـار، عن ابن عبّـاس- فيمـا يحسب حمّـاد- أن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله ذكر خديجـة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوّجه، فصـنعت هى طعاماً وشـراباً، فدعت أباها وزُمراً من قريش فطعِموا وشـربوا ثم ثَمِلوا، فقالت لأبيها: إن محمداً يخطبنى فزوِّجنى إيّاه، فزوَّجها إياه، فخلَّقته (طيبته، وفى المسـند «فجملته») وألبسته حُلّةً كعادتهم، فلما صحا نظر، فإذا هو مخلّق فقال: ما شأني؟ فقالت: زوّجتنى محمّداً، فقال:

وأنا أزوّج يتيم أبى طالب! لا لعمرى، فقالت: أما تستحى؟ تريد أن تسفّه نفسك معى عند قريش بأنك كنت سكران، فلم تزل به حتى رضى.

وقد روى طرفاً منه الأعمش، عن أبى خالد الوالبى، عن جابر بن سُمرة أو غيره.

كما ذكر مختصر تاريخ دمشق رواية نسبت إلى عمار بن ياسر تشبه هذه

۱- ۱ السيرة الحلبية ۱/ ۱۳۸..

ص: ۱۳۲

الرواية.

وهذا ما نفاه الواقدى بعد نقله بقوله:

وهـذا غلط، والثبت عنـدنا المحفوظ من حـديث محمـد بن عبداللَّه بن مسـلم، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، ومن حديث ابن أبى الزّناد، عن هشام ابن عُروة، عن أبيه، عن عائشة. ومن حديث ابن أبى حبيبة، عن داود بن الحُصين، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن عمّها عمرو بن أسد زوّجها رسولَ اللَّه صلى الله عليه و آله، وأن أباها مات قبل الفجار (۱).

وقـد بلغت تلك الروايـة من الضـعف والسـخف درجة كبيرة، فهى إضافة إلى منافاتها لأخلاق هذه السـيدة المباركة حتى قبل زواجها برسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، فقد شـهد لها- فى الجاهلية- بسمو الخلق والنجابة والشرف وبرجاحة عقلها وقوة شخصيتها، مع ما لها من المكانة الكبيرة عند أهلها وعشـيرتها، ممّا جعلها موضع فخر واعتزاز وممّا يؤهلها لاقناع أبيها- على فرض حياته- بهذا الزواج. يقول صاحب السيرة الحلبية عنها: امرأة حازمة أى ضابطة جلدة أى قوية شريفة أى مع ما أراد اللَّه تعالى لها من الكرامة ومن الخير...

فـامرأة تحمـل هـذه الصـفات لا أظنها بحاجـة إلى أن تسـتعين بأسـلوب يتنافى مع كلّ ما مَنّ اللَّه تعالى عليها من صـفات كريمـة، وقد وصفت خديجة نفسُها هذا الأسلوب- حسب الرواية- بقولها إلى أبيها: تريد أن تسفه نفسك معى عند قريش بأنك كنتَ سكران.

فهو إذن أمر معيب عندهم فكيف ترتكبه؟! وإضافةً إلى هذا فإن الرواية تتنافى مع الرواية الأخرى التى نالت إجماع أكثر المؤرخين من أن أباها توفى من قبل وأن عمّها هو الذى زوجها، وعلى رواية ضعيفة أن أخاها زوجها.

وتمّ هـذا الزواج المبارك، بعـد رجوع النبى صـلى الله عليه و آله من سـفره إلى الشام بشـهرين وخمسـة وعشـرين يوماً، وقبل بعثته نبيّاً بخمس عشـرة سـنة، وبعد أن أكمل صـلى الله عليه و آله خمساً وعشرين سنة وشهراً وعشرة أيام من عمره المبارك (۲)، وأخذت هذه السيدة مكانها الذى اختارتهُ السماء لها لتكون بجانبه صلى الله عليه و آله وهو يستعد لتحمل

۱- ۱ انظر تاريخ الطبرى ۱/ ۵۲۲.

۲- ۲ اتحاف الورى بأخبار امّ القرى- السنة ۲۶.

ص: ۱۳۳

مهام أعظم رسالهٔ سماویهٔ إلی الناس کافهٔ، فکانت للرسول صلی الله علیه و آله نعم الزوجهٔ ونعم السکن ونعم النصیر، وکان لها أحسن حظ طالما انتظرته وتمنته، ولم ینجو هذا الاقتران من حسدٍ وبغضٍ وغضب، فقد أحدث هزّهٔ بین الرجال، الذین سبق لهم أن توافدوا علی عتبهٔ بابها، وهم یحملون معهم کلّ المغریات لیخطبوا یدها، إلّاأنهم عادوا من حیث أتوا خائبین بعد أن رفضتهم، ولم تعبأ بما حملوه معهم من مال، ولم یجد شرفهم وزعاماتهم أیّ أثر فی نفسها. فلاذ بعضهم بالسکوت، والبغض والحسد یأکلان قلبه، فی حین لم یتمالک بعض آخر أحاسیسه ولسانه فقال: ما هذا إلّا سحر، مسکینهٔ خدیجهٔ، فقد سحرها الیتیم فشغفت به.

کما غضب علیها نساء قریش وهجرنها، وقلن لها: خطبک أشرافُ قریش، وأمراؤهم، فلم تتزوجی أحداً منهم، وتزوجت محمداً یتیم أبی طالب، فقیراً لا مال له؟!

فما کان من خدیجهٔ- بعدما سمعت بذلک کلّه- إلّاأن صنعت طعاماً ودعت نساء قریش وکان بینهن نساء المبغضین فلما اجتمعن وأکلن قالت لهن: معاشر النساء بلغنی أن بعولتکن عابوا علیَّ فیما فعلته من أنی تزوجت محمداً، وأنا أسألکم هل فیکم مثله، أو فی بطن مکّهٔ شکله من جماله وکماله وفضله وأخلاقه الرضیّهٔ؟! وأنا قد أخذته لأجل ما قد رأیتُ منه، وسمعت منه أشیاء ما أحد رآها، فلا یتکلم أحد فیما لا یعنیه، فکفّ کلّ منهن ومنهم عن الکلام (۱).

وقد تابع الزوجان حیاتهما المبارکهٔ هذه، وجهادهما الدؤوب، وقدر لخدیجهٔ أن تکون فی قلب الأحداث الجسام المملوءة بالآلام والشدائد المضنیهٔ، ووهبت کلّ ما تملکه من ثروهٔ وهو کثیر ووضعته بین یدی رسول اللّه صلی الله علیه و آله لیضمّه إلی سیف علی علیه السلام.

أنجبت له صلی الله علیه و آله کلّ أولاده إلّاإبراهیم فهو من ماریهٔ القبطیهٔ. وهم القاسم وبه کان صلی الله علیه و آله یکنی والطیب والطاهر- علی قول- وقد ماتوا صغاراً رضعاً قبل بعثته المبارکهٔ، ورقیهٔ وزینب- علی قول- وأمّ کلثوم وفاطمهٔ الزهراء التی تزوّجها الإمام علی علیه السلام.

۱- ۱ البحار للمجلسی ۱۹/ ۷۱.

ص: ۱۳۴

ولم يتزوج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غيرها طيلة حياتها المباركة معه، التى دامت قرابة خمس وعشرين سنةً.

إسلامها:

من بركـات اللَّه تعـالى الخاصـة بهـذه المرأة أن مَنّ عليها بأن اختارها لتكون أول نساء العالمين إسـلاماً وأسـبقهن تصـديقاً برسول اللَّه ودعوته، وأخلص نسائه صـلى الله عليه و آله جهاداً، وأعظمهن وفاءً وطاعـة له، وأصبرهن تحملًا لما لاقاه رسول اللَّه من ضـروب الأذى والتضـييق، وأكثرهن بذلًا وعطاءً فى سبيل اللَّه ورسوله، فعن عبداللَّه بن مسعود: إن أول شىء علمت من أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قـدمتُ مكـة مع عمومـة لى أو نـاسٍ من قومى نبتـاع منهـا متاعاً، فكان فى بغيتنا شـراء عطر، فأرشـدنا إلى العباس بن عبـدالمطلب، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض،... كأنه القمر ليلة البدر، يمشى على يمينه غلام، حسن الوجه...

تقفوهم امرأة، قـد سترت محاسـنها، حتى قصـد نحو الحجر فاسـتلمه ثم اسـتلمه الغلام، واسـتلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سـبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم اسـتقبل الركن، فرفع يـديه وكبّر، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فقنت مليّـاً، ثم سـجد وسـجد الغلام معه والمرأة، يتبعونه، يصـنعون مثلمـا يصـنع، فرأينا شـيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكـة، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين حدث فيكم، أو أمر لم نكن نعرفه فيكم. قال: أجل، واللَّه، ما تعرفون هذا؟ قال: قلنا: لا، واللَّه ما نعرفه، قال: هـذا ابن أخى محمـد بن عبـداللَّه، والغلام على بن أبى طالب، والمرأة خديجـة بنت خويلد امرأته أما، واللَّه، ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد اللَّه بهذا الدين إلّاهؤلاء الثلاثة.

لقد آمنت برسول اللَّه، ولم يسبقها إلى ذلك إلّاالإمام على عليه السلام كيف لا يكون كذلك، وقد قرأت- بما ألهمها اللَّه تعالى، وبما منحها من قدرة وحكمة وبصيرة ونظرة ثاقبة لمستقبل الصادق الأمين- مستقبله وأنه ذو شأن كبير

ص: ۱۳۵

ومقام كريم ومنزلة محمودة؟!

لقـد واكبت مسـيرته المباركـة وهو فى غار حراء، بخـدمتها الصادقة وكلماتها الطيبة، التى تدل على مدى اخلاصـها ونباهتها وصـفائها: «وهيأت خديجة لزوجها ما يناسبه من حياة، فلما لجأ للتحنث فى غار حراء، كانت تعدُّ له ما يحتاجه من طعام وشراب خلال الفترة، التى اعتكف فيها بالغار، فلما جاءه الوحى كانت أول من صـدقه، وعانت معه صـراع قريش ضـده، وكانت البلسم الشافى لجراحه من هؤلاء المعتدين، ودخلت معه الشعب عندما قرر سادة قريش أن يقاطعوا المسلمين...» (۱).

كانت تسـمعه كلمات رقيقة هادئة كلما دخل بيتها عائداً من غار حراء، كلمات ملؤها الحنان والحب. تدعوه أن يطمئن، وتدعوه أحياناً أن يهـدأ وينام، فكان يقول لها: مضـى عهـد النوم يا خديجـة. لقـد كانت كلماتها تلاحقه وهو فى بيته، وهو خارج منه، وهو فى الغار، وهو يـدعو عشيرته للإيمان، وهو فى دار الارقم يـدعو الناس سـراً، وهو فى كل مكان فى مكـة يقارع قريشاً وشـركها جهراً، وهو يرى أعداءه والمتربصين به، والمبغضين له، فكانت تخفّف عنه كلّ معاناته وكلّ ما يلقاه من أذى وتكذيب وعنت من قومه.

وكان صلى الله عليه و آله يصرّح ويفضى لها بكلّ شيء يقول ابن هشام فى سيرته:

وآمنت به خديجـة بنت خويلـد، وصـدقت بما جاءه من اللَّه، ووازرته على أمره،... فخفف اللَّه بـذلك عن نبيه صـلى الله عليه و آله، لا يسمع شـيئاً ممّا يكرهه من ردّ عليه وتكـذيب له، فيحزنه ذلك، إلّافرّج اللَّه عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصـدقه وتهوّن عليه أمر اللَّه، رحمها اللَّه تعالى (۲).

ومن كلماتهـا له صـلى الله عليه و آله أيضـاً: أبشـر، فواللَّه، لاـ يخزيك اللَّه أبـداً، واللَّه، إنك لتصل الرحم، وتصـدق الحـديث، وتؤدى الأمانة، وتحمل الكلَّ، وتقرى الضيفَ، وتعين على نوائب الدهر.

فى شعب أبى طالب:

ما انفكت قريش تصـعد عداءها لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ودعوته الجديدة، ولم يتوقف عملها فى تجذير ذلك العداء فى نفوس أبنائها قولًا وعملًا. وكلما ازداد

۱- ۱ سير أعلام النبلاء ۱/ ۸۱.

۲- ۲ السيرة النبوية لابن هشام ۱/ ۲۴۰.

ص: ۱۳۶

رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وصحبه التزاماً بموقفهم وثباتاً علی مبادئهم ازداد عـداءُ قریش لهم وأذاها. وقد رأت أن أهله وعشیرته قد وفروا له الرعایة والحمایة، فعزمت علی شنّ حملتها علی هذه الاسرة، وارتأت أن تتخذ وسیلة غیر الحرب فی أول أمرها فلعلّها تصل إلی أهدافها دون قتال وما یجرّه هذا القتال من ویلات وانقسامات بین قبائلها.

فاجتمع زعماؤها وکتبوا الصحیفة، التی قرروا فیها:

مقاطعة بنی هاشم علی المستویات الاجتماعیة والاقتصادیة فلا یتزوجون منهم، ولا یزوجونهم، ولا یبیعون لهم ولا یشترون منهم، ولا یکلمونهم، ولا یزورون مرضاهم، ولا یشیعون موتاهم، وأکرهوهم أن یلزموا الشِّعب وهو طریق بین جبلین.

أما نتائج هذه المقاطعة- التی استمرت حوالی ثلاث سنوات- فقد کانت قاسیة جدّاً علی بنی هاشم، ومسّهم بسببها الضرّ بل الجوع والحرمان... ولم تنقض إلّابعد أن أشفق بعض القرشیین علی بنی هاشم بسبب ما نالهم من أذی وعذاب، فخرقوا هذه الوثیقة، وعادوا إلی الاتصال بهم (۱) وهناک روایة: أن الأرضة أتت علی کلّ شیء فی الصحیفة، ولم تدع إلّااسم اللَّه جلّ وعلا وقد أوصی اللَّه لمحمد بذلک، فنقل ذلک إلی عمّه أبی طالب، فتحدی أبو طالب جماعة المشرکین، وأحضروا الصحیفة فظهر صدق محمد.

هذه خلاصة المقاطعة، التی کانت خدیجة ضحیةً من ضحایاها، فقد أصابها الضر أیما إصابة، وعانت معاناة عظیمة من آثار هذه المحاصرة الظالمة، ولکنها لاذت بالصبر، ووقفت إلی جانب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله موقفاً، یندر أن تقف مثله امرأة، وکان لشخصیتها ومکانتها وهیبتها فی النفوس الأثر الکبیر، إلی درجة أنها صارت من أسباب قیام خلافٍ ونزاعٍ أدّی إلی انهیار موقف قریش، وترک العمل بالصحیفة وفشل المقاطعة.

ففی السیرة النبویة (۲): أن أبا جهل لقی حکیم بن حزام بن خویلد، ومعه غلام یحمل قمحاً إلی خدیجة بنت

۱- ۱ السیرة النبویة لابن هشام ۱/ ۱۱۰، ۲۳۱، ابن القیم ۲/ ۴۶.

۲- ۲ لابن هشام ۲/ ۵.

ص: ۱۳۷

خويلد زوجة الرسول وعمّة حكيم، فتعلق به أبو جهل، وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم، واللّه، لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البخترى، وقال له: مالك وله؟ إنه طعام كان لعمته رغبتْ إليه فيه، فكيف تمنعه؟ فأبى أبو جهل، وقام نزاع كان من أسباب إغفال الصحيفة ونهاية المقاطعة.

كما كان لهشام بن عمرو بن الحارث العاملى الذى كان من أقرباء خديجة دور آخر فى بذر الخلاف بين زعماء المقاطعة، فقد كان أكثر الناس إقداماً على مساعدة المحصورين المقاطعين، فكان يدخل أحمال الطعام إلى بنى هاشم فى الشعب... وأرادت قريش معاقبته.

فانبرى أبو سفيان وقال: دعوه، رجل وصل رحمه، أما واللّه إنى أحلف باللّه لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن (۱).

مكانتها فى قلب الرسول صلى الله عليه و آله

لم تتحمل أمّ المؤمنين عائشة وهى ترى رسولَ اللّه صلى الله عليه و آله يذكر خديجة، فقالت: ما زلتَ تذكر بحسرة وألم عجوزاً من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت من عدة سنين، وقد أبدلك اللّهُ خيراً منها!

فما كان من رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعد أن تغير وجهه الكريم، إلّاوزجرها غاضباً، وقال: «واللّهِ ما أبدلنى اللّه خيراً منها» ولم يكتف صلى الله عليه و آله بهذا بل راح يذكر مناقبها- التى ما فتئ يعيشها صلى الله عليه و آله فى حياته المباركة-: «آمنت بى حين كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالِها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها اللّهُ الولدَ دون غيرها من النساء...

فقالت عائشة فى نفسها: واللّه لا أذكرها بعدها أبداً (۲).

وقبل ذلك لم تتوقف غيرة أمّ المؤمنين عائشة من أمّ المؤمنين خديجة، التى احتلت تلك المكانة العظيمة من قلب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وظهر ذلك كلّه فى مواقف عملية للرسول الكريم، حتى بعد وفاتها سلام اللّه عليها.

رأته عائشة يوماً وقد ذبح شاةً يقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة

۱- ۱ تاريخ قريش ص ۳۱۶ للدكتور حسين مؤنس.

۲- ۲ الاستيعاب ۴/ ۱۸۲۴.

ص: ۱۳۸

منها، وهنا أيضاً، لم تتوقف عائشة عن أن تسمعه شيئاً، فقال: «إنى لأحبّ حبيبها» (۱).

وظلت الغيرة لا تنفك عن قلبها من سيدتنا خديجة، لا لشيء- فالأمر كلّه بعد موتها- إلّالأنها سبقتها إلى نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإلى قلبه فاحتلته بما امتلكته من خلق عالٍ وشرف رفيع وايمان صادق وجهاد خالص وذكر طيب، وبما قدمته من حياتها التى استرخصتها وثروتها وأموالها، كلّ ذلك وضعته بين يديه المباركتين؛ لنيل مرضاة اللَّه ولتُعينه صلى الله عليه و آله وهو يحمل أعظم رسالة وأخطر مسؤولية تبليغية تغييرية عرضتها السماء وعرفتها الإنسانية.

وحينما نصره اللَّه تعالى وفتحت أبواب مكة له- وكان وقتها قد مرّ على وفاتها أكثر من عشر سنوات، وكانت كلّ تلك السنين مليئةً بالأحداث والشؤون المريرة، ولكنها مع كلّ ذلك لم تشغله عن ذكره لخديجة- أقام فى قبة ضربت له هناك إلىجوار قبرها- حيث روحها التى تخفق حوله فتريحه وتؤنسه وترافقه وهو يشرف على فتح مكة، ويطوف بالكعبة، ويحطم رموز الكفر والشرك، وهو بين لحظة وأخرى يرمق دارها حيث نبع الحب وحيث السكينة والمودة والحنان والتضحية.

وفيما قالته أمّ المؤمنين عائشة، كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار. فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيرة، فقلتُ: لقد عوضك اللَّه من كبيرة السن، قالت:

فرأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غضب غضباً أُسقطتُ فى جلدى، وقلتُ فى نفسى:

اللهم إنك إن أذهبت غضبَ رسول اللَّه عنى، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت. فلما راى النبى صلى الله عليه و آله ما لقيت، قال: كيف قلت؟ واللَّه، لقد آمنت بى إذا كفر بى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقتْ منى الولد إذ حرمتُموه منى.

قالت: فعدا وراح علىّ بها شهراً.

أما ما ورد فيها عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

- فعن عبداللَّه بن جعفر بن أبى طالب رضوان اللَّه تعالى عليهما: أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: أمرتُ أن أُبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه

۱- ۱ الاستيعاب ۴/ ۱۸۲۴.

ص: ۱۳۹

ولا نصب.

قال ابن هشام: القصب ههنا:

اللؤلؤ المجوَّف (۱).

- وعن عائشة، قالت: ما غرتُ من أحد ما غرتُ على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة (۲).

- وقال ابن هشام: وحدثنى من أثق به، أن جبريل عليه السلام أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: أقرئ خديجةَ السلام من ربِّها، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يا خديجة، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: اللَّهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريل السلامُ.

عام الحزن:

شاءت السماء أن تمتحن هذا القلب الكبير، وقد امتحنته مرات ومرات، ولكن هذه المرّة فى زوجته التى أبت إلّا أن تعيش كبيرة وتموت كبيرة، والتى كانت له وزيرَ صدق على الإسلام (۳)، وكانت شريكته فى حياته كلّها، فى دعوته، وفى تبليغه لها، وفى جهاده وتضحياته.

لقد رحلت عنه فى السنة العاشرة من البعثة النبوية، ودفنت فى مقبرة الحجون بمكّة بعد أن رحل قبلها- بشهور على قول وبأيام على قول آخر- عمّه أبو طالب الذى كان له عضداً وحرزاً فى أمره، ومنعة وناصراً على قومه (۴).

لقد رحلت هذه المرأة العظيمة، لتنتهى برحيلها ورحيل أبى طالب العم المدافع والمحامى القوى أولى مراحل رسالة السماء، التى شكلت الفترة المكّية الأولى بكلّ آلامها وأحداثها، كما كانت الفترة التأسيسية لهذه الرسالة المباركة، وكان لوجوديهما المباركين الأثر العظيم فى تشكيل تلك المرحلة التى دامت قرابة عشر سنوات وفى بقائها واستمرارها وثباتها.

لقد رحلت هذه السيدة المباركة، بعد أن وصل نداء الإسلام الحبشة، وتجاوز صداه بقاع الحجاز، وبعد أن حملته قلوب صادقة ونفوس مضحية، وأيادٍ قوية...

رحلت هذه السيدة الجليلة، وغابت عن دنياه، ولكنها لم ترحل عن قلبه

۱- ۱ الروض الأنف، وانظر سيرة بن هشام ۱/ ۲۴۱.

۲- ۲ الروض الأنف، وانظر سيرة بن هشام ۱/ ۲۴۱.

۳- ۳ السيرة النبوية لابن هشام ۲/ ۴۱۶.

۴- ۴ السيرة النبوية لابن هشام ۲/ ۴۱۶.

ص: ۱۴۰

النابض بمواقفها الصادقة.

رحلت هـذه المرأة المباركة ولكنها ظلت ماثلة دائماً أمامه، ولم ينس ذكراها أو يتأس عنها، أو يدخل قلبه غيرها، أو يحتل مكانها منه، بل ولم تستطع أىّ واحـدة من نسائه- مهما بذلت من جهدٍ- أن تبعد طيفها عنه صـلى الله عليه و آله، وهو الذى ما فتئ يذكرها، وكان ذكره لها يثير غيرة بعض نسائه، وكانت أشـدهن غيرة أمّ المؤمنين عائشـة، فبذلت ما تستطيعه من أجل أن تنسيه ذلك الطيف الجميل وتلك الذكرى العطرة، أو أن تخمد أو على الأقل تخفّف ذلك من قلبه فما استطاعت، مع أنها كانت فى مطلع صباها ونضارة شبابها..

فسلامٌ على خديجة فى الخالدين

الهوامش:

رحلة رجل من البلاط القاجارى

ص: ۱۴۱

ص: ۱۴۲

رحلة رجل من البلاط القاجارى

تقديم: على قاضى عسكر

لما للرّحلات من فوائد ثقافيّةٍ وتأريخيّةٍ.. طالما كانت مصدراً يرجع إليه فى كثيرٍ من البحوث والكتابات .. تفتح مجلّتنا باباً جديداً خاصّاً برحلات الحجّ.

إدارة التحرير

المقدّمة:

إنّ كتابة الرحلات، سُنّة موجودة منذ القدم، وإن كانت بشكل محدود، بين الأقوام والملل فى الدنيا، ولكنّها تطوّرت بشكل ملحوظ فى القرنين الأخيرين، فقد انطلق كُتّاب الرحلات، كلٌّ حسب اختصاصه وتوجّهاته الفكرية الى شرح ووصف الأماكن والآثار والأبنية التأريخية، والمواقع الجغرافية، وعادات وتقاليد القرى والمدن، والحوادث والوقائع المهمّة والمثيرة فى الطريق... الخ.

ومن بين الرحلات، تتميّز رحلات الحج بأهمية وجاذبية أكبر، فهى تنقل لنا

ص: ۱۴۳

نقاطاً مهمة وحسّاسة عن کیفیة أداء الحجیج لمناسک الحج فی القرون الماضیة، وأسلوب تعاملهم مع بعضهم، ومصاعب الطریق ومشاکله المختلفة، وعدم توفر الأمکانات المادیة والترفیهیة، وعن المعاملة السیئة التی یمارسها سکان مکّة والمدینة ضد الحجّاج غیر العرب.

من بین رحلات الحجّ اللطیفة والمشوّقة، والمؤلمة أحیاناً، هذه التی بین یدیک، فمع أن کاتبها مجهول، لکنّه، عموماً، یمکن القول: إنّه کان أحد أفراد بلاط ناصر الدین شاه قاجار وموضع اهتمامه، حیث إنّه شرع فی رحلته هذه بعد الاستئذان منه، وقد کتبها خصیصاً؛ لیقرأها (الشاه) نفسه.

یتّضح لنا من مواضیع هذه الرحلة، أن الکاتب کان یحمل أفکاراً جدیدة، وتتصف بالتطور، ففیما یخصّ حیاکة السّجاد یکتب قائلًا:

«للأسف، إن معظم الألوان المعدنیة إفرنجیة وغیر ثابتة، فیالیت قادة البلد یمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجی فی الصناعات الإیرانیة».

وحول بناء السّدود یکتب قائلًا:

«إن الأراضی الإیرانیة، التی تمرّ عِبرها هذه الأنهار، کلّها صحراویة وقاحلة وعدیمة الفائدة، فی حین إنّه یمکن وبمبالغ بسیطة، بناء سدّ؛ لتوجیه المیاه الوفیرة نحو الأراضی الخصبة والصالحة، وإحیاء الزراعة».

إن الکاتب، من البدایة وحتی النهایة، ینظر نظرة نقدیة ثاقبة للمسائل المتعلّقة به، ویُطلع القارئ علی کثیر من الوقائع والأحداث والمشاکل الخاصّة بذلک العصر.

ومن المسائل التی تهزّ الضمیر فی هذه الرحلة، بیان جوانب من اضطهاد أهالی المدینة للشیعة، ففی هذا المجال یقول الکاتب:

والعجیب، أنّ شیعة أهل المدینة یسکنون خارج المدینة القدیمة، وبیوتهم ردیئة جدّاً وخَرِبة، ویعیشون عیشة صعبة للغایة، ولا یسمح لهم أهل المدینة بالدخول إلی الحرم الشریف ومسجد النبی صلی الله علیه و آله، ویحدث بین الحین والآخر أن یسطوا علی منازلهم وینهبونها ویضربوهم ویقتلوهم...!

ص: ۱۴۴

بدأت هذه الرحلهٔ فی الثانی والعشرین من شهر شعبان سنهٔ ۱۲۹۶ ه. ق وانتهت فی جمادی الآخرهٔ سنهٔ ۱۲۹۷ ه. ق.

العزم علی الزیارهٔ:

بعد أن طلبتُ الإذن بالسفر من تراب قدم صاحب الجلالهٔ المبارکهٔ، غادرت فی الثانی والعشرین من شهر شعبان سنهٔ ۱۲۹۶ عازماً علی زیارهٔ بیت اللَّه الحرام، وقد رجعتُ الی طهران فی الرابع عشر من شهر جمادی الآخرهٔ سنهٔ ۱۲۹۷، وما رأت عینای فی هذه الرحلهٔ، کتبته یدی فی السطور التالیهٔ:

من طهران الی خانقین:

فی الطریق من طهران وحتی حدود خانقین، شاهدتُ بعض المضائق والجسور الجیدهٔ، حیث إن الناس العظام الخیّرین قد بنوها، وذلک لتوفیر الراحهٔ والرفاهیهٔ للزائرین والمسافرین. وقد تهدّمت معظمها مع مرور الزمان، وبعضها علی وشک الخراب. ویمکن فی الوقت الحاضر، وبمبالغ بسیطهٔ ترمیمها کلّها، ویُخلّد القائمون علی ذلک مدی الأجیال. ومتی ما أهملنا هذا الأمر، سیدبّ الخراب تدریجیاً فی جمیع تلک الأبنیهٔ، وستذهب تلک المبالغ سُدًی، وسیتحمّل المارّون بها والمسافرون مشقّات إضافیهٔ، فعلی سبیل المثال، یوجد فی ساروق- وهی قریهٔ معروفهٔ للمیرزا علی قائم مقام، وقد انتشر فیها فن حیاکهٔ السجاد، وأهلها أناس شرسون- مضیق مهم، وهو من الأبنیهٔ التی خلّفها الصّیفویون. وقد عاث أهل القریهٔ فیها خراباً، وهم متعمدون، حتی لا تصلح للسکن، وبالتالی یأتون بالمارین بها الی خاناتهم (فنادقهم الصغیرهٔ) حتی یعتدوا علیهم بمختلف الأشکال.

فن حیاکهٔ السجّاد:

إنّ فن حیاکهٔ السجّاد فی هذه الدولهٔ دائمهٔ الملک، وللَّه الحمد، قد انتشر

ص: ۱۴۵

وتطوّر. فلم نرَ فی طریق عراق (اراک) وهمدان وکرمانشاه منطقة، إلّاوکان نساؤها وفتیانها منهمکین بهذا الفن، فعلی سبیل المثال، رأیتُ فی کرمانشاه سجّادتین (زین پوش) جمیلتین، وهما من صنع إحدی النساء، وقد نقشت أنواع الزهور علیها، وجمیعها ذات ظلال، وقد کان إبداع المرأة المذکورة لدرجة یُظَنّ معها أنّها قد رُسِمت بریشة رسّامٍ إفرنجی. ولکن للأسف فإنّ أغلب ألوان الصبغ إفرنجیّ وغیر ثابت، وأن الألوان النباتیة الثابتة قد نُسخت نهائیاً، ولهذا السبب، فإنّ تجارة السجّاد قد تدهورت منذ سنین عدیدة، فیالیت قادة البلد، یمنعون منعاً باتاً استعمال ألوان الصبغ الإفرنجی فی الصناعات الإیرانیة.

قُطّاع الطرق فی نوبران:

کان فی نوبران مرکز لصیانة الطریق، وکان مکانه قرب الجسر، یسکنه عدد من العمّال، وکانوا أناساً أشراراً أو ذوی سلوک عدوانی، متی ما مرّ اثنان أو ثلاثة أشخاص من هناک، فتشوا جیوبهم وآباطهم، وإذا عثروا علی أموال أو أشیاء ثمینة سلبوها منهم، وقد رأیتُ عدداً من زوّار منطقة هرات المترجّلین قد حدثت معهم مثل هذه الأعمال، وقد تعرّضوا جمیعاً للاعتداء. وأخذ ما معهم بالإکراه.

ومن حدود ایران الی حدود بغداد فی أرض العراق یمکن مشاهدة قرًی ومناطق کثیرة، مثل: خانقین، ومدینة وان، وبعقوبة، وقزل رباط، ومندلی وغیرها، وجمیع هذه المدن ترتوی من الأنهار النابعة من إیران، وکلّها خضراء یانعة، فی حین إن الأراضی الإیرانیة، التی تمرّ عِبرها هذه الأنهار، صحراویة وقاحلة وعدیمة النفع، حیث إنّه یمکن وبمبالغ بسیطة بناء السّدود، وتوجیه میاه غزیرة نحو الأراضی الخصبة والصالحة، وإحیاء الزراعة، التی تحمل فی طیّاتها منافع کثیرة للدولة والرعیّة، حیث یلی ذلک توفیر الأمن علی جمیع الطرق، حتی یتمّ الخلاص من الوضع الحالی، الذی یغیر فیه لصوص الحدود کلّ یوم علی قافلة من القوافل فی منطقة ما فیسلبونهم کلّ ما یملکون.

ص: ۱۴۶

فی قصر شیرین:

بأمر من قائد البلاد دائم الملک، تقرّر استنفار عدد من الفرسان فی مدینة قصر شیرین بصورة دائمیة، وقد تفحّصتهم بدقّة، فوجدتهم لا یتجاوزون الثلاثین، أو الأربعین، بخیولهم التعیسة وأسلحتهم المغشوشة، یریدون النجاة أمام لصوص الحدود، المسلّحین ببنادق جیدة، وعندهم الخیول القویة المقاتلة، فکیف یرید أولئک الفرسان أن یؤمّنوا الطریق حتی تعبر قوافل الزائرین بسلام؟!

إنّ فی المنطقة الواقعة بین قصر شیرین والحدود، توجد آثار عدّة قلاع وبرج وقریة، بالقرب من الطریق الذی نسلکه، جمیعها خرائب وخالیة من السکان، وهی تقع فی سهول خضراء ویانعة، وتحتوی علی المیاه الوفیرة، ویظهر أنّه بسبب بعض الاعتداءات، قد تواری سکّان تلک المناطق عنها، ومنذ ذلک الحین، أصبح السیر فی هذه القلعة غیر آمن ومحفوفاً بالمخاطر.

العتبات المقدّسة:

عند توقفنا فی العتبات المقدّسة، لفتت انتباهی نقاط، أهمّها:

أوّلًا: لا تتم المحافظة علی الثریّات والشمعدانات المُهداة من قِبل صاحب الجلالة شهریاری، وأن الأموال التی تُقبض باسم إنارتها، لا تُصرف فی ذلک، وخاصة فی الکاظمیة. أمّا فی سرّ من رأی، فإنّ هناک ثریّات مضاءة کلّ لیلة، وعملها مُنظّم، إلّاأن معظم اغلفتها قد حُطِّمت واستُبدِلت باخری ردیئة.

ثانیاً: فی کلّ عام، تُنقل جنائز کثیرة للموتی من جمیع أنحاء إیران إلی مدینة النجف الأشرف؛ لدفنها فی مقبرة «وادی السلام». ومنذ لحظة دخول هذه الجنائز البلاد العثمانیة، وحتی لحظة الدفن، تجبی ضرائب مختلفة فی أماکن متعدّدة وبذرائع شتّی، مثل: ضریبة (جواز السفر)، وضریبة التابوت، وضریبة الطریق، وضریبة الحراسة، وحق الأرض وغیر ذلک. وبعد دفن الجثمان، یقوم عمّال المقبرة أنفسهم، من فرط دناءتهم، بعد أیّام قلیلة، بنبش القبر وسرقة أحجاره، التی هی غیر ذات

ص: ۱۴۷

قیمة، وکذلک یأخذون علامة القبر من حجر وطابوق، لیبیعوها فی مکان آخر.

ونتیجة لـذلک لا تستتر جثة المیّت إلّابحصی قلیلة، وتکون علی عمق یسیر من سطح الأرض، حیث یصبح معظمها بعد ذلک طُعماً لدواب الصحراء، ولا یبقی لقبور المسلمین هناک أیّ أثر.

السفر نحو البصرة:

بعد التشرّف بزیارة العتبات المقدّسة، صعدنا فی ۱۴ شوال علی ظهر مرکب صغیر علی دجلة یسمی (لندن)، وانطلقنا من بغداد نحو البصرة، وبعد عدّة أیّام انتقلنا الی ظهر مرکب آخر یسمی (بلاس لنج)، حیث وصلنا البصرة فی ۲۲ شوال، وفی الطریق إلی البصرة، کنا قد مررنا علی آثار المدائن، وقبر سلمان الفارسی، وقصبة العمارة، التی تقع جمیعها علی الجانب الأیسر من دجلة، والعمارة قصبة واقعة علی ضفاف دجلة، جمیلة جدّاً، وهی تابعة للحکم العثمانی، ولا- یقل عدد سکانها عن مائة أسرة، کما یقطنها الکثیر من الرعایا الإیرانیین، ویتواجد فیها موظف عن دائرة رعایة المصالح فی بغداد أو ما یعرف بلغة الیوم القنصلیة.

المدائن:

کانت فی الماضی مدینة واقعة علی ضفاف دجلة، بناها ملوک العجم، وکانت تعدّ العاصمة الشتویة لهم، وبعد تهدّمها، بُنیت بغداد من مواد البناء المتبقیة من خرائبها، وفی الوقت الحاضر لم یبقَ منها سوی طاق کسری، وبالقرب منه، قبر سلمان الفارسی رضی الله عنه حیث یُشاهد من علی دجلة، مع أعدادٍ من النخیل.

قبر النبیّ عزیر علیه السلام:

وعلی الضّفة الیمنی لنهر دجلة، یوجد قبر النبی عزیر علیه السلام، حیث یحتوی علی صحنٍ کبیر وواسع، وحوله أبنیة ذات طابقین یقطنها الیهود، والقبر بمثابة مکان مقدّس للعبادة.

ص: ۱۴۸

البصرة:

وهى مدينة مُلحقة بالحكم العثمانى وتابعة لبغداد، تقع على ضفاف شط العرب، على مسافة ثلاثة أرباع الفرسخ، وبُعد الشمال الشرقى والشمال الغربى عن الخليج الفارسى هو أربعة عشر فرسخاً، والمسافة من الجنوب الشرقى للمدينة إلى بغداد هى ۴۶ فرسخاً، والطول الغربى للمدينة عن طهران هو ثلاث درجات، والعرض الشمالى لها ثلاثون درجة. وقد سُجّل عدد نفوسها بحوالى ۵۰ الى ۶۰ ألف شخص، ولكن حسب اعتقادى فإنه أقل بكثير من هذا العدد، وتضمّ أسواقاً كثيرة، وأزقة ضيّقة وقذرة وغير منتظمة، وتوجد فيها مستشفى أيضاً، وبسبب المّد والجزر لشط العرب فإن هواءَها غير صحّى.

إن مدينة البصرة، هى إحدى المراكز التجارية الكبيرة فى آسيا، وللعديد من الدول الأوروپية مصالح تجارية فيها، وفى الماضى، كان لها شأن كبير.

وقد أسّسها الخليفة الثانى فى عام ۱۵ هجرية، وقد خضعت فى العام ۱۰۴۸ هجرية لسيطرة ايران، ثمّ انتزعها العثمانيون بعد ذلك، وعادت الى السيطرة الإيرانية من جديد فى العام ۱۱۸۷ ولمدّة ستة أعوام، وهى حاليّاً تحت السيطرة العثمانية.

معظم أهلها من أهل السنّة، وتجاورها بمحاذاة الشطّ، قصبة جميلة تُعرف ب (على مقام) حيث تحتوى على مسجد قد صلّى فيه أمير المؤمنين على عليه السلام، وهو محل زيارة العامّة. وتقطن هذه القصبة غالبية شيعية، ويُقيم الحجّاج فيها فى الذهاب والإياب.

على مقربة من (على مقام) وعلى ضفاف الشط، يوجد بستان كبير صاحبه تاجر مشهور من العجم يسمّى الآقا عبد النبى، وقد حلّ الدّاعى ضيفاً على صاحب هذا البستان، ومع حداثة سنّه، فإن التاجر المذكور ذو حظوة وشهرة كبيرتين، وهو يقوم بتلبية احتياجات الحجّاج من العجم. وقد تجاوز رؤساء

ص: ۱۴۹

التجار كثيراً من القيم للحفاظ على أنفسهم وذلك بالانتماء الى الدولة العثمانية.

بعد ثلاثة أيام من الإقامة فى البصرة، صعدنا على ظهر سفينة أكبر تدعى (هانرى پولكو) وفى الثامن والعشرين من شهر شوال رست السفينة على شاطئ ميناء بوشهر، وقد مرّت فى طريقها على المحمّرة، وهذه القلعة تقع على الضفة اليسرى من الشطّ، على بعد عدة فراسخ قبال البصرة، ويمرّ نهر الكارون بمحاذاتها، ويبدو جليّاً من بعيد منظر البرج وسور القلعة. وخصوبة المنطقة هى أكثر من البصرة، وتضمّ أراضى صالحة للزراعة، ولكن اقتضت سياسة شيخ العرب دائماً على أن يُبقى تلك المنطقة فى خرابٍ ودمارٍ، وأن يحول دون إسكان أحد فى القلعة، وإلّا فليس مستساغاً أن يكون وضع المحمّرة على هذا الحال بالمقارنة مع البصرة، فشيخ العرب هذا قد جمع لنفسه عقارات وضيعات خارج أرض المحمّرة، أى فى الأراض العثمانية، وصبّ جلَّ اهتمامه عليها، ولولا وقوفه أمام طموح الرعيّة وسوء الظن بهم ورغبته فى خرابها، لانتعشت قلعة المحمّرة بسكانها وتجارها، وازدهرت بساتين النخيل فيها، ولدرّت على الدولة والرعية أموالًا طائلة بينما لا تجد فيها الآن غير الخروف المشوى.

بوشهر:

وهى إحدى الموانئ فى بلاد فارس، تقع على ضفاف الخليج الفارسى، ويمرّ عبرها دائرة نصف النهار لطهران، ويحين وقت الظهر فى المدينتين فى آنٍ واحد وهى على خط العرض ۲۹ درجة الشمالى.

وعدد السكان فيها يناهز العشرة آلاف نسمة، ومعظم أزقّتها ضيّقة وأبنيتها ذات طابقين. وهى تعدُّ مركزاً تجارياً مرموقاً، وغالبية سكانها من التجّار، وتضمّ ثلاث سفارات مهمّة، الأولى السفارة البريطانية، التى تمارس نشاطاتها باقتدار شديد، ويقع مبنى السفارة على شاطئ البحر، و تحرسها مجموعتان من الجنود الهنود بإمرة أحد الضباط، الذين يؤدون التمارين العسكرية عصر كل يوم فى باحة السفارة.

ص: ۱۵۰

السفر نحو جِدّة:

فی الثانی من شـهر ذی القعـدة تحرّکنا من بوشـهر نحو جِدّة، وقد کان مرورنا علی بندر عباس وجزیرة قشم، ومضـیق هرمز، ومسـقط، وعدن، وعبرنا مضیق باب المندب الی (مخا) ومن ثمّ وصلنا الی جِدّة فی الثامن عشر من ذی القعدة.

بندر عباس:

مدینـة فی بلاـد فارس علی مسافـة سـتة فراسـخ، إلی الشـمال من مضـیق هرمز، فی الحـدود الجنوبیـة لفارس، مساحتها ۲۰ فرسـخاً* ۴ فراسخ، وهی مختصّة بأحد شـیوخ العرب، الّذی یَمُتُّ بصـلة قرابة لإمام مسـقط. کانت تحتوی علی ثلاثمائة قریة، ویبلغ تعداد سـکّانها حالیاً ستة عشر ألف نسمة، بما فیهم أربعة آلاف یسکنون بلدة قشم، فی الجزء الشرقی من الجزیرة.

هرمز:

مدینة ومیناء فی قارة آسیا، تقع علی الساحل الشمالی الشرقی لجزیرة هرمز، ولا تبعد کثیراً عن سواحل بلاد فارس، وهی تقع علی بوابة الخلیج الفارسی، وتتصل ببحر عمان عن طریق مضیق هرمز، ویبلغ عدد سکانها نحو ثلاثمائة شخص، وفی الماضی، کانت جزیرة هرمز مرکزاً لاسـتخراج اللؤلؤ بکمیـات کبیرة، حیث کـانت تجمع من أطرافها. والجزیرة، وإن کانت قاحلـة فعملیـة اسـتخراج اللؤلؤ، وموقعها الجغرافی المتمیّز، الذی یعدُّ مفتاح الخلیج الفارسـی جعلها ذات أهمیّة خاصّة، ولهذا، فإنّ سـلطاناً صغیراً کان یسیطر علی هذه المنطقة، وکان یضـطلع بمسؤولیة الحفاظ علی أبراج الجزیرة، وکانت مقتدرة، وظلّت لمدّة طویلة بمثابة مقر للبرتغالیین فی الشـرق، ولکن الشاه عباس ضمّها تحت لوائه فی عام ۱۰۳۳، وهی الآن تحت السیادة الإیرانیة، ولکن صید المحار قد أفل نجمه.

مسقط:

مدینة تقع فی الجزیرة العربیة، وهی عاصمة إمامة مسقط، تبعد عن مکّة

ص: ۱۵۱

مسافة ثلاثمائة فرسخ، وهی علی خط الطول الجغرافی (۱۱) درجة الی الغرب من طهران، وعلی خط العرض ۵/ ۲۳ درجة شمالًا، وتقع علی مقربة من مضیقٍ فی الخلیج الفارسی، ویبلغ عدد سکانها خمسین ألف نسمة، وتعدُّ موانئها من أفضل وأهمّ الموانئ. وأمّا مناخها فحارّ مُحرق وغیر صحّی. وهی مکان لمرور جمیع أنواع البضائع والسّلع، التی ترد من الهند إلی الخلیج الفارسی، کما أنها مرکز مهمّ للتجارة واللؤلؤ فی هرمز.

عدن:

وهی من مدن الیمن، تقع بالقرب من الخلیج الفارسی، علی مسافة (۳۶) فرسخاً جنوب شرقی (مَخا). کان عدد سکانها فی السابق یبلغ ألف نسمة، إلّا أنها- وبعد أن أصبحت تابعة للتاج البریطانی- تقدّمت کثیراً من حیث العمارة والسکان وازدهرت، وتحتلّ الیوم مکانة مرموقة فی الشؤون الحکومیة، کما أنها میناء تجاری عامرٌ للغایة.

باب المندب:

وتعنی هذه الکلمة باب النواح والنُّدبة، قد مررنا من هُناک لیلة الجمعة (۲۴) من ذی القعدة، عند السّحر. وباب المندب مضیق محفوف بالمخاطر الجمّة، وهو نقطة الاتصال بین البحر الأحمر وبحر عُمان، ویبلغ طوله حوالی ثمانیة فراسخ، وأمّا طوله الجغرافی عن طهران فیبلغ (۸) درجات غرباً، والعرض (۵/ ۲۱) درجة شمالًا. ویقع جبلان علی عرض هذا المضیق، ویُقسّمان المعبر علی ثلاثة طُرق، فالطریق الواقع الی الیسار قلیل العرض، والطریق الأوسط قلیل المخاطر. وقد وضعت الحکومة الإنجلیزیة هناک علی الجبل حُرّاساً ومشعلًا دوّاراً لهدایة الملّاحین، الذین یضلّون الطریق لیلًا لإیوائهم هناک.

مَخا:

مدینة فی الیمن من جملة إمامة صنعاء، وتقع عند خلیج الجزیرة العربیة، الذی

ص: ۱۵۲

یسمّونه کذلک بالبحر الأحمر، وتقع علی مسافة (۴۶) فرسخاً الی الجنوب الغربی من صنعاء. وهی علی خط طول (۹) درجات غرب طهران، وخط عرض (۱۳) درجة شمالًا، ویبلغ عدد سکانها خمسة آلاف نسمة، وهی مرسیً عامر. وتبدو جمیلة جدّاً عن بُعد، إلّاأن داخلها یختلف عن ذلک، فمنظرها کریه، وهواؤها حارّ جدّاً، فدرجاتحرارتها مرتفعة للغایة. تحیط بها أراضٍ مکسّوة بالحصی، وتشتهر بزراعة البُن عند السفوح فی أطرافها، واضافة إلی محاصیلها من القهوة، التی تصدّر إلی الخارج، فهی مشهورة بالصمغ والمُصطکی والکندر والجلود المعدّة للتجارة.

جدّة:

مدینة ومیناء معمور فی الحجاز، تقع بالقرب من البحر الأحمر علی بُعد اثنی عشر فرسخاً الی الغرب من مکّة المکرّمة. یبلغ عدد سکانها حوالی عشرة آلاف نسمة. وترسو السُّفن علی مسافة نصف فرسخ منها. وهی مرکز لتواجد قنصلیات لدول عِدّة، من جملتها دولة إیران، التی تمتلک قنصلیة هامة فیها. وهی مبنیة من الآجر المسمّی بالبلوک المنحوت، وذات ثلاثة أو أربعة طوابق. وأزقّة جَدّة عریضة نسبیاً ومستقیمة.

وجدّة تمتلک أسواقاً فاخرة وواسعة وعریضة تزخر ببضائع إنجلیزیة وهندیة. أما مناخها فحار جدّاً، ودائماً نراه مشبعاً بالندی، کما هو الحال فی بوشهر ومکّة والمدینة وجمیع الموانئ البحریة، ولا یمکن مع هذا الجو النوم فی العراء، ویوجد خارج البوابة الشمالیة، بمسافة قلیلة، قبر طویل وعریض یُنسب الی أمّ البشر، ویحرسه سدنة لصوص ومحتالون وأوباش.

وباختصار، فقد تنقّلنا بین ثلاث سفن طوال الرحلة، وکانت السفینتان الأولیان بریطانیتین. وکان طاقما السفینتین یتصفان بأدب رفیع، ومتفهِّمَیْنِ، وعارفَین بالقواعد الصحیة، ولم یسمحا بازدحام السفینتین، لذلک لم یشقّ علی

ص: ۱۵۳

الحجاج الى حدّ ما. وأما السفينة الثالثة، التى كان يملكها ابن المرحوم الحاج زين العابدين أحد تجّار شيراز، الذى يسكن فى بومباى، فكان عليها طاقم أجنبى فقط قبيح وطمّاع. وقد صعد أفراد الطاقم الى ظهر السفينة فى مدينة بوشهر، وعلى افتراض أنهم مسلمون، ولكنّهم لم يتوانوا عن ارتكاب أى منكر، فعاثوا فى السفينة فساداً، وارتكبوا سرقات متعدّدة، ومع أن هذه السفينة قد استُخدِمَت حديثاً فى نقل الحجّاج، وأن صاحبها المسكين كان له اهتمام كبير بخلق سمعة طيبة لها، لترغيب الحجاج للسفر على ظهرها وجنى الأرباح من وراء ذلك، ولكن، على العكس ممّا كان يتمنّى صاحبها، فأفراد الطاقم غير حريصين، فقد عمدوا الى حشر الكثير من الحجاج فى مساحة قليلة على ظهر وداخل السفينة، فماذا أقول عمّا عاناه الحجاج من مصاعب ومِحن؟ فقد مَرِض الكثير بسبب رداءة هواء مخازن السفينة، ولمّا كان الحصول على الدواء والغذاء المناسب غير متيسّر، مات بعضهم، ودفنوا فى البحر وبطون الأسماك.

وباختصار، فقد مرّت ظروف عصيبة على ركاب السفينة، حتى وصلنا جدّة، ومنها إلى مكّة والمدينة عن طريق (السعدية).

السعديّة:

وهى المكان الذى يحرم منه الحاج، ويقع فى مقابل جبل يلملم، الذى أحرم أمير المؤمنين على عليه السلام منه، عند رجوعه من اليمن. والمكان عبارة عن وادٍ يَتوَسَّطه بئر، بعرض ثلاثة إلى أربعة أذرع وبعمق أربعة إلى خمسة أذرع، وقد بُنى من الحجر المصيقل، وهو على بعد منازل ثلاثة من جدّة ومنزلين من مكّة المكرّمة، وفى كل منزل يوجد بئر مماثل، تشرب منه العشائر وأغنامها، والشىء الذى توصلت إليه بشكل دقيق هو ما يلى:

يمكن شقّ الأنهار والقنوات فى المنازل الخمسة المذكورة، بل فى معظم المنازل الموجودة بين الحرمين، فإنّ غالبية الأراضى هناك تضمّ فى جوفها الماء الوفير،

ص: ۱۵۴

وهى وعرة التضاريس، ويمكن بحفر بضع آبار، أن تجرى سلسلة من القنوات فيها، ويمكن إحياء كلّ تلك الأراضى، ولكن لا أعرف ما السبب فى أنّ أحداً لم يطرق هذا الباب طوال القرون الماضية، وإحياء تلك الأراضى بأقل كلفة؟ ففى تلك الصحارى لا ينبت غير الزعرور، وهو شجر الصمغ العربى، فى حين يمكن أن نجعل منها جنّات وحدائق زاهية.

الوصول إلى مكّة المكرّمة:

فى السادس والعشرين من شهر ذى القعدة، وصلنا إلى مكّة المكرّمة من الطرف الجنوبى، وهى إحدى مدن الحجاز، ومنبع العظمة والقداسة، تقع على بُعد سبعة فراسخ إلى الشرق من البحر الأحمر، وتقع على خط الطول ۱۱ غرباً، وعلى خط العرض ۵/ ۲۱ شمالًا.

كان عدد سكانها فى السابق بحدود مئة ألف نسمة، وقبل ثمانين سنة كان العدد حوالى ثمانية عشر ألف نسمة، فارتفع العدد حتى وصل فى الوقت الحاضر الى خمسين ألفاً، ويقدّر عدد الحجاج بمثل هذا الرقم، وفى هذا العام، قدّرت التخمينات عدد الحجاج بما يزيد على المئة ألف حاج.

وأزقتها منظّمة، وجميلة، وأبنيتها نظيفة، وقد بُنيت المدينة فى عدّة أودية، وعلى حافات الجبال والشِّعَب، فهى لهذا السبب غير مستوية. وجبل «أبو قبيس» يُقسم المدينة قسمين مختلفين، يقع القسم الأعظم منها على الطرف الأيمن، حيث تضمّ مركز المدينة، أمّا الطرف الأيسر فيضمّ القسم القديم منها. ومعظم مساكنها من الحصير والطين، وهى بسيطة جدّاً وبلا أساس. أما أبنيتها الأخرى فهى من الحجر المنحوت وذات طوابق ثلاثة أو أربعة، وليس للبيوت صحن أو باحة، وجميعها تحتوى على باب ونافذة على الطريق، وتستقى المدينة ماءَها من قناة زبيدة، وهى أقل من مستوى الأرض بذراعين أو ثلاثة أذرع، لذلك يستقون بواسطة الدلاء.

ص: ۱۵۵

الكعبة وبيت اللَّه الحرام:

يقع القسم الأكبر من المدينة حول المسجد، ويتوسّطه بيت اللَّه، حيث يبلغ طوله ۱۵ ذراعاً وعرضه ۱۰ أذرع، وهو مربع الشكل، وارتفاعه أكثر من الطول والعرض، وقد بنى من الحجر المنحوت، وأحجاره بحجم نصف ذراع وثلاثة أرباع الذراع* ربع ذراع وقد غُطّى بحُلّة سوداء من الحرير.

وموقع البيت بالنسبة للجهات الأربع منظّم، فأحد أضلاعه يوازى الجهة الشمالية، والثانى يوازى الجهة الجنوبية، والثالث يوازى الجهة الشرقية، والرابع يوازى الجهة الغربية، ويقال لزوايا الكعبة: الأركان.

الحجر الأسود:

يقع الحجر الأسود فى الركن الجنوبى الشرقى، وعلى ارتفاع ذراع وربع الذراع تقريباً، وضع على الزاوية الخارجية لجدار الكعبة، ولا يتألف من قطعة واحدة، بل من حوالى عشرين قطعة، مُحاط بطوق فضّى، وقد نُصب هذا الطوق على زاوية. وسطح الحجر غير مسطّح، فهو مقعّر إلى حدٍّ ما وليس له قاعدة، ولونه أسود ولكن سواده غير مكروه، فهو قهوائى جذّاب جدّاً، وتتخلّله آخاديد بيض وحمر تَسُرُّ الناظر، والحجر متماسك، ومحكم جدّاً وصلد.

لقد اطّلعتُ فى الكتب الإفرنجية على ما يعتقده حكماؤهم بأن هذا الحجر هو أحد الأحجار الساقطة من الجو، ويحتوى على الحديد والنيكل وبقية المواد المعدنية، ولكنّه اعتقاد باطل، فهذا الحجر برىء مما ينسبونه إليه، فقد ذهبتُ مراراً فى أوقات فراغى إلى هذا الحجر وشاهدته بدقّة، فلم أجد له أى شبه، فهو لا من الأحجار الأرضية، ولا من الأحجار المتساقطة من السماء.

حِجر إسماعيل:

وهو على شكل نصف دائرة يقع على أحد أطراف البيت مواجهاً للطرف الجنوبى، ويتّصل بضلع ميزاب الرّحمة. ويجب على الحجيج أن يطوفوا حول

ص: ۱۵۶

الاثنین، وأرض الطواف هی بعرض خمس الی ست أذرع، تحیط بالبیت والحِجر معاً. وخارج أرض الطواف یوجد مقام سیدنا إبراهیم علیه السلام وقبهٔ بئر زمزم وبقیهٔ خواص الحرم، وأرض الحرم مرتفعهٔ عن أطرافه بمقدار ذراعین.

وقد زُیّن داخل البیت ببعض الزینهٔ، وباعتقادی أن الزینهٔ الروحانیهٔ الباطنیهٔ لبیت اللّه کافیهٔ. «فالمحبوب الجمیل لا یحتاج إلی الزینهٔ»، فلو جُرّد البیت من الزینهٔ، لکانت هیبته وعظمته فی القلوب أعظم وأکبر بکثیر. «فإن العروسهٔ الجمیلهٔ أسعد حالًا بلا أثاث».

دکّان النخاسهٔ:

استمرت إقامتی فی مکّهٔ شهراً واحداً، وکنت فی بعض الأحیان أذهب للنزههٔ، وذات یوم ذهبتُ إلی دکان النخاسهٔ، وهی فی الواقع ثلاث دکاکین معتبرهٔ فی مکّهٔ تقوم ببیع الرقیق، وقد شاهدتُ حالهٔ غریبهٔ: أنواع الإماء والعبید والخصیان قد جُلبوا من الحبشهٔ، وزنجبار، والنوبهٔ، والسودان، وغیرها. وقد صُفّت السرائر بالترتیب، ووضعوا الرقیق علیها فی صفوف منظمهٔ، وحضر السماسرهٔ وأحد الملالی من جماعهٔ أهل السنّهٔ، وذلک لعقد صیغهٔ البیع. وحضر الزبائن وهم من بلدان مختلفهٔ، وکان السماسرهٔ یتحدّثون إلی الزبون بمنتهی المحبّهٔ، کما کانوا یأتون إلیه بالأمَهٔ أو العبد الذی یطلب، ویعرضون أمامه أعضاء بدنه کافهٔ، ویتساومون معه بخلق وبمهارهٔ فائقهٔ. وأمّا إذا کان الزبون إیرانیّاً، فلا یُلقون إلیه بالًا أبداً بل إذا توقّف قلیلًا، فلا یُستبعد أن یؤذوه، فهم یحرّمون التعامل معه؛ لذلک فالزبون الأعجمی علیه أن یوکّل أحداً من العرب لیشتری بالنیابهٔ عنه.

مولد النبی صلی الله علیه و آله ومولد علی علیه السلام:

یوجد فی مکّهٔ مکانان هما موضع زیارهٔ العامهٔ، الأول یعرف ب «مولد النبیّ» صلی اللّه علیه و آله والثانی هو «مولد أمیر المؤمنین علی» علیه السلام، وقد قام بعض السلاطین العثمانیین بتعمیرهما، ویتولّی أمرهما سادن وبعض الخدم.

ص: ۱۵۷

مكان العمرة:

وهناك مكان العمرة، وهو أحد حدود الحرم الشريف، ويبعد مسافة نصف فرسخ الى الغرب من مدينة مكّة، ففى هذا المكان توجد علامة حدّ الحرم، وهناك أيضاً مسجد ومسبح ومقهى، فكلّ من كانت له نيّة العمرة المفردة، يغتسل هناك، ومن ثمّ النيّة، فالإحرام، ثم يرجع.

منى وعرفات:

ومن توابع مكّة أيضاً، منى وعرفات، وتقعان الى الشمال من مدينة مكّة، وتبعد منى مسافة نصف فرسخ، وفيها مبانى عالية، تستخدم كمساكن للحجاج والتجار أيام موسم الحجّ، أما فى بقية الفصول فتكون أماكن للنزهة والسياحة لأهل مكّة. ويوجد فيها مسجد يسمى (مسجد الخيف) حيث يبلغ طوله مئة وعشرة أذرع، ويبلغ عرضه تسعين ذراعاً، وإلى الشمال منه تمتد صحراء، فيها أعداد لا تُحصى من الأغنام التى جىء بها كقرابين للحجيج، ولقد شاهدتُ كذلك وجود بعض الماعز الفريد، حيث لا يوجد أى تشابه بينه وبين الماعز فى إيران، فجسمه شبيه تماماً بالغزال، له شعر قصير، ناعم وبرّاق، وعلى جلده وبر شبيه بما هو موجود على جسم النمور.

إن القرابين فى منى تُعطى لجماعة من الزنوج، الذين يقومون بفرش لحومها على صخور الجبال تحت أشعة الشمس لتجفيفها بسرعة، ثم بعد ذلك يقومون بخزنها لمؤونة سنتهم.

وقد قاموا بحفر عدّة حُفَر لدفن فضلات ودماء الذبائح، ولكن الحجاج لم يعيروها أى أهمية، فكلّ حاج يقوم بذبح أضحيته أمام خيمته، فكان هذا العمل سبباً خطيراً فى التلوث الشديد، بالرغم من أنّ هؤلاء الزنوج يقومون بنقل الفضلات بعد ذلك تدريجياً.

لا يوجد فى مكّة المكرّمة أىّ حقل أو خُضرة، عدا حقل نخيل واحد يقع إلى

ص: ۱۵۸

الجنوب، وهناک اثنان آخران إلی الشمال. کما أن هناک بعض قطع الأراضی الخضر حول المدینة، التی تُسقی من میاه الآبار.

إن ضرب الطبول معمول به فی مکّة المکرّمة، حیث تُقرع الطبول عصر کلّ یوم أمام باب البیت، وکذلک تُستخدم بعض الآلات الموسیقیة بلا أیّ مانع.

أمّا الطرق فی مکّة المکرّمة فهی عبارة عن سوق مُغطّی وزقاق توجد علی جانبیه مبانٍ ذات طوابق ثلاثة أو أربعة، لذلک فإن الهواء فیها غیر طَلِق، ولیس هناک أی ساحة أو عراء لتنفّس الهواء الطلق، عدا صحن المسجد ومیدان خارج المدینة یقع الی الشمال منه.

الصفا والمروة:

وهما جبلان صغیران یقعان علی طرفی المسجد الحرام، علی مسافة ثلاثمائة ذراع، ویقع الصفا علی حافة جبل «أبو قبیس»، والمروة الی الشمال من المسجد علی حافة جبل آخر، ویصل بینهما طریق عام وسوق، یقع المسجد الحرام علی أحد ضلعیه، وعلی الضلع الآخر هناک المبانی والدکاکین، وقطعة الأرض هذه مقدّسة ومشرّفة جدّاً، ولا یوجد أی شک فی أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله وقبله عدد من الأنبیاء، وکذلک الأئمة الطاهرون وأولیاء اللَّه قد قطعوا هذه المسافة تکراراً، ومع کلّ هذا فإن عرب مکّة قد جعلوا قطعة الأرض هذه من أوسخ الأماکن، وصارت مأوی لمعظم کلاب مکّة.

قُدُماً نحو المدینة الطیبة:

بعد أن أنهینا المناسک، غادرنا مکّة المکرّمة فی ۲۷ من ذی الحجة، عازمین علی الذهاب إلی المدینة الطیبة، ووصلناها فی أواسط شهر محرم الحرام، وتسمی أیضاً مدینة النبیّ صلی الله علیه و آله وفی السابق کانت تدعی ب (یثرب)، وهی مدینة لها من الشرف والمنزلة ما لمکّة. تقع فی أرض سهلة علی مسافة ستة وخمسین فرسخاً إلی الشمال الغربی من مکّة، وتقع علی خط طول ۱۱ درجة غرب طهران، وعلی خط

ص: ۱۵۹

عرض ۲۵ درجة شمالًا، وتضمّ ألفاً ومئتى أسرة، وهى ملجأ سيد المرسلين عند هجرته من مكّة، وفيها عدّة مدارس، ويقصدها الحجيج بعد زيارة مكّة وذلك لزيارة قبر الرسول الكريم صلى الله عليه و آله.

المدينة بلدة محصورة، ولم يبقَ أىّ أثر من الخندق القديم سوى آثار قليلة فى بعض النقاط، وقد هُدّم مسجد الرسول صلى الله عليه و آله، وبنى السلطان عبدالحميد خان مكانه مسجداً فاخراً فى ظاهره وكبيراً، ولم يبق شىء من آثار المسجد القديم المقدّس غير المقاييس، والحدود التى نُقِشت على الأعمدة الصخرية، مثل حدود مسجد النبى صلى الله عليه و آله، وموضع عمود حنّانة، وموضع محراب ومنبر النبى صلى الله عليه و آله وأبواب بيته، التى تُعرف بباب جبرائيل وباب ميكائيل... الخ، وحدود بيت الزهراء سلام اللَّه عليها، وأمثال ذلك، وياليت أبنية الطين تلك باقية لحد الآن! وأمّا اليوم، فالمدينة لا تشبه بأى حالٍ من الأحوال المدينة القديمة، فجميع المبانى هى من الحجر المنحوت ومعظمها ذات ثلاثة أو أربعة طوابق، وقد بُنيت بشكل خاص على تلك المساحات من الأرض، وعرض الزقاق فيها ثلاث أو أربع أذرع. ولكل طابق منها باب للخروج من كلا-الطرفين إلى الطابق الثالث والرابع، حيث يمكن الانتقال من على سطح الدار فى هذا الزقاق إلى الطرف الآخر، وتشبه سقوفها الى حدٍّ كبير السقوف «الجملونية» أو ما تسمى بالسقوف «الموشورية» على طول الزقاق.

وقد ارتفع المرقد الطاهر للرسول صلى الله عليه و آله وقبر الشّيخين بشكل مشابه لحرم بيت اللَّه، فهو مربّع الشكل، وغطّيت هذه القبور بالقماش، وتقع مع قبر الزهراء (عليها السلام) على جهة واحدة من المسجد. وأمّا المسجد فهو مكوّنٌ من صحن كبير احيط من أطرافه بالأعمدة والايوانات. ونقش فى أعلى الأعمدة اسم «اللَّه» والاسم المبارك للرسول صلى الله عليه و آله وأسماء العشرة المبشرين بالجنة، وأسماء «الأئمة الأطهار» بالذهب وبخط جلىّ وواضح.

هذا، ويرجع عهد بناء هذا المسجد ومتعلقاته الى السلطان عبدالحميد خان.

ص: ۱۶۰

وأمّا بناء القبر الطاهر والضريح فيرجع إلى عهد قايتبا (ی). ويقع المسجد من ثلاث جهاته على الشارع الرئيس، وهو مبنیٌّ من الحجر المنحوت الجميل الصافی.

ومن بين القبور المعروفة فی المدينة قبر عبداللّه والد الرسول صلی الله عليه و آله والواقع فی سوق الصّفّارين.

مقبرة البقيع:

تقع هذه المقبرة خارج المدينة، أمام إحدى بوّابات المدينة ويفصل بينهما زقاق. وتشمل هذه المقبرة بقعة من ترميمات السلطان محمود خان، تضمُّ فی كنفها قبوراً مطهّرة لأربعة من الأئمة عليهم السلام: الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام الی جانب قَبرين آخرَين أحدهما للعباس عمّ النبیّ صلی الله عليه و آله والآخر لفاطمة بنت أسد أو فاطمة الزهراء، ويقع بيت الأحزان خلف هذه البقعة الطاهرة إلى مسافة قصيرة، ويقع قبر الشيخ أحمد البحرينی فی جانب من هذه البقعة الشريفة. وهناك بقاعٌ اخری فی المقبرة لبنات النبی صلی الله عليه و آله وزوجاته وحليمة مرضعته صلی الله عليه و آله. وفی نهاية المقبرة المذكورة يقع قبر الخليفة الثالث.

وفی الطرف الشمالی الشرقی للمدينة يقع جبل احد حيث قبر سيدنا حمزة سيد الشهداء عليه السلام على سفح من سفوحه، وله مسجد وصحن، وتمّ ذلک على عهد السلطان عبدالحميد خان، وتقع قبور سائر شهداء أُحد خلف الحائط الشمالی. وقد أُحيطت هذه القبور بسور ترابی بسيط وهو على وشک الانهيار، وتقع بالقرب منه بقعة دُفِنَت فيها أسنان الرسول صلی الله عليه و آله.

وتجری فی المدينة وما حولها بضع قنوات وبساتين جيدة، وخاصة فی الطريق إلى احد. وقد ازيلت من بساتين أطراف المدينة الأتربة بحدود ذراعين إلى ثلاث باليد؛ وذلک لإبقاء الماء فيها عند الارواء.

مظلومية شيعة المدينة:

أغلب رجال أهل المدينة من الكواسج ولونهم أبيض، لكنّهم بذيئوا اللّسان

ص: ۱۶۱

وقساةٌ ومعيشـتهم ضنكا. وفيها طائفة النخاولة (۱)الذين يرجع نسـبهم الى الإمام السّـجاد عليه السلام وجميع اولئك من الشيعة الُخلَّص، وهـذه الطائفـة لها بيوت خارج المدينـة القديمـة وهی بيوت خربـة جـدّاً، وتعيش فی ضـنك وفقر مـدقع، ولا يسـمح لها أهل المـدينة بالـدخول إلی الحرم الطاهر أو مسـجد النبیّ، وقـد حـدث مراراً أن هجموا علی بيوت تلك الطائفة، وأوقعوا فيها القتل ونهبوا ما لديها. واعتقـد أن لو كان لأحـد فی المشـرق نـذر بقـدر فلس واحد يحرم حينئذ إعطاؤه إلی غيرهم عند الإمكان، وعليه أن يوصـله إليهم مع وجودهم، فحياة هؤلاء المساكين مُرّة وصعبة ولا يمكن شرحها علی الإطلاق.

ومن عـادات أهـل المدينـة أنّهم علی الأـغلب يربّون المواعز للحصول علی ألبانهـا، فهم يشـدّون علی ضـروعها كـلّ صـباح ويطلقونها تسـرح، فتسيح هذه المواعز فی الأزقة إلی غروب ذلك اليوم، وعند العشاء تعود إلی منازلها لوحدها، ولا يُعلم ما تأكله هذه الحيوانات المسكينة أو تشربُه! إذ لا يوجد فی الأزقة ما يمكن أكله سوی الأتربة والخرائب، وتُحلبُ مع ذلك فی الليل!

وقد تحيّرت فی هذه الحادثة حتی سـمعت خبراً، أنّه فی عهد خاتم الرّسل صـلی الله عليه و آله شكی أهل المدينة إليه صلی الله عليه و آله: أنما مضـطرون للاحتفاظ بالمواعز من أجل ألبانها، إلّا أنّه لا يوجـد عنـدنا شـیء لإطعامها، وأرضـنا يابسة جرداء. فأجابهم الرسول صلی الله عليه و آله بكلام بيانی إعجازی: اطلقوا مواعزكم تخرج فی الصباح، وامسكوهن فی الليل.

فصار ذلك عرفاً عندهم حتی وقتنا الحاضـر، فقد عاشت مواعزهم بفضل وبركة كلامه صـلی الله عليه و آله ولا يعرف أی شیء كانت تأكله!

التعامل الجاف مع العجم:

إنَّ مـا رأيته فی الحجـاز هو أنَّ العجم، ولاـ أدری ما السـبب فی ذلك؟ مغضوب عليهم، ويحتقرهم ويـذلّهم الناس هناك، ومع أنّه فی هذه السنوات وبحسن كفاءة ودراية الحاج ميرزا حسن خان منسّق الأعمال المقيم بجدّة، قد تحسّنت الحالة

۱- ۱ طائفة من أهل المدينة، وهم الساكنون فی شارع أبی طالب حالياً، وأغلبهم من الشيعة.

ص: ۱۶۲

كثيراً، إلّاأنَّ تلك الحالـة لم تخلو من المخاطر، خاصـة فى المدينـة الطيبـة حيث تُستَحلُّ فيها دماء وأموال العجم، ولا يتأخر أهلها عن إيصـال الأـذى إلى الحجّـاج، حتى السـيد حسن المطوّف الـذى هو مـأمورٌ من جـانب جنـاب معين الملـك لملاحظـة مطوّفى الحجاج الإيرانيين، أبدى منتهى سوء التصرف والسلوك. وقد ساد العُرف منذ سنين على جباية مبلغ ريالَين إفرنجيَّين من كلّ حاج أى ما يُعادل اثنى عشر ألف دينار لحسابه، فيقسّمها هو على المزوّرين والخدام فى الحرم.

ويعمـد هذا الرجل المتوحش القليل الأدب مع جماعة من الخواجات والعسكر إلى الهجوم على مخيَّم الحجاج المساكين فى منتصـف الليل دون سابق إنـذار لأخـذ تلك الأموال، وإذا كان الناس نائمين فى خيامهم، سواء أكانوا لوحـدهم أم مع عيالهم، يغيرون عليهم ليلًا وينتزعون منهم تلك الأموال بكلّ وحشـية، كما أنَّ بعض أهل المدينة- من الذين يتّصـفون بقلّة الأدب الزائد عن الحدّ وبالوحشية- لا يعيرون الإيرانيين ذرّة وقار أو احترام بل ولا يحسبونهم من صنف البشر!

وقـد رأيت بعينىَّ فى مسـجد الرسول الأـكرم صـلى الله عليه و آله جماعـة من الحُجّـاج الهُنود يخيّمون هنـاك، وكـانوا قـذرين للغـاية وثيـابهم رَثَّة، وهم يجلسون كلّ يوم تحت أشـعة الشـمس على فُرُش نظيفـة، يقتّلون القَمْل ثم يضـطجعون ويغطّون فى النوم، ومع هـذا يتحركون بكلّ حرّية ووقاحة دون أن يعترضهم أحد.

مَنْع الزيارة:

ومع أن أغلب الإـيرانيين يلبسون ملاـبس نظيفـة وجميلـة، لاـ يُسـمح لهم خلاـل النهـار بـالتوقف فى المسـجد كثيراً لأـداء الزيـارة، ولا يتجرأون فى الـذهاب إلى المسـجد، وفى اللّيـل هم ممنوعـون تمامـاً من دخـول المسـجد مع أنّهم كـانوا يتحركون بكـلّ أدب وحيطة وحـذر، وقـد رأيت يومـاً فى زقـاق من أزقـة المدينـة رجلين ايرانيين عظيمى الجُثّة يجتـازان من أمام أحـد الـدكاكين، فقفز صبىٌّ من الدكان أمامهما وأخذ بيدى هذين الرجلين وساقهما نحو الدكان بقصد إيذائهما، ومع أن

ص: ۱۶۳

هـذین الرجلین کـان باسـتطاعتهما أن یقتسـما ذلـک الصبی ویأکلاه کلقمـة سائغة، إلّا أنهمـا لم یجرُؤا علی إظهـار غضـبهما، وکـانا کأسیرین فی قبضة ذلک الطفل حتی بادر شخص آخر، وعمل علی انقاذهما من یده.

البوّاب القبیح المنظر:

عنـد مقبرة البقیع، بقعـة الأئمـة الأطهار، یوجـد بوّاب قبیـح المنظر یحمل بیده هراوه، ویتطایر الغضب من وجهه، ویأخذ من کلّ إیرانی یروم الـدخول إلی هناک بقصـد الزیارة صاحبقران (۱) واحـداً، ولو أراد ذلـک الحاج مثلًا الـدخول خمس مرات یومیاً علیه أن یـدفع خمس قرانات، وحال دخوله إلی هناک ولما یبدأ الزیارة بعد، یقول له البوّاب: اخرج.

وأراد أحـد الأشـخاص یومـاً أن یُقیم مجلساً للعزاء تحت قبـة الأئمـة الأطهـار، فمنعه البواب، فأعطاه مبلغ روبیتین اثنتین وتساویان سـتة آلاف دینار حتی حصل علی إذن بذلک.

وکلّ هذه الموانع والحجج هی من نصیب الایرانیین، ولا أحد یعترض طریق الاعراب أبداً.

ومن بین الممیزات التی یحصـل علیهـا الأعراب هی وکمـا رأیت بعینیّ فی کـلّ بلاد الجزیرة العربیـة، أنّه متی ما شبَّ نزاعٌ بین اعرابیّ وأعجمیّ، فللأعرابی الحقّ فی أن یکیل للأعجمی کلّ أنواع السّبّ والشـتم والتُّهَم، فی حین لا یحقُّ للأعجمی حتی فتـح فیه بسؤال أو جواب، وإلّا کان مصیره أن یهجم علیه الأعراب ویشبعوه ضرباً حتی یهلک.

ففی أرض الحجـاز کـل مِلّـة یحقّ لها أن تتنقّل بحرّیـة کاملـة بزیّها إلّاأهل إیران، الـذین إمّا أن یلبسوا لباساً عربیاً أو لباساً أفنـدیاً، ومع ذلک فبمجرّد أن ینکشف لهم أنّه أعجمیّ، یتعرّض إلی السّخریة والاستهزاء!

ومن الأعمال التی أدّاها الحاج میرزا حسن خان منسّق الأعمال هذه السنة فی

۱- ۱ نوع من العملة، کانت تُسَکُّ منذ عهد الأسرة الصـفویة حتی ناصـر الدین شاه القاجاری، وکان رأس صاحبقران وهو لقب بعض ملوک ایران منقوشاً علیها.

ص: ۱۶۴

مكّة هي أنَّ أحـد الفلاحين الايرانيين أراد يوماً الطواف حول بيت اللّه والتّشـرف بـذلك، فربط مداسه بمنديله ووشاحه ووضـعه على كتفه متدلياً خلف ظهره ودخل المسـجد. فانتبه أحد خواجات الحرم إلى ذلك، وبينما كان الفلاح يطوف فإذا بالخواجة يُنزل ضـربات عديدة بهراوته على ظهر الفلاح، فشاهد أحد أقرباء المنسّق في الدار الايرانية، تلك الواقعة من بعيد، فأسرع وأخبر المنسّق بذلك.

فقـام المشـار إليه لأخـذ القصاص بإذن جناب الشـريف وباشا مكّـة وعاقبوا ذلك الخواجـة في نفس المكان الـذي قام هو فيه بضـرب الفلاـح بالهراوة. وهـذه الامور تقع فقط للإيرانيين وحـدهم دون غيرهم. فالأعراب وضـعهم مختلف، فهم يحملون نعلهم تحت آباطهم ويدخلون المسجد دون أن يتعرّض لهم أحد بسوء.

والخلاصة أنّه ولسبب مجهول يتعرّض جماعة من الإيرانيين كلّ سنة إلى الأذى والمشقة والبلاء.

وبعد الخروج من المدينة الطيبة، تحركنا نحو الجبل، ولم تكن في الطريق من المدينة الى النجف الأشرف أيّة مدينة عامرة على جانبي الطريق سوى «مستجدة» و «جبل» وبعض الخيم السود القليلة، التي تسكنها جماعة من الأعراب.

و «مستجدة» على بعد ثلاثة منازل قبل الجبل، وهي قرية عامرة فيها بساتين كثيرة من النّخل والحمضيات.

و «جبل» قصبة من إيالة «نجد» ويبلغ عدد سكانها حوالي (۲۰۰) عائلة وجبل هي مقرّ حكومة محمد الأمير. وتقع على خط عرض (۲۹) درجة شمالًا وخط طول (۶) درجات غرباً عن طهران، في أرض سهلية جرداء وحصوية، وأما سكانها فهم من الأعراب البدو.

نجد:

تقع بين (الاحساء) و (الحجاز) والأراضي الصحراوية، ويقطنها حوالي ثلاثمائة ألف نسمة، مناخها شديد الحرارة ولكنّه صحّي، وماؤها شحيح، ومعظم

ص: ۱۶۵

أهلها من سكان البوادی، وتشكّل الخيل والجِمال والأغنام كلّ ما يملكون، والفرقة الوهابية خرجت من هذه الديار.

بعد طیّ الطريق الجبلی وصلنا الی النجف الأشرف فی الرابع عشر من ربيع الأول، واستغرقت الرحلة ما يقارب الثمانين يوماً، وخلال هذه الفترة، ضلّ كثير من الحجّاج الأعاجم فی صحاری الجزيرة العربية، وأصبحوا أسری لدی:

عبدالرحمن أمير حاج نيابة عن محمد أمير الجبل.

متعهدی القوافل الماكرين، الذين لم يتورّعوا عن ارتكاب أنواع القبائح، عدا نفر قليل منهم مثل الحاج عباس القازی النجفی، الحاج اسماعيل الأصفهانی.

وأخيراً، أسری بيد العُكّام الذين يُمسكون بزمام الجِمال، وهم أغنياء عن التعريف.

عادة محمد أمير الجبل هی أن يُرسل كلَّ عام قبيل موسم الحج شخصاً مثل عبدالرحمن، أو غلامه (قنبر) إلی النجف الأشرف، حتی يسوق الحجّاج فی الخامس من شهر ذی القعدة، ليصل بهم إلی مكّة المكرّمة فی الرابع من شهر ذی الحجة، وبالنظر إلی أنّ عليه أن يمرّ بالقوافل بسلام خلال القبائل الأكثر وحشيةً منه، وأن يدفع لهم الرسوم، لذا فهو يأخذ من كلِّ راكب جَمَل ما يعادل خمسة عشر توماناً تسمی (الأخوّة)، ويؤخذ من الأعراب إجمالًا نصف مبلغ الأخوّة، ومشاة الحجّاج معفون منذ القديم من دفع هذه الأتاوة، وعلی الرغم من أنّ المدينة الطيبة تقع علی حافة الطريق، فهم لا- يمرّون عليها ذهاباً، إلّاأنّهم يفعلون ذلك فی الإياب، ويقطعون الطريق من نجد وحتی يصلوا بالقوافل الی النجف الأشرف، وأحياناً، يأخذون (الأخوّة) فی الأربعين وحتی أواخر شهر صفر علی الأغلب وبنفس الطريقة، إلّاأنّهم لا ينفّذون ما يقولون.

كلّ عام، يعتدون علی مشاة الحجاج المساكين، وفی هذا العام، قام

ص: ۱۶۶

عبـدالرحمن فى كـلّ منزل بجمع عـدد من المشـاة بوشايـة من الحاج حمودى النجفى، وأمر بعضاً من الأعراب الأشـدّ كفراً ونفاقاً، بأن يحملوا عليهم بالهراوات، ويشـبعوهم ضرباً حتى يقضى البعض نحبه تحت أيديهم، ويقوموا بنهب ما يمتلكون من دراهم ودنانير، حتى أن متعهد القافلة الحاج جواد بن الحاج عبد، وهو من الرعايا الإيرانيين، قد استشهد هذا العام تحت ضرب الهراوة لمحمّد.

وأخيراً، لم يبقَ سوى ۲۳ نفراً من الحجاج المشاة، وما إن علمتُ بـذلك حتى أرسـلتُ فى طلب عبـدالرحمن، ووجهتُ إليه التهديدات قائلًا:

لو كـان قـادة دولـة إيران يعلمون كيف أنكم بهـذه القسـاوة والطمع، تتعـاملون مع الحجـاج الأعاجم؛ لمنعوا كليّاً الطريق الجبلى. ولقد توعّدته، وقلت له: إذا أمهلنى الأجل فسأسـجّل تفاصـيل هـذه المعاملة السـيئة فى دفتر مذكراتى، وسأعرضـها على ولاة الأمر فى ايران. وآخر الأمر، فقد أعطيته قطعة شال؛ لأنقذ بقية السيف من براثنه.

ومع هـذا، فقـد كانت تُفرض كلّ يوم وبمختلف الحُجـج والأعـذار، أتاوات من قِبل عبدالرحمن ومتعدى القوافل على الحجاج العجم، وكـان الحاج حمودى يأخـذها بأسوإ شـكل، وكانوا إذا احتملوا وجود دينار فى جيوب الحجاج، جالوا بهم فى القفار حيارى وعطشـى وجياعاً. وكلّ تلك المصائب تحدث خاصة أثناء العودة.

والحـاج حمودى رجل من أهل النجف، وكان هو وأخوه جاسم يخرجان كلّ سـنة من النجف مع بعض أقربائهم برفقـة الحجيـج، وهو رجل لا دين له ولا مذهب وكان يتبع مذهب كلّ جماعة يُرافقها. فهو شـيعىٌّ فى النجف، وسـنىٌّ متعصّب فى خيلِ أمير جبل، وشريك للّصوص فى مخيّم الحجّاج، ورفيق القافلة والأمين والمشاور كذلك.

وأما عبدالرحمن فهو شخص ظالم وقاسى القلب، وكلّ ما يُصيب الحجاج من

ص: ۱۶۷

الآلام والمصائب، فهی منه وإلیه. ولو أنَّ هذا الرجل وأتباعه مُنعوا من مرافقة الحجاج علی الأقل، لکان ذلک فوزاً عظیماً.

لذا فإنّی أری من الضروری أن یتنبّه عامة الناس علی أنَّ طریق الجبل لیس هو الطریق الوحید الذی یوصل إلی مکّة المکرّمة أو الرجوع منها، ولا یقتصر علیه أبداً. فالحمد للّٰه هناک طرق عدیدة آمنة ومفتوحة:

طریق الشام السلطانی الذی یُشرف علی المدینة الطیبة عند الذهاب.

طریق إسلامبول (إسطانبول)، وعلی الحجاج الایرانیین أن یذهبوا عن طریق أنزلی نحو تغلب، وبعد اسطانبول یمرّون بالقرب من مصر ثمّ یصلون جدّة.

طریق البصرة الذی سرت فیه.

طریق بوشهر الذی یمکن الوصول عبره الی جدّة خلال (۱۵) یوماً، وعند الرجوع بعد زیارة المدینة، یمکن الذهاب عن طریق الشام أیضاً، أو عن طریق میناء یَنْبُع، إذا کان آمناً؛ لأنه بالقرب من المدینة، حیث یمکن رکوب السفینة والذهاب إلی أیّ مکان آخر.

ینبُع:

میناء فی الحجاز، ونسبته الی المدینة کنسبة جدّة الی مکّة، وهو عبارة عن قصبة محصورة، تبعد (۱۷) فرسخاً الی الجنوب الغربی من المدینة. وترسو عنده الکثیر من السفن إلّاأنّه غیر آمن. فالناس هناک کالوحوش، وکلّما سنحت الفرصة لاتّخاذه معبراً کانت تتفاوت وتختلف المصاریف العامة ومدّة السّفر للحجاج.

کانت السفینة تتأهب للتحرّک من بغداد فی النصف من شوّال، فکان الحجاج یصلون إلی ینبُع فی العشرین من ذی القعدة، ویصلون من المدینة إلی مکّة خلال عشرة أیام أو أقل. وبعد الفراغ من الأعمال، من (۱۵) إلی (۲۰) ذی الحجة، یصعدون إلی السفینة من جدّة وکانوا یتّجهون إلی ما شاءوا من الجهات، إلی

ص: ۱۶۸

بومباى، ومصر، وإسطانبول وبوشهر أو البصرة.

وأمّا إذاكان المقصد هو العتبات المقدّسة، فبالإمكان الوصول الى بغداد من (۱۵) إلى (۲۰) من محرّم، وعلى هذا كان الجهد ينصبّ على أن لا يُسلّم الحجاج أنفسهم بأيدى الطوائف الثلاث أو الأربع المتوحشة، وعندها سيقعون أسرى عندهم، ويسلبون أرادتهم أو يُعرّضون حياتهم أو أموالهم إلى الهلاك، فيكون الجوع والعطش مصيرهم. ليت طريق الجبل يُمنع ويُغْلَق لعدّة سنوات من قِبَل رِجال الدولة دام عمرهم حتى يستقرّ فيه النظام والأمن!

الهوامش:

شعر الحج

ص: ۱۶۹

شعر الحج

ضياء الدين الصابونى

قدْ طابَ حَجُّكَ إنّهُ مبرورٌ وَسَقَيتَ سَقيَكَ إنَّهُ مشكور

فاهنأ بحَجّكَ والقَبولِ مع الرضا فلأنتَ فى عَفوِ المليكِ جدير

تلكَ المعانى السامياتُ شهِدْتَها قَدْ زانَها التهليلُ والتكبير

ذقتَ الحلاوةَ فى الرحابِ ومَنْ يذُق يَعرفْ، وضلَّ الجاحدُ المغرور

وشهدتَ من سرِّ الجمال وحسنه صوَراً تَردُّ الطرْفَ وهو حسير

ووقفتَ فى (عرفات) تلتمس الندى وأفضتَ منها ذنبكَ المغفور

وأتيتَ (للحجرات) تهجر كلّ ما يُرديكَ أو يُغويكَ وهو كفور

أمّن يرى البيتَ العتيقَ وسِرَّه والقلبُ منه طافحٌ مغمور؟

ولقد كُسيتَ من الجلالة ثوبَها ومَعَ الجلالِ بَشاشةٌ وحبور

ها هم ضيوفكَ أقبلوا فى لهفةٍ وقلوبُهم فيها الهُدى والنور

يدعون ربَّهم بقلبٍ خاشعٍ واللَّهُ يُجزلُ والجزاءُ كبير

ص: ۱۷۰

وعلى الجباهِ الخاشعات علائمٌ وعلى الوجوهِ النيّرات سرور

نالوا الجوائزَ بعدما غُفرتْ لهمُ زلّاتُهمْ، إنَّ اللطيف خبير

وكم اعتراک هزّةٌ برحابه بلْ كادَ قلبُکَ من هواهُ يطير طوبى لمن قد فازَ منه بنفحةٍ فالعيشُ رَغْدٌ والزمان عبير

مهما أتيتَ من الذنوب فإنّما أملی بعفوکَ يا كريمُ كبير

ربّاه يا رحمن فاجبر كسرَنا إنَّ الفؤادَ من الذنوبِ كسير

ربّاه فاقبل توبتی وضراعتی أيقنتُ أنّکَ راحمٌ وغفور

جدْ لی بعفوکَ يا إلهی تكرماً فالكسرُ عندَ مَليكنا مجبور

جدْ لی بعفوکَ أنتَ أكرمُ مرتجی وإليه كلُّ الكائناتِ تصير

صلّی الإله على النبیّ وآلِه ما رفَّ قلبُ العبدِ وهو شكور شاعر طيبة: محمّد ضياءالدين الصابونی- عضو رابطة الأدب الإسلامی العالمية

يا مُحرمونَ .. شعار الصالحين على وجوههم .. للهدى والخير مَنْزِعُهُ

كأنّه من جنان الخُلد مُقْتَبَسٌ وفی الجباه يَدُ الرحمن تَطْبَعُهُ

يا مُحرمونَ، كيوم البعثِ مَنْشَرُهُم شَمْلُ البريّةِ هذا اليومُ يَجمَعُهُ

مِن كلّ جنسٍ ولونٍ أقبلوا زُمَراً حيثُ التفاضلُ للإيمانِ مَرْجِعُهُ

تَجرّدوا من هوى الدنيا وزُخرُفِها وكلّهم فی رِضاءِ اللَّه مَطمَعُهُ

مُسالمين فلا بَغیٌ ولا حَرَبٌ ولا يُراوِدُ جَفْناً ما يُروّعُهُ

ترى الخيامَ على ظهرِ الربى نُصِبَت كالبحر.. منشورةً للريحِ أشرُعُهُ

هذی وفودک يا رحمنُ قائمةً يَضُمُّها من جميل العفو أوسَعُهُ

فی مَهبَطِ الوحی كم تنسابُ ذاكرةٌ تثير فی القلب أشجاناً تُلوِّعُهُ

ص: ۱۷۱

کم فی المنازل من طیف ومن أثر یکاد ینطق بالأخبار موضعه

عفّت علیه اللیالی وهو ملتحف بالصمت.. یسترجع الأحداث بَلْقَعُهُ

وفْدَ الحجیج سلامٌ عاطرٌ عبقٌ رَبُّ البریّهٔ بالغفرانِ یَشفَعُهُ

وفدَ الحجیج.. ألا فتذکّروا أبداً مَجْداً لنا غابراً لابدّ نُرْجِعُهُ لا تترکو القبلهٔ الأولی.. ومسجدها یشکو.. وکم طال فی البلوی تفَجُّعُهُ

من هاهنا من ظلالِ البیتِ طاهرهً أذیالُنا.. مبدأ التحریر نُزْمِعُهُ

لا، لن نعودَ وفی أرواحنا وَهَنٌ ولن یَضُمَّ خلی البال مَضْجَعُهُ (۱)

***

یا موطئاً من عهدِ إبراهیم لا یُمحی.. ولا تَعفو علیه ریاحُ

بیدِیه شادَ أجلَّ بیتٍ یُبتَنی للَّه یُغْدی نحوَه ویُراحُ

تهوی النّفوسُ إلیه.. فهی بساحِهِ لا إثمَ یُرهِقُها ولا أتراحُ

وهناک «إسماعیل» قامَ مُلبّیاً وکلاهما بدعائه مِلحاحُ

قمرانِ من وحی الإله سناهُما خُلُقٌ أبرُّ. وعِفّهٌ وسماحُ

ربّاه.. هذا البیتُ بیتُک خالِصاً ومعالِمُ التوحید فیه صراحُ

أرِنا مناسِکنا علی النهج الذی یُرضیکَ عنّا.. لیس عنه بَراحُ من ارجوزهٔ فی الحج للسید جمال الدین الهاشمی رحمه الله

سارت علی اسم الخالق المعبود قافلهٔ الإیمان والتوحید

سارت تحجّ الکعبهٔ الغرّاء بحبّ آل أحمد تلوب حتّی قصدنا مکّهٔ المکرّمهٔ فی موکب شاراته محتشمهٔ

وحینما لاحت حدود الحرم واستیقظت منها قلوب النوم

۱- ۱ نداء الحق. دیوان شعر لأحمد محمّد الصدیق: ۱۵۲، ۱۵۶.

ص: ۱۷۲

فبادر الرکب إلیه مسرعاً وکلّ فرد فیه من شوق دعا:

«لبّیک إنّ الحمد والنعمة لک لبّیک إنّ المجد والرحمة لک»

نخلع عن أجسامنا الثیابا إذ لم تزل لوعینا حجابا

هی القشور أضحت اللبابا هیا أمِطْ عن وعیک النقابا

لتظهر الحقیقة الخفیّة وتلمس الماهیّة النوریّة

تبعدنا مظاهر الحیاة فی زیفها عن الجمال الذاتی ما أنا فی الحیاة إلّابشر لکلّ ما أحبی به مفتقر

عبد فلا أملک رجلی ویدی بل کلّ ما عندی ملک سیّدی

فکلّ آثاری إلیه تنسب فی بعثها عنّی هو المسبّب

ما کنت إلّاعدماً لولاه أوجدنی بأمره الإله

شغلنی عن وعیها التشاغل بعالم لذاته حبائل

تصدّنی فی وصفها عن واقعی وتستزید نحوها مطامعی

ربّاه یا ربّاه إنّنا بشر عن وعی واقع الأمور نقتصر

تجذبنا الظواهر المزبرجة عن واقع نیرانه مؤجّجة

وحینما أیقظنا الإیمان جئنا وکلّ ما بنا لسان:

«لبّیک لبّیک فلا شریک لک لبّیک لبّیک فلا ملیکَ لک»

أحرمت عن ما ثمن تجرّدا وصرت عبدا مذ رأیت السیّد

وهکذا تجرّد الإنسان لما طمی فی وعیه الإیمان.. الهوامش:

مهمّات مشبوهة فی الدیار المقدّسة (۲)

ص: ۱۷۳

مهمّات مشبوهة فی الديار المقدّسة (۲)

حسن السعيد

حينما شرع الغرب حركته لوعی الذات، عبر اكتشافه لشروط تكوينها الداخلية، ولتتمخّض عمّا يُعرف ب «النهضة الأوروپية»... كان هناك ثمّة حركة دائبة لاكتشاف الآخر (الخصم الأكبر)، بغية السيطرة عليه أحياناً، والتلاعب به، بل حتى ضمه وتدميره.

ولم يكن هذا «الآخر» سوی الشرق، الذی أصبح منذ القدم، وبخاصة المشرق الاسلامی معروفاً فی الغرب بوصفه نقيض الغرب المتمّم له (۱).

هناك إذن رؤية فكرية قد تهيّأت خاصة خلال حقبة المواجهة، وتحديداً فی القرن الثانی عشر، ثم توسّعت وتدفقت فی القرن الثالث عشر والرابع عشر؛ لتمتد حتى القرن الثامن عشر، وحتى العصر الاستعماری (۲)، لتتكرّس وتتراكم باطراد حتى تستوطن اللاوعی الغربی، وكأنها حقائق مسلّمة.

وفی القرون اللاحقة، وبخاصة فی القرن السادس عشر، الذی شهد ظهور مذهب التجارة فی اوروپا الغربيّة (المتمدنة) و (المتفوقة) و (العقلانية) والتی عدلت

۱- ۱ للمزيد من الاطلاع على هذه النقطة، يُراجع كتاب «الاستشراق؛ المعرفة، السلطة، الإنشاء» لادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط. ۲ بيروت، ۱۹۸۴.

۲- ۲ هشام جعيّط: «اوروپا والإسلام»، ترجمة طلا عتريسی، دار الحقيقة، بيروت، ۱۹۸۰ م، ص ۲۰.

ص: ۱۷۴

من طبیعة مواجهتها مع «الطرف الآخر»، (المتوحّش) و (المتخلّف) و (الأدنی) منزلة، اختزل ثراء الحضارة الإسلامیة الی صورة «وضیعة»، وذلك لتبریر الدوافع السیاسیة والاقتصادیة وخدمتها. وبدأ اوروپا الغربیّة، التی لم تعد فی حالة دفاع ضد التهدید الإسلامی- علی الأقل لیس إلی الدرجة التی سادت خلال العصور الوسطی- بدأت تهتم اهتماماً من نوع جدید بالشرق، وقد أوحت بهذا الاهتمام الروحیة الجدیدة الناشئة عن مذهب التجارة من جهة، والتنافس السیاسی والاقتصادی فی الداخل من جهة اخری» (۱).

ومع أنّ الاهتمام الأوروپی، ثم الأمریكی، بالشرق كان سیاسیاً تبعاً لبعض المسارد التاریخیة الواضحة التی أوردها «ادوارد سعید» فی كتابه «الاستشراق»، لكن الثقافة كانت هی التی خلقت ذلك الاهتمام، والتی فعلت بحیویة دینامیكیة جنباً إلی جنب مع المعقلنات السیاسیة، والعسكریة، والاقتصادیة (۲)...

وإلی جانب هذه التطورات، بدأت مجموعات من التجار والرحالة بالوصول كذلك إلی الشرق لأغراض مختلفة، إذ كان بعضهم مرسلًا ببعثات دبلوماسیة أو تجاریة، وبعضهم من المغامرین أو من المبشرین بدین آخر، وبینما كان بعض الرحالة والتجار یختلقون الأوهام حول العرب، وهی أوهام سادت فی بواكیر القرن السابع عشر، كان العلماء منهمكین كذلك فی دراسة الأدب والفكر العربیین وترجمتهما إلی الانكلیزیة... وعلی الرغم من أهمیّة تلك الدارسات العربیة، فإن الاتجاهات الهجومیّة القدیمة- الجدیدة نحو الإسلام قد طغت علی أكثر أعمالهم (۳).

ولیس من شك، أن الاسلام لم یصبح رمزاً للرعب، والدمار، والشیطانی، وأفواج من البرابرة الممقوتین، بصورة اعتباطیة. فبالنسبة لأوروپا، كان الإسلام رجّة مأساویة دائمة. وحتی نهایة القرن السابع عشر كان «الخطر العثمانی» متربصاً بأوروپا ممثلًا بالنسبة للحضارة المسیحیة كلها تهدیداً دائماً، ومع مرور الزمن امتصت الحضارة الأوروپیة هذا الخطر وأحداثه العظیمة، وخبراته الموروثة،

۱- ۱ د. خضر حلمی ساری: «صورة العرب فی الصحافة البریطانیة»، مركز دراسات الوحدة العربیة، بیروت، ۱۹۸۸، ص: ۲۷- ۲۸.

۲- ۲ د. ادوارد سعید؛ المرجع السابق: ۴۶.

۳- ۳ بشیء من التصرّف عن كتاب «صورة العرب فی الصحافة البریطانیة»؛ م. س: ۲۸، ۳۰.

ص: ۱۷۵

وشخصياته، وفضائله، ورذائله وحوّلته شيئاً منسوجاً فی لحمة الحياة الأوروبية (۱).

وهكذا استقرّت صورة الاسلام فی الوجدان الشعبی، وظلّ يُنظر إليه على أنه لا شیء أكثر من ضلالة- أو بدعة- من المسيحية، وكان يُقال عنه أنه «دين السيف»، ويُعبّر عنه باستهزاء ب «الدين المحمدی) أو (المحمدية). والمسلمون أنفسهم أيضاً لم يسلموا من سخط المسيحيين فی العصور الوسطى، وقد سمّوهم بالكافرين والوثنيين والأعراب والمحمديين (۲).

وقد أدخل رحالة القرن السابع عشر أيضاً صوراً أخرى عن المسلمين تتعلق بالقرصنة والرق. وقد راجت هذه الصورة شعبيّاً، من جرّاء كتاب ألفه «جوزيف بيتز»، وصف فيه أسره من قبل قراصنة جزائريين فی ۱۶۷۸، بينما كان هو ورفاقه يبحرون فی الساحل الجزائری (۳) فمن هو «بيتز»؟ وما هی حكايته؟

جوزيف بيتز:

وجوزيف بيتز هو شاب انكليزی يافع من أهالی أوكسفورد، وقصته طريفة وغير عادية. فقد كان هذا البريطانی- الذی ولد فی جنوب غربی البلاد- قد ورث تعلّقاً شديداً بالبحر، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بسفينة كانت متوجهة إلى أمريكا عام ۱۶۷۸. وفی طريق العودة، على مقربة من الشواطئ الاسبانية، هاجم قراصنة جزائريون السفينة وأسروا أعضاء الطاقم ونقلوهم إلى العاصمة الجزائرية، حيث بيعوا فی السوق كعبيد. وكتب «بيتز» عن تلك المرحلة:

«اشترانی رجل عاملنی بقسوة فائقة، وعلى رغم من أن الجزائريين لم يكترثوا أبداً بديانة عبيدهم، إلّاأن معلمی كان يضربنی باستمرار ليجبرنی على تغيير دينی» (۴).

ونظراً لأن «بيتز» كان يجيد التكلّم بالعربية والتركية فقد أتقن التعاليم الإسلامية أكثر من غيره. وكان صاحبه، النقيب فی خيالة الجيش الجزائری،

۱- ۱ الاستشراق؛ م. س: ۸۹.

۲- ۲ بربارا براون: «نظرة عن قرب فی المسيحية»، ترجمة مناف حسين الياسری، نشر توحيد، طهران، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۵ م، ص: ۸۶.

۳- ۳ صورة العرب فی الصحافة البريطانية؛ م. س: ۳۱.

۴- ۴ مقال: «سيرة «عبد اوروپی» فی بلاد المسلمين فی القرن الثامن عشر» لرلی الزين، المنشور فی صحيفة الحياة لندن- العدد ۱۶. ۱۱، الصادر بتاريخ ۱۱ نيسان ابريل ۱۹۹۳ م- ۱۹ شوال ۱۴۱۳ ه. ومن الواضح أن ثمّة سهواً قد وقع فی عنوان المقال، حول التاريخ والصحيح هو «فی القرن السابع عشر» وليس «الثامن عشر» كما سترى من خلال البحث.

ص: ۱۷۶

رجلًا مسرفاً منغمساً فی الدعارة والفجور، علی ما یقول «بیتز»، فصمم علی أن یکون سبباً فی اعتناق مملوکه الانکلیزی الدیانة الإسلامیة تکفیراً عن آثامه وخطایاه. فاستعمل الضرب والشدّة معه حتی نطق بالشهادة، لکنه بقی خلال وقته کلّه الذی قضاه فی بلاد الاسلام والمسلمین یعبّر عن سخطه ودخیلة نفسه المجبولة علی المسیحیة فی شتی الظروف والمناسبات (۱).

وبعد فترة، بیع «بیتز» إلی رجل آخر فی الجزائر، قدمه هدیّة إلی أخیه فی تونس... فمکث هناک ۳۰ یوماً، تعرّف خلالها إلی القنصل البریطانی الذی وعد بمساعدته، وبعد أن قرر معلمه أنه لم یعد فی حاجة إلیه، اعید «بیتز» إلی الجزائر، علی رغم من أن القنصل البریطانی وتاجرین بریطانیین حاولوا شراء حریته، وقدّموا ۳۰۰ دولار إلی صاحبه. إلّاأن التونسی أصرّ علی مبلغ ۵۰۰ دولار استحال علی البریطانیین جمعه.

عندما وصل «بیتز» إلی الجزائر وعلم أنه سیردّ إلی معلمه الأول انهار بالبکاء. کانت حیاته، فی تلک الفترة، صعبة للغایة إلّاأنه مضی وقتاً طویلًا یتقن اللغتین العربیة والترکیة... وصار یلجأ فی ساعات فراغه إلی المساجد، یدوّن الملاحظات الدقیقة حول المراسم المحیطة به، والصلوات، وکلمات الإمام، وتعالیم القرآن. وتقول زهرة فریث وفیکتور وینستون فی کتابهما: «مستکشفون فی الجزیرة العربیة» عن بیتز: «نظراً إلی حداثة سنّه، وعلی رغم من أنه أُجبر علی تغییر دینه، إلّاأن «بیتز» حاول جدّیاً فهم العقیدة وتقدیمها بموضوعیّة» (۲)۲

reieM dna semloH :kroY weN ;niwnUdna nellA :notsoB ;nodnol arE nairotciV fo dnE, ۱۹۷۸ eht ot ecnassianreReht morf aibarA fo srerolpxE ,enotsniW F .V .H dna hteerF noskcid (۳)arhaZ) ..

علی أن هذه الأحکام بحاجة إلی اثباتات، لذا فإنها لا تعدو کونها ادعاءات.

وممّا یدلل علی ذلک أن الرحالة بورتون المعروف بانحیازه الواضح إلی رسالة الرجل الأبیض، والی بریطانیته خاصة، ورغم ذلک اعترف بأن کتابة بیتز تتصف بالتعصّب الأعمی رغم خلوها من الخرافات أو الأشیاء التی لا تُصدّق (۴).

وکمثال علی مدی تحامل بیتز علی المسلمین الصاقه بهم العدید من الرذائل،

۱- ۱ جعفر الخلیلی: «موسوعة العتبات المقدسة: قسم مکة» ۲: ۲۵۵ مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط. ۲، بیروت، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۲- ۲.

۳- ۲ reieM dna semloH :kroY weN ;niwnUdna nellA :notsoB ;nodnol arE nairotciV fo, ۱۹۷۸ dnE eht ot ecnassianreReht morf aibarA fo srerolpxE ,enotsniW F .V .H dna hteerF noskcid arhaZ

۴- ۳ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ۲۵۵.

ص: ۱۷۷

والتى ساهم هو نفسه فى ترويجها عن المسلمين فى الأوساط الغربيّة. ثم تغاضيه عن الاسلوب المتسامح معه، من قبل الآخرين، خاصة بعدما تغيّرت حاله أثر اعدام معلمه الأول، لمشاركته فى تنظيم تمرّد ضد الحاكم، فباعته زوجة هذا الأخير إلى شخص جديد متقدّم فى السن، عامله بلطف وطلب منه أن يرافقه فى رحلة الحج إلى مكّة المكرمة.

الرحلة إلى الحج

قام بيتز برفقة سيده بالحج إلى مكّة والمدينة، أواخر القرن السابع عشر (۱) ثم تمكّن من الفرار، ونشر قصّة رحلته تلك فى بريطانيا سنة ۱۷۰۴ م، وهى قصّة يصحح بها بعض الأخطاء والمبالغات الموجودة فى الكتب المعاصرة له، وأروع ما فى الرحلة وصفه للقافلة واعدادها (۲).

واجتذب الكتاب وعنوانه «وصف أمين لديانة وأخلاق المحمديين» اهتماماً كبيراً، لأن كاتبه عبد مسيحى، وفيه يعزّز روايات العبيد المسيحيين فى الدول (البربرية)، الجزائر وتونس وطرابلس، فضلًا عن ذلك فإن أهميته تعود أيضاً إلى أن «بيتز» كان من أوائل الانكليز الذين دخلوا شبه الجزيرة العربية ووصفوا شعبها، والأماكن المقدسة، ومراسم الحج وشعائر العبادة فى مكة، وقد زار بيتز كذلك قبر النبى صلى الله عليه و آله، ونفى حكاية أن القبر معلّق فى الهواء، بفعل قوّة أحجار مغناطيسية (۳).

بدأت رحلة بيتز وسيده بمصر، وعندما وصلا إلى الاسكندرية أُصيب المعلم بمرض شديد حتى ظنّ أن نهايته اقتربت، فأعطى الشاب البريطانى جزاماً فيه كيس من الذهب ورسالة كانت ستسلّم إليه فى مكّة المكرّمة، يعلن فيها صاحبه عن اطلاق سراحه. إلّاأن الرجل استعاد عافيته وظل «بيتز» فى خدمته، وتابعا طريقهما إلى القاهرة حيث مكثا فترة من الزمن لتجميع المواد اللازمة للمرحلة الثانية من الرحلة. وكان «بيتز» يدوّن ملاحظاته عن المدينة وأهلها (۴).

۱- ۱ لم تحدّد المراجع بالضبط سنة الرحلة، ولكنها حدثت، على ما يبدو، عام ۱۶۹۲ م، بدليل أنه عاد مباشرة إلىبلاده، فيما استغرقت مدّة غربته عنها حوالى ۱۵ سنة.

۲- ۲ د. محمود السمرة: «مراجعات حول العروبة والاسلام واوربا»، كتاب العربى ۴ الكويت، ۱۹۸۴ م، ص: ۱۲۰.

۳- ۳ صورة العرب فى الصحافة البريطانيّة؛ م. س: ۳۱.

۴- ۴ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ١٧٨

على أن «بيتز» فى وصفه لمصر وخليط السكان فيها (من أتراك ويهود ويونانيين وأقباط) كان أول من روّج شعبيّاً صورة جديداً جداً، ألا وهى صورة البغاء... وعلى أيّة حال، فإن تجارب بيتز وتصويره للعرب كقراصنة وشحاذين ولصوص ومشتغلين بتجارة الرقيق والبغاء كانت رائجة فى انكلترا فى نهاية القرن السابع عشر. ولابدّ من التأكيد هنا أن إشارات «بيتز» إلى العرب لم تكن واضحة جداً أبداً؛ فهو يدعوهم أحياناً جزائريين أو بربراً أو عرباً، ويشير إليهم أحياناً كأتراك ومصريين. وأحسن دليل على عدم وضوحه وصفه المشوّش للبغاء (١).

يمضى «بيتز» فى وصف قافلة الحجاج، وهو ينتقل بمعيّة سيده من القاهرة إلى السويس، ومنها أبحرا إلى مرفإ صغير بين ينبع وجدّة، واستخدما الجِمال مجدداً للوصول إلى مكّة المكرمة. ودامت اقامتهما هناك شهرين، وكان «بيتز» يرافق معلمه كل يوم، فى جولة حول المدينة، ويسجّل فى ذهنه صور المبانى وعادات الأهالى والطقوس الدينية. وكان الجهد الذى بذله لتسجيل كلّ هذه التفاصيل مميزاً، وكذلك عندما دوّنها فى كتابه الشهير (٢):

مكّة كما يصفها بيتز

كتب جوزيف بيتز مذكرات تفصيلية عن سفرته إلى مكّة، وصف فيها البلدة وأماكنها، كما وصف المسجد الحرام والكعبة ومناسك الحج كلها، وليس من الممكن بطبيعة الحال أن نورد هنا جميع ما كتب عن ذلك، وإنما نورد نماذج منتخبة ممّا كتب. فهو يقول عن أول وصوله إلى مكّة:

«... وحالما وصلنا إلى مكّة المكرّمة سار بنا الدليل فى الشارع الكبير الذى يقع فى وسطها، ويؤدّى إلى المسجد الحرام (يسميه المعبد)، وبعد أن أنخنا ذلولنا، كان أول ما أخذنا الدليل إليه البركة؛ لنقوم بعملية الوضوء، وعند ذلك جاء بنا إلى الحرم الشريف فخلعنا أحذيتنا، وتركناها عند الكيشوان، ثم دخلنا من باب السلام. وبعد أن سرنا خطوات معدودة، وقف بنا الدليل ورفع يده للدعاء، وأخذ

١- ١ صورة العرب فى الصحافة البريطانية؛ م. س: ٣٢.

٢- ٢ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ۱۷۹

یرتل بعض الجمل الدینیة، فقلده الحجاج وکرروا ما کان یقوله. وما ان وقع نظر الحجاج علی بیت اللّه الحرام (یقصد الکعبة) فی الداخل حتی انهمرت الدموع فی أعینهم بغزارة، وقادنا الدلیل إلیه فی الوقت الذی کنا ما نزال نکرر ما یقول من الأدعیة والجمل الدینیة. وقد أعقبنا ذلک بالطواف سبع مرّات من حوله، وبالصلاة رکعتین من بعد ذلک، وبعد الانتهاء من کل هذا أخذنا الدلیل إلی الشارع من جدید حیث کان علینا أن نهرول أو نرکض من مکان فی الشارع إلی آخر (بین الصفا والمروة) فنقطع مسافة لا تزید علی رمیة سهم. وإنی اعترف بأننی لم یکن بوسعی سوی أن أعجب بهؤلاء المساکین الذین یخلصون إلی آخر حد فی تأدیة مثل هذه (الخرافات)، وأقدّر شعورهم حینما ألاحظ مقدار ما ینتابهم من الرهبة والارتعاش. والحق أننی لم أتمالک نفسی من البکاء وإرسال الدموع حینما رأیت حماستهم المتناهیة فی العقیدة، برغم ما فیها من وثنیة (کذا)، ومع کونهم یؤدونها علی العمیا (۱)....

أمّا فیما یتعلّق بالحجر الأسود، فلقد کانت لدیه فکرة غریبة عنه، مع أنه یبدو وقد طاف حول الکعبة، إذ یقول: «هنالک فی إحدی زوایا هذا البیت حجر أسود ثُبِّت فی إطار من الفضة، وکلما اقترب أحد من الزاویة، علیه أن یقبّل ذلک الحجر، ویقولون: إن هذا الحجر کان لونه أبیض سابقاً، ولکنه بسبب ذنوب وخطایا الحجاج، الذین یقبلونه تحوّل لونه إلی الأسود». ثم یقول: «إنه لم یعتقد بصحة ذلک التحذیر الذی وُجّه إلیه. وهو أن الإنسان ربما أصیب بالعمی إذا نظر حوله وهو فی البیت الحرام، وهو یقول: إن هذه القصة غیر صحیحة، ثم قرر أن ینظر حوله، ولکنه لم یحدّق النظر کثیراً، بل کان یُلقی نظرة من آن لآخر (۲).

ویصف «بیتز» مکة فیقول: إنها بلدة تقع فی وادٍ غیر ذی زرع، أو فی وسط عدّة جبال صغیرة. وهی غیر عصیمة؛ لأنها لیس لها أسوار ولا أبواب... علی أن البلدة محاطة لعدّة أمیال بآلاف عدّة من التلال والجبال الصغیرة، التی تتقارب

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ۲۵۶.

۲- ۲ بیتر برینت: «بلاد العرب القاصیة: رحلات المستشرقین إلی بلاد العرب» ترجمة خالد أسعد عیسی وأحمد غسّان سبانو، دار قتیبة، بیروت/ دمشق، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م، ص: ۷۸.

ص: ۱۸۰

بعضها إلی بعض حد التقارب. وکلها أحجار صخریة میّالة إلی السواد فی لونها...

وهناک فوق قمّة أحدها غار مشهور یسمی غار حرّاء، کان النبی محمّد یعتزل فیه فیستغرق فی عبادته وتأملاته وصومه. وقد ذهبت إلیه فلم أجد أن ید التجمیل قد مسّته مطلقاً، فاعجبت جد الاعجاب بذلک (۱).

ثم یقدّم لنا «بیتز» انطباعاته حول مکة، فیقول: إنه لم یجد فیها شیئاً مثیراً أو مبهجاً. ولم یعجبه سکان مکة أیضاً (۲) فهم فقراء میالون إلی النحافة والهزال، وسمر فی لونهم (۳) ولکنه قضی وقتاً فی وصفهم ووصف الحجاج، ثم استرعی انتباهه أولئک المتصوفون (الدراویش) الذین یعیشون حیاة الزهد والتنسّک ویسافرون من أدنی البلاد إلی أقصاها کالرهبان المتسولین، وهم یعیشون علی صدقات الآخرین، یلبس الواحد منهم قفطاناً أبیض طولًا وقبعة طویلة بیضاء (مثل بعض فئات الرهبان المسیحیین) وعلی ظهر الواحد منهم جلد ضأن أو ماعز یرقد علیه، وفی یده یحمل عصا طویلة. وهنالک کثیر من الأتراک یتبعون مثل هذه الحیاة (۴).

ویقول «بیتز» کذلک: إن مکة کان فیها ماء کثیر، لکنها خالیة من العشب والزرع إلّافی بعض الأماکن. علی أنه وجد فیها عدّة أنواع من الفواکه میسورة للناس مثل العنب والبطیخ والرقی والخیار والقرع وما أشبه. وهذه یُؤتی بها فی العادة من مکان یقع علی مسیرة یومین أو ثلاثة، یسمی «حباش» (؟) ولعله یقصد بذلک الطائف.

ثم یذکر خلال وصفه للحج ومناسکه أن سلطان مکة (أی الشریف) الذی ینحدر من نسل النبی محمد صلی الله علیه و آله لا یعتقد بأن غیره جدیر بتنظیف البیت وتطهیره، ولذلک یقوم هو شخصیّاً والاثیرون عنده من رجاله بغسله بماء زمزم المقدس، ثم بالماء المطیّب المعطّر. وحینما یقومون بهذه العملیة ترفع السلالم التی تؤدّی إلی بیت اللَّه، ولذلک یحتشد الناس تحت الباب لیدفع ماء الغسیل علیهم حتی یتبللوا به

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س: ۲۵۶- ۲۵۷.

۲- ۲ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

۳- ۳ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س.

۴- ۴ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

ص: ۱۸۱

من الرأس إلی القدم. ثم تقطع المکانس التی یکنس بها البیت المقدس قطعاً صغیرة، وترمی علیهم فیتلاقفونها، ومن یفز بقطعة منها یحتفظ بها کأثر مقدّس لدیه (؟). ویتطرق بعد ذلک إلی ذکر الکسوة ووصفها کالمعتاد (۱).

وأخیراً یصدر حکمه النهائی علی تلک المدینة وعلی شعبها فیقول: «مع أن هذا البلد (مکة) یعتبر من الأماکن المقدسة، إلّاانّنی لا أعتبره مقدساً لکثرة ما فیه من الفسق والانغماس فی الملذات. أمّا بالنسبة للأخلاق فهو مساوٍ للقاهرة العظیمة، فهم من الممکن أن یسرقوا الحرم الشریف نفسه (۲).

وعلی هذا المنوال، ورغم تظاهره بالأمانة العلمیة، فانه یطلق تعمیماته الواسعة، التی لا تخلو من الدس والعشوائیة.

المدینة المنوّرة

وبعد أن غادر بیتز مکة المکرّمة، طفق یصف تکوین القافلة المتوجهة صوب المدینة المنورة، مع ترکیز علی بعض التفصیلات التی لا تخلو من تشویه، وبخاصة حینما یتحدث عن الأخطار التی واجهها الحجاج، بعد دخول الصحراء، وما یتعرضون له من قطّاع الطرق البدو...

ثم یقول: «وبعد الیوم العاشر من هذه الرحلة الیسیرة من مکة ندخل إلی المدینة المنورة. ولکن هذه المدینة صغیرة وفقیرة، ومع ذلک فهی محاطة بسور، وفیها مسجد عظیم، ولکنه لیس عظیماً کمسجد مکة» (۳).

وعن سور المدینة المنورة ومسجدها یعتقد «بیتز» أن هذا السور قد بُنی ما بین سنتی ۱۵۰۳- ۱۶۸۰ م. وفی زاویة من زوایا المسجد بناء یشغل خمس عشرة خطوة مربعة، فیه شبابیک کبیرة مشبکة بالنحاس الأصفر. وفی داخله بعض المصابیح المعلقة والأعلاق النفیسة. ولیس هناک ذلک العدد الکبیر من المصابیح الذی کتب بعضهم یقول: إنها تبلغ ثلاثة آلاف فی عددها. وفی وسط هذا المکان یوجد قبر محمد، وهنا یتجاوز علی النبی الأعظم ویسمیه (دعیّاً). ثم یصف

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدسة: م. س.

۲- ۲ بلاد العرب القاصیة؛ م. س: ۷۹.

۳- ۳ المرجع نفسه: ۸۰.

ص: ۱۸۲

الستائر، ویشیر إلی ما کان یتردد فی هـذا الشأن من الخرافـة، التی تقول: إن الجـدث الطاهر یشاهـد وهو فی تابوته معلقاً بین السـقف والأرض. ویشـیر إلی البقعة المعدّة للمسـیح عیسی بن مریم، ثم یقول: إن المدینة تتزوّد بجمیع ما تحتاجه من الحبشة الکائنة فی الجهة المقابلة من البحر الأحمر (۱).

بقی أن نعلم، أن «جوزیف بیتز» قـد اعتقه سـیّده الجزائری وأخلی سبیله، وبـذا وفی بوعـده وأطلق سـراحه، عنـد نهایـة زیارتهمـا لمکّة المکرّمة (۲) لکنه بقی یعیش مع سیّده ویخدمه لقاء اجور حتی عاد إلی الجزائر.

الهروب... والعودة

أمضـی «بیتز» بعض الوقت فی الجزائر، وعنـد ذاک أخـذ یفکّر فی الهرب والعودة إلی بلاده الأصـلیّة. فاسـتطاع التسـلل إلی سـفینة من السـفن المتوجهـة إلی اسـتانبول، بعـد أن أخذ معه کتاب توصـیة من المستر «بیکر» القنصل الانکلیزی فی الجزائر یومذاک إلی قنصـل انکلـترا فی أزمیر المستر «ری». ومع أن الحنین الی الجزائر قـد عـاوده فی أزمیر، وصـار یفکّر فی العودة واستئنـاف الحیـاة فیهـا کرجل مسلم، فقد استقلّ باخرة فرنسیة متوجهة إلی لیغهورن فی ایطالیا، بعد أن دفع ثمن التذکرة عنه تاجر انکلیزی کان یقیم فی أزمیر یدعی المستر «أیلیوت». وممّا یدلّ علی مقدار تعصّب «بیتز» للمسیحیة واحتفاظه بعقیدته فیها، رغم جمیع ما أصابه

۱- ۱ من تقلبات وذکره العیاشی فی تفسیره ۱: ۱۸۷.

۲- ۲ تفسـیر القمی ۲: ۸۳ بلا إسـناد إلی حجة معصوم، وسـبقه الأزرقی ت ۲۴۴ ه فی أخبار مکّهٔ ۲: ۳۰ عن أبی سـعید الخُدری عن عبداللّه بن سـلام، والفاکهی ت ۲۷۲ ه ۱: ۴۴۸ عن مجاهـد عن ابن عباس: أن حجر المقام لما صـعد علیه إبراهیم علیه السـلام للأذان بالحـج تطـاول حتی کـان کـأطول جبـلٍ من الجبـال، فنـادی: یـا أیهـا النـاس أجیبوا ربّکم. ورواه عبـد الرزاق الصـنعانی ت ۲۱۱ ه فی المصنّف ۵: ۹۷، والمحبّ الطبری ت ۶۹۴ ه فی القِری لقاصـد أمّ القری: ۶۰، وابـن حجر ت ۸۵۲ ه فی فتـح الباری ۶: ۶۰۴ بحدیث عثمـان قال: لما فرغ ابراهیم من بناء الکعبـة جاء جبرئیل فأراه المناسک کلها فقام إبراهیم علی المقام فقال: یا أیها الناس أجیبوا ربّکم. ورواها السیوطی فی الدر المنثور ۱: ۱۱۹ بل وجلّ المفسّرین للآیة ۲۷ من سورة الحج: «وأذن فی الناس بالحج». فیما روی البخاری فی صحیحه ۶: ۳۹۸ عن ابن عبـاس عنه صـلی الله علیه و آله قـال: جعل إسـماعیل یأتی بالحجارة وإبراهیم یبنی، حتی إذا ارتفع البناء جاء بهـذا الحجر فوضـعه له فقـام علیه وإسـماعیل یناوله الحجر. وروی الأزرقی فی أخبار مکـة ۲: ۳۲ عن ابن عبـاس أیضـاً قال: فلمّا ارتفع البنیان وشق علی الشـیخ تناوله قرّب له إسماعیل هذا الحجر فکان یقوم علیه ویبنی ویحوّله فی نواحی البیت حتی انتهی إلی وجه البیت ... فـذلک مقام إبراهیم. وروی هاتین الروایتین عن ابن عباس سائـد بکـداش فی کتابه فی فضل الحجر الأسود ومقام ابراهیم: ۹۴، ۹۵، وفی ۹۶ و ۹۹ قال: ولا مانع من تکرر صـعوده علی المقام للبناء وللنداء. وقد مرّ خبر القمی: أن الصعود علی المقام کان للنداء لا للبناء، وأنه ارتفع حتی کـان أطول من الجبـال کـذلک للنـداء، لاـ للبناء کما اشـتهر عنـد مؤرخی مکّهٔ المتأخرین: أن المقام تطاول وعلا فی السماء للبناء، وأقدم من ذکره ابو حیان التوحیدی ت ۷۴۵ ه فی تفسیره البحر المحیط ۳: ۷ کما فی کتاب سائد بکداش: ۹۷.

ص: ۱۸۳

ومارسه من تجارب، ولکن هذه القصص لم تصبح جزءاً من التراث الشعبی فی الغرب بالنسبة إلی بلاد العرب، وقد نسیها معظم الخبراء (۱) فقد أصبحت معرفة أحوال تلک البلاد متوافرة، وطغت علی تلک القصص، ومع ذلک فلا شک فی أن صراحة تلک المعلومات ساعدت علی تفهّم الشعب البریطانی والغرب لتلک الشؤون العربیّة، التی کانت تتسم بها تلک البلاد فی تلک الأیام. فالمدن والقفار التی وصفها لم یکن من السهل للرحالة الأوروپی العادی الوصول إلیها. إذ کانت تلک المناطق أماکن مغلقة بالنسبة للغرب بسبب (التعصّب) الدینی- علی حد زعم الکاتب الغربی بیتز برینت- وسلطة الامبراطوریة العثمانیة، ولهذا نری أن قصّة «جوزیف بیتز» البسیطة الصریحة یجب أن تکون قد ظهرت ولمعت بضوء سحری لا یقل روعة عن قصص ماندیفیل Mandeille الخرافیّة عن البلدان التی تحکمها الوحوش.

ما تجدر الاشارة الیه أن الرحالة البریطانی «رتشارد بورتون» قد أعاد نشر مذکرات بیتز هذا ضمن ملاحق رحلته المشهوره: «الحج إلی المدینة ومکّة» (۱۸۵۵- ۱۸۵۶) (۲).

وتکمن أهمیّة رحلة بیتز فی أنها أول محاولة قام بها انکلیزی، تتضمن وصفاً مفصلًا عن مدینة مکّة المکرّمة وموسم الحج، وعلی وصف أیضاً لمدینة الجزائر وضواحیها ولمدینتی الاسکندریة والقاهرة.

هل کانت هناک مهمّة سرّیة؟

ومهما قیل حول الرحلة من إطراء، وخاصة فی الغرب وفی الأجواء المتأثرة به (۳)، فإن ذلک لا یقلل من أهمیة علامات الاستفهام المثارة حول الکثیر ممّا ورد فی الرحلة، من معلومات أو انطباعات. فإضافة إلی ما تقدّم من تحفّظات، وردت فی ثنایا الحدیث، لا نعدم من یشکک فی صحة بعض المعلومات التی ذکرها «بیتز»، إن لم یکذّبها، وهذا الباحث البریطانی «بیتز برینت» یؤکّد أن بعضاً من کلام

۱- ۱ ورغم ذلک، فان الکتب القدیمة ما تزال تثیر اهتمام هواة الجمع، وقد بیع کتاب جوزیف بیتر، فی لندن عام ۱۹۹۳، بمبلغ وصل ۲۲۵۰ جنیها استرلینیاً، فی حین قُدّر ثمنه بین ۳۰۰- ۴۰۰ جنیه استرلینی، وقد تنافست علی شراء طبعته الأولی ۱۷۰۴ م ثلاث مؤسسات تتعامل بالکتب القدیمة، وبعد مزادات عدّة حصلت مؤسسة «فولیوز» علی الکتاب.

۲- ۲ قام برتون برحلته عام ۱۸۵۳ م، وعند عودته نشر کتاباً تحت هذا العنوان:. E. Pilgrimage to Al Madina Meccah Barton Richard

۳- ۳ للأسف، نجد أن الکثیر یأخذ کلام المستشرقین والرحالة حول الشرق أخذ المسلّمات، دون وعی لما ینطوی علیه کلامهم من دس وافتراء تارة وتشویه مقصود أحیاناً أخری.

ص: ۱۸۴

«بیتز» هو «قول مبنی علی الرغبة لا علی الحقیقة، إن لم یکن کاذباً زائفاً ریائیّاً» (۱).

وعلی طریقـة: «شـهد شاهد من أهلها»، فإن انطباعاً سـلبیّاً یقفز لدی کلّ منصف یبتغی الحقیقة والموضوعیة، حینما یطالعه عنوان کتاب بیتز: «وصف أمین لدیانـة وأخلاق المحمـدیین». فالأمانـة قد خانت هذا الأوروبی المسـکون بهواجس العبودیة والأسـر، فی الکثیر من محطات الکتاب، ثم إن اطلاق اسم المحمدیین علی المسـلمین هو فی الواقع تسـمیة خاطئة وتشبیه خاطئ بالمسـیحیین والمسـیحیة. إنّ النبیَّ محمـداً صـلی الله علیه و آله لم یزعم لنفسه الالوهیـة بل ولا حتی موهبة العلم بالغیب أو صـنع المعجزات. علی العکس فقد جزم طیلة حیاته وباطراد أنه إنسان فان. لذا فإن اسم الدین بالنسـبة لمعتنقیه هو الإسلام لا المحمدیة، والمؤمن برسالة محمد صلی الله علیه و آله لا یسمّی نفسه محمدیّاً بل مسلماً (۲).

وفی هذا السیاق، فان من الواضح- والفاضح معاً- انتماء آراء بیتز إلی عالم التحیّز، الذی کان سائداً، وما یزال، فی الوسط الغربی حیال الشـرق، والمشـرق الاسـلامی بالذات، وعلی حد قول ادوارد سـعید؛ کان کلّ رحالة أو مقیم أوروبی فی الشرق، وما یزال، مضطراً إلی أن یحمی نفسه من تأثیرات الشرق المقلقة (۳).

وهـذا ما یدعونا إلی طرح تساؤل خطیر: هل کان الکتاب من وحی أفکار بیتز الخاصة؟ وتتأتی أهمیة هذا التساؤل حینما نعلم أن «بیتز» عاش فی أسـر العبودیـة منـذ کان عمره ۱۵ سـنة، فکیف تسـنّی له تثقیف نفسه واعـدادها، خاصـة وأنه عـانی حقبـة مریرة من المعانـاة والاضطهاد من سیّده الأول الذی اتسم بالفظاظة والعربدة، کما یعترف «بیتز» نفسه...؟!

وبعبارة أخری؛ لو تلقّی «بیتز»، کغیره من معظم الرحالة الذین جابوا المشـرق الاسـلامی، الحد الأدنی من أسـلحة المعرفة المطلوبة لکلّ ذی مهمة خطیرة، کاختراق الدیار المقدسة فی الحجاز، لکانت محاولته أمراً طبیعیاً وغیر

۱- ۱ بلاد العرب القاصیة؛ م. س.

۲- ۲ صورة العرب فی الصحافة البریطانیة؛ م. س: ۴۷ هامش ۱۰۷.

۳- ۳ الاستشراق؛ م. س: ۱۸۲.

ص: ١٨٥

ملفت للانتباه، باعتبارها تأتى ضمن سياقاتها الموضوعية، أمّا أن يُقدم شاب لم يتلقَ أىّ نصيب فى مدارج المعرفة، وكلّ مالديه من زاد أنه كـان مولعاً بالمغامرة والأسـفار فقط، فكيف أقـدم على تسـجيل وقائع تجربته، حتى إنه «لم ينسَ أى شـيء، فى تلك الظروف التى أحـاطت به، فهو يتـذكر الحجوم والأطوال والأرقام وعـدد الأبواب والبوابات ويلاحظ الـدوامات والجريان أثناء الطواف حول الكعبـة» كما يقول «برينت»؟ (١).

إن قراءة واعية لما بين السطور المتقدمة تقودنا إلى التوجّس من هذا الاهتمام الدقيق الذى أبداه «بيتز»، ممّا يشير إلى أن هناك احتمالًا كبيراً وراجحاً بوجود مهمّة مكلّف بها من جهة معينة، تحرص على سبر غور الديار المقدّسة التى كانت مغلقة بوجه دوائر الغرب.

ولا يطول بنا المقام، لكى نوجه أصابع الاتهام صوب القنصل البريطانى فى الجزائر «بيكر» الـذى ساهم فى عمليّة تهريبه إلى أوروپا عبر أزمير. وهذا التكليف لم يكن مستغرباً أبداً، وهناك عشرات الأدلّة على شواهد مماثلة.

وما يعزّز هـذا التشـكيك أن «بيتز» نفسه قـد أشار فى مقدمة رحلته إلى ملاحظة، وكأنه يدفع تهمة عنه إذ يقول: «قد يظهر للبعض أننى وقـح فى وضع هذا الكتاب الصـغير.. وأنا لا أدعى أن لدى القدرات المطلوبة من شـخص لكتابة تاريخ كهذا»، ولكنه يضـيف قائلًا: إنه «يملك أفضل المؤهلات فيما يتعلّق بالحقيقة» (٢).

ولسـنا نـدرى مـا هى تلـك المؤهلات التى كان يتمتع بها «بيتز»، اللهم إلّاأنه ظل وفيّاً حتى آخر لحظـة إلى نصـرانيته وبريطانيته، وربما يشـير، من طرف خفى، إلى مهمته الموكولـة إليه، ولم يكن بيتز بدعاً فى هذا الأمر بل هو الدفعة الثابته التى طبعت جلّ الجهود الغربية، إن لم يكن كلهـا قاطبـة، فى هـذا الاتجـاه. بمـا فيهـا حركـة الاستشـراق التى تباهت ردحاً طويلًا من الزمن بالعلميّـة المجردة والمنهجية العارية.

وهذا ما دعا ادوارد سعيد إلى توجيه الاتهام القوى إلى الاستشراق، ولم يكتف

١- ١ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ٧٩.

٢- ٢ صحيفة الحياة؛ م. س.

ص: ۱۸۶

بالتأكيد على وصف المستشرق بأنه وكيل لحكومته ليس واضح الدلالة فحسب، بل هو مذهل كذلك: «يمكن اعتبار المستشرق كوكيل خاص لدولة غربيّة عند محاولتها تطبيق سياسة معيّنة حيال المشرق. إنّ أى رحالة أوروپى متعلم (أوليس كذلك تماماً) يتجوّل فى المشرق يشعر بأنه رجل غربى نموذجى قد سبر غور ما هو غامض من الأمور» (۱).

على أنه لا يمكن فهم دور بيتز وأضرابه فهماً واضحاً من دون فهم خلفيّةِ المرحلة أو طبيعة الظرف التى كان يتحرّك فيها أو اللاحقة لها، ومع أن هذا خارج نطاق البحث، إلّاأن الإشارة السريعة إليه أمر ذو أهمية، خاصة فيما يتعلق بقضية التوغّل الغربى فى ديار المشرق الإسلامى، وداخل شبه الجزيرة العربية تحديداً.

ما بعد بيتز

بعد «بيتز» قامت عدّة بعثات بالتوغّل داخل شبه الجزيرة العربيّة، وجميعها انحصرت تقريباً فى الجنوب الغربى، وأشهرها بعثة الرجلين الفرنسيين «وى لاجر بلود ير» و «باربير». ولكن بعد مغادرتهما المنطقة أتت فترة يمكننا أن نسميها نهاية تلك الفترة الطوعية للاستكشافات فى شبه الجزيرة العربيّة. وباستثناء «فارتيما»... لم يُعرف عن ذهاب أى شخص إلى بلاد العرب رغبةً فى معرفة شىء عن تلك المنطقة، أو ذلك الشعب، فقد كانوا يأتون بالقوة كعبيد أو عن طريق الدبلوماسية أو التجارة. ولم يحدث أن اهتموا بما حولهم وكتبوا شيئاً عمّا رأوه، ذلك لأن اهتماماتهم العامة بما حولهم لم تكن إلّاعملًا إضافيّاً يزيد على نواياهم الخاصة، فلم يكن سفرهم إلى تلك البلاد لتحليل المجتمع الذى يسكنها، ولكن بعد ذلك حدث التغيير، ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر فصاعداً، وعلى الأقل حتى الحرب العالمية الأولى، أصبح جميع أولئك الذين كتبوا بشكل فعّال عن جزيرة العرب يفعلون ذلك لإعطاء وصف لها، لأن هذا الوصف من عملهم الخاص (۲).

وعليه، فإننا نستطيع القول أن حقبة كلّ من «فارتيما» و «بيتز» كانت تمثّل

۱- ۱ صورة العرب فى الصحافة البريطانية؛ م. س: ۳۴ هامش ۶۰.

۲- ۲ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ۸۱.

ص: ۱۸۷

مرحلة التوثّب الاستعمارى، لتلحقها بعد فترة وجيزة مرحلة التوسّع الاستعمارى، التى حددها «برينت» ما بين منتصف القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الأولى.

والدليل على ذلك أن البعثات الغربيّة قد تقاطرت على المنطقة بشكل مكثّف ومثير للدهشة. وإلى هذا أشار المستر هوغارث، حينما لخّص أسماء الأوروپيين الذين زاروا الأراضى المقدسة إذ قال: «إن قائمة الأوروپيين الذين زاروا مكّة هى قائمة طويلة فى الحقيقة. فمنهم الايطاليون مثل: فارتيما وفيناتى، والألمان مثل:

فايلدوستيزن وفون مالتزان، والانكليز مثل: بيتز وبورتون وكين، والسويسريون مثل: بوخارت، والأسبان مثل: باديا، والسويد مثل والين، والهولنديون مثل هورغونيه، والفرنسيون مثل كوتر نلمونت.

وإلى جانب هؤلاء، هناك عدد من المحاربين والمغامرين، وقد سمع الرحالة نيبور بجرّاح فرنسى تمكن من الدخول إلى الأراضى المقدسة، وبرجلين انكليزيين أيضاً. وطرق سمع الرحالة «دوتى» أن عدداً من الإفرنج دخلوا إليها كذلك، وصادف هو بالذات رجلًا ايطالياً يسمّى نفسه فرارى كان فى طريقه إلى مكّة المكرّمة مع قافلة الحج الايرانية. ووجد جوزيف بيتز رجلًا ايرلندياً فى المدينة، كما يقول الرحالة مالتزان أن ليون روش القنصل الفرنسى فى تونس حجّ إلى مكّة وزار المدينة، وكذلك فعل رجل من البحارة الانكليز. هذا فضلًا عن عدد من الأوروپيين المشارقة مثل اليونان» (۱).

ولا ريب فى أن هذه القائمة للنماذج المعروفة، وما خفى أعظم، لم يكن همّ أصحابها الاستجمام أو المغامرة، بل هناك مهمّات خطيرة قد أوكلت إليهم، فى ظلّ تنافس محموم كانت تتسابق إليه دوائر الغرب بحثاً عن موطئ قدم فى هذا الشرق، الذى أُريد له أن يرزح تحت السيطرة الاستعمارية.

وعلى هذا الأساس، فإن الرحالة الذى رأيناه خلال القرنين السادس عشر

۱- ۱ موسوعة العتبات المقدسة؛ ۳: ۲۴۱.

ص: ۱۸۸

والسابع عشر، قد اختفی وحلّ محله المستکشف الذی مهما بلغ به حبّ المغامرة والجرأة، إلّاأنه یری ویعدّ وصف تلک البلاد جزءاً من مهمته الأصلیة، وذلک بأن یکتب وصفاً دقیقاً لما رآه ومارسه، وما قاساه أحیاناً فی تلک البلاد (۱).

ونستطیع أن نقول بایجاز: إنه فی نهایة القرن السابع عشر وبدایة القرن الثامن عشر، کانت قد توفرت لدی الغربیین المعلومات الأساسیة عن شبه جزیرة العرب: عن المدینتین المقدستین، والیمن، والبدو.

کما أن من الواضح أن «دی فارتیما» وحده کان، حتی هذا التاریخ، هو الرائد، أما الآخرون فلم یکونوا سوی روّاد مصادفة.

ومنذ القرن الثامن عشر بدأ فی تاریخ الریادة إلی شبه جزیرة العرب ما یمکن أن یسمّی بالریادة الحقیقیة، بکلّ ما فی الکلمة من معنی، وروّاد هذه الفترة أهدافهم متعددة متباینة، فبعضهم أغراضهم سیاسیة، وبعضهم الآخر هم من عشّاق المغامرات (۲) بید أن صراع الإرادات الذی احتدم فی الشرق بشکل عنیف، منذ أو أن وطأت سنابک خیوک نابلیون باحات الأزهر، قد وظّف جمیع تلک الأغراض فی بوتقة واحدة؛ لاختراق الشرق وتدجینه... واستلابه.

الهوامش:

من الآیات البیّنات: مقام إبراهیم علیه السلام

۱- ۱ بلاد العرب القاصیة: ۸۱.

۲- ۲ مراجعات حول العروبة والإسلام واوروبا؛ م. س: ۱۲۰.

ص: ١٨٩

ص: ۱۹۰

ص: ۱۹۱

من الآيات البيّنات: مقام إبراهيم عليه السلام

محمّد هادى اليوسفى الغروى

وصف المقام

«لقـد وجـدنا حجر مقام إبراهيم الخليل عليه السـلام مُثبّتاً فوق قاعـدهٔ صـغيرهٔ من الرّخام المرمر، بقدر قياس نفس المقام الشـريف طولًا وعرضـاً، وأمـا ارتفاعهـا فثلاثـهٔ عشـر سـنتيمتراً. وأما مقام إبراهيم عليه السـلام: فهو حجر لونه ما بين الحمرهٔ إلى الصـفرهٔ بل أقرب إلى البياض، يشـبه المكعّب، ارتفاعه عشـرون سـنتيمتراً، وطول كل ضـلع من أضـلاعه الثلاثهٔ من جهۀ سـطحه ستهٔ وثلاثون سنتيمتراً بزيادهٔ سنتيمين فى الضـلع الرابع، فمحيطه ۱۴۶ سـنتيمتراً .. وهو ملبّس بفضهٔ خالصهٔ لا يظهر منه إلّامعالم وهيئهٔ القدمين، واضـحهٔ بيّنهٔ لم تتغيّر ولم تتبـدّل: طول كلّ واحـدهٔ من القدمين ۲۷ سم، وعرضـهما ۱۴ سم من أعلى. وعمـق إحـداهما ۱۰ سم والثانيـهٔ ۹ سم. وطولهمـا فى عمقهما ۲۲ سم وعرضهما ۱۱ سم. وبينهمـا فاصل نحو ۱ سم. وأمـا موضع العقَبين فلا يتّضـح إلّالمن تأمل ودقّق النظر. وأما أثر أصابع القدمين فقد انمحى من مسح الناس له بأيديهم فى طول الزمن» (۱) أما اليوم فهو فى مقصورهٔ

۱- ۱ مقام إبراهيم للشيخ محمد طاهر الكردى المكى: ۱۱۲- ۱۱۴ ومشاهدته فى سنهٔ ۱۳۶۷ ه.

ص: ۱۹۲

زجاجية عليها قبة صغيرة كرؤوس المنائر.

وقد جاء البياض فيه فيما رواه العيّاشي السمرقنديّ في تفسيره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ثلاثة أحجار نزلت من الجنة: حَجر بني إسرائيل، ومقام إبراهيم عليه السلام والحجر الأسود، وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فاسودّ من خطايا بني آدم (۱).

مع ما رواه الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن ابن أبي يعفور قال: إن الصادق عليه السلام ذكر الحَجر فقال: لقد كان أشدّ بياضاً من اللَّبن: ثمّ قال: أما إنّ المقام كان بتلك المنزلة (۲).

ووردت الحمرة فيه فيما رواه القطب الراوندي في «قصص الأنبياء»: أن آدم عليه السلام لما امر ببناء البيت ناداه جبل أبي قُبيس: يا آدم؛ إنّ لك عندي وديعة، فدفع إليه الحجر والمقام، وهما يومئذٍ ياقوتتان حمراوان (۳).

وخبر الصدوق معتبر موثوق مسند مؤيّد بخبر العيّاشي، ولا تعارضهما مرفوعة القطب الراوندي، ولا مرفوعة الصدوق فيه عن وهب بن منبّه اليماني (عن ابن عباس) أنه ذكر الركن (الحجر الأسود) والمقام فقال: إنهما ياقوتتان من ياقوت الجنّة، انزلا فوضعاً على الصفا فأضاء نورهما لأهل الأرض ما بين المشرق والمغرب (۴).

ولا ـ مرفوعة الطبرسي في «مجمع البيان» عن عبد اللَّه بن عمرو (ابن العاص) عنه صلى الله عليه و آله قال: الركن (الحجر الأسود) والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة، طمس اللَّه نورهما، ولولا أن اللَّه طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب (۵) وهي بعكس السابقة في الاشراق.

كيف وُصف بأنه آية بيّنة؟

إذا كان حجر المقام من حجر الجنة فهو آية بالمعنى العام، من دون أن يكون آية خاصة ولا سيما أن يكون آية بيّنة، وإنّما ذلك لما رواه الكلينيّ في «فروع الكافي» عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده عن ابن سنان قال:

۱- ۱ تفسير العيّاشي ۱: ۵۹ ح ۹۲.

۲- ۲ علل الشرائع ۲: ۱۳۳ ط. دار الحجّة.

۳- ۳ قصص الأنبياء: ۴۹.

۴- ۴ علل الشرائع ۲: ۱۳۲ ومن قبل في أخبار مكة للازرقي ۱: ۲۲۶ وكذلك للفاكهي ۱: ۹۴.

۵- ۵ مجمع البيان ۱: ۳۸۴، ولم يروه البخاري ولا مسلم وإن رواه على شرطه البيهقي في سننه ۵: ۷۵، والترمذي ۳: ۲۲۶، وعبدالرزاق في مصنفه ۵: ۳۹، والأزرقي ۲: ۲۹، والفاكهي ۱: ۴۴۰، وابن حَبّان في صحيحه ۹: ۲۴، وابن خُزيمة في صحيحه ۴: ۲۱۹.

ص: ۱۹۳

سألت أبا عبداللّه الصادق عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: إنَ أول بيت وُضع لّلناس للذى ببكّةٔ مباركاً وهدًى للعالمين فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ما هذه الآيات؟

قال عليه السلام: مقام إبراهيم حيث قام على الحَجَر فأثّرت فيه قدماه، والحَجر الأسود، ومنزل إسماعيل (۱).

وخلا تفسير الآيةٔ فى «تفسير القمى» من هذا الخبر.

وفى تفسيره لقوله سبحانه فى سورةٔ الحج: وأذّن فى الناس بالحجّ يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامر يأتينَ من كلّ فجٍّ عميق قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره اللّه أن يؤذّن فى الناس بالحجّ، فقال: يا ربّ، وما يبلغ صوتى؟! فقال اللّه:

أذِّن، عليك الأذان وعلىّ البلاغ! فارتفع على هذه الصخرةٔ وكانت يومئذٍ ملصقةٔ بالبيت، فارتفعت حتى كانت أطول من الجبال، فأدخل اصبعيه فى اذنيه، وأقبل ينادى ويقول ويحوّل وجهه شرقاً وغرباً:

- أيها الناس: كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم!

فأجابوه مَن تحت البحور السبعةٔ ومَن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها، ومَن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبّيك اللهمّ لبّيك.

فمن حجّ من يومئذٍ إلى يوم القيامةٔ فهم ممّن استجاب اللّه ... يعنى نداء إبراهيم على المقام بالحجّ (۲).

ورواه الصدوق فى «علل الشرائع» بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبى عبداللّه الصادق عليه السلام قال: لما أوحى اللّه إلى إبراهيم عليه السلام: أن أذّن فى الناس بالحجّ أخذ الحجر ... فوضعه بحذاء البيت لاصقاً به بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم، ثمّ قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره اللّه تعالى به. فلما تكلّم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من الحجر قلعاً (۳).

۱- ۱ فروع الكافى ۱: ۲۲۷، ولم يذكر الخبر فى تفسير القمى للآيةٔ، و ذكره العياشى فى تفسيرةٔ ۱: ۱۸۷.

۲- ۲ فروع الكافى ۱: ۲۲۷، ولم يذكر الخبر فى تفسير القمى للآيةٔ، و ذكره العياشى فى تفسيرةٔ ۱: ۱۸۷.

۳- ۳ فروع الكافى ۱: ۲۲۷، ولم يذكر الخبر فى تفسير القمى للآيةٔ، و ذكره العياشى فى تفسيرةٔ ۱: ۱۸۷.

ص: ۱۹۴

خبر آخر فی أثر المقام:

رواه القطب الراوندی عن الصدوق أیضاً بسنده عن عُقبة عن أبی عبداللَّه الصادق علیه السلام قال: إنّ إبراهیم علیه السلام اشتاق إلی إسماعیل فأتاه وقد هلکت امه (هاجر) وأخذت علیه ساره أن لا ینزل حتی یرجع، فلم یوافق إسماعیل فقال لامرأته: أین زوجک؟ قالت: خرج للصید عافاک اللَّه. فقال لها: کیف أنتم؟ فقالت: صالحون. قال:

وکیف حالک؟ قالت: حسنهٔ وبخیر. ثمّ قالت له: انزل یرحمک اللَّه حتی یأتی. فأبی، فلم تزل به تریده علی النزل ویأبی (ولعله عرّفها بنفسه) فقالت له: أری رأسک شعثاً فهل أجعل لک غَسولًا؟ فجعلت له غَسولًا ثم أدنت منه حجراً فوضع قدمیه علیه فغسلت جانب رأسه، ثم انقلبت (إلی جانبه الآخر فرفع قدمه ووضع) قدمه الآخری فغسلت الشقّ الآخر (ولم یأت اسماعیل) فقال لها: إذا جاء زوجک فقولی:

جاء شیخ هاهنا وهو یوصیک بعتبهٔ بابک خیراً! ثمّ سلّم علیها (وانصرف راجعاً وقد بقی أثر قدمیه فی الحجر).

فلمّا أقبل إسماعیل وانتهی إلی الثنیّهٔ وجد ریح أبیه! فقال لها: هل أتاک أحد؟

قالت: نعم، شیخ، وهذا أثر قدمیه! فأکبّ علی مقام أبیه یقبّله ... وفیه: إن إبراهیم کان یأتی من الحیرهٔ إلی مکّهٔ کلّ یوم! وفی خبر آخر فیه عن عبدالرحمان بن الحجاج مثله وفی آخره: قلت: کیف کان ذلک؟! قال علیه السلام: طویت له الأرض (۱).

ولم نعثر علیهما فیما بأیدینا من کتب الصدوق ابن بابویه.

ورواه الطبرسیّ فی «مجمع البیان» مرفوعاً عن ابن عباس، ثمّ قال: وقد روی هذه القصهٔ بعینها علی بن إبراهیم القمی عن أبیه عن ابن أبی عُمیر عن أبان عن الصادق علیه السلام (۲) وکذلک لم نعثر علیه فی تفسیر القمیّ ولا سائر أخباره، والقطب الراوندی (ت ۵۷۳ ه) متعاقب للطبرسی (ت ۵۴۸ ه) وإنما رواه القطب عن الصدوق بإسناده عن ابن أبی عمیر عن أبان عن عُقبهٔ عن الصادق علیه السلام، فلعلّه کان عن القمی عن أبیه عن ابن أبی عمیر، وعلیه فالطریق واحد، فالخبر واحد. ومُفاد

۱- ۱ قصص الأنبیاء: ۱۱۱، ۱۱۲.

۲- ۲ مجمع البیان ۱: ۳۸۴، وهو ما حکاه الطوسی فی التبیان ۱: ۴۵۳ عن السدی، والطبری فی جامع‌البیان ۱: ۵۳۷، ثمّ الفخر الرازی فی تفسیره ۴: ۵۳ ثم القرطبی فی تفسیره ۲: ۱۱۳، ثمّ ابن کثیر فی تفسیره ۱: ۱۶۹، وذکر تضعیف سعید بن جُبیر للخبر.

ص: ۱۹۵

الخبر متأخر زماناً عن الأخبار السابقة، فإنها أفادت أن الأثر فی الحجر كان عند نداء إبراهيم للحجّ ثمّ حجّ مع ابنه إسماعيل وقرّبه للذبح وهو غلام لم يتزوّج بعد، وأمّه هاجر موجودة، وفی هذا الخبر أن إبراهيم عليه السلام أتاه وقد هلكت أمّه هاجر.

فأثر قدمی إبراهيم عليه السلام فی الحجر كان سابقاً قبل سفره هذا، وتأثير قدميه اليوم تحصيل للحاصل الباطل.

وفی الخبر من الاستبعاد المضاعف- غير ما مرّ- أن إبراهيم عليه السلام كان يأتی كلّ يوم إلی مكة من الحيرة! ولا يشفع له الخبر الآخر عن عبدالرحمان بن الحجّاج، فهو لا يرفع الاستبعاد عن أسفاره كلّ يوم بل إنما عن سفرة واحدة؛ فلا يقول: كانت تطوی له الأرض، بل: طويت له الأرض، تعقيباً لقوله: إن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل بمكّة. ولو كانت أسفاره متكرّرة فلِمَ لَمْ تعرفه امرأة ابنه إلّاأنه شيخ، كما فی الخبر؟! ثم إن لم تعرفه فكيف عرضت عليه أن تغسل رأسه وسوّغ لها ذلك ولم يستنكره منها؟!

والحيرة كلّ الحيرة فی الحيرة فی الخبر؟ إذ لم نعهد الحيرة إلّافی العراق، ولم نعهد إبراهيم يومئذٍ إلّافی الشام فأين الحيرة؟!

فكل هذا الاستبعاد يبعدنا عن التصديق بهذا الخبر بإزاء الأخبار السابقة الموثوقة.

وهل تغيّر موضعه ومحلّه؟

روی الكلينیّ فی «فروع الكافی» والصدوق فی «كتاب من لا يحضره الفقيه» بإسنادهما عن أبی جعفر الباقر عليه السلام قال: موضع المقام الذی وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك حتی حوّله أهل الجاهلية إلی المكان الذی هو فيه اليوم.

فلمّا فتح النبیّ صلی الله عليه و آله مكّة ردّه إلی الموضع الذی وضعه فيه إبراهيم عليه السلام، فلم يزل هناك إلی أن ولی عمر بن الخطاب، فسأل الناس: مَن منكم يعرف المكان الذی كان فيه المقام؟! فقال رجل: أنا، قد كنت أخذت مقداره بنسع (/ قيد من جلد) فهو عندی!

ص: ۱۹۶

فقال: ائتنی به، فأتاه به، فقاسه ثم ردّه إلی ذلک المکان (١).

ومن قبل مرّ فی خبره فی «علل الشرائع» بإسناده عن سلیمان بن خالد عن الصادق علیه السلام قال: أخذ إبراهیم علیه السلام الحجر فوضعه بحذاء البیت لاصقاً به بحیال الموضع الذی هو فیه الیوم. وفی آخره: فلما کثر الناس صاروا إلی الشرّ والبلاء ازدحموا علیه، فرأوا أن یضعوه فی هذا الموضع الذی هو فیه الیوم لیخلو المطاف لمن یطوف بالبیت.

فلمّا بعث اللَّه عزّوجلّ محمداً صلی الله علیه و آله (وفتح مکة) ردّه إلی الموضع الذی وضعه فیه إبراهیم علیه السلام، فما زال فیه حتی قُبض رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وفی زمن أبی بکر وأول ولایة عمر، ثمّ قال عمر: قد ازدحم الناس علی هذا المقام، فایّکم یعرف موضعه فی الجاهلیة؟!

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقید! فقال له عمر: والقدر عندک؟ قال: نعم، قال: فاتنی به، فأمر بالمقام فحُمل ورُدّ إلی الموضع الذی هو فیه الساعة (٢).

وفی خبر آخر عنه علیه السلام قال: ما بین باب البیت إلی الرکن العراقی هو الموضع الذی کان فیه مقام إبراهیم علیه السلام (٣).

وروی ابن إدریس الحلی فی «کتاب السرائر الحاوی لتحریر الفتاوی» عن «کتاب مسائل داود الحضرمی» قال: سألت أبا الحسن موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام عن أفضل موضع للصلاة بمکة؟ فقال: عند مقام إبراهیم الأول، فإنه مقام إبراهیم وإسماعیل ومحمد صلی الله علیه و آله (۴).

وروی السجستانی فی «مسند عائشة» بسند عن هشام بن عروة (عن خالته عائشة) قال: (قالت): کان رسول اللَّه (بعد فتح مکة) یصلی إلی صقع البیت لیس بینه وبینالبیت شیء، وأبوبکر، وعمرصدراً منإمارته، ثمّإنّعمر ردّالناسإلی المقام (۵).

تاریخ النقل ومناسبته:

وقال الإمام مالک فی «المدوّنة الکبری»: کان المقام ملصقاً بالبیت فی عهد

١- ١ فروع الکافی ۴: ٢٢٣ ح ٢، وکتاب من لا یحضره الفقیه ٢: ١۵٨ ح ١٢.

٢- ٢ علل الشرائع ٢: ١٢٨.

٣- ٣ بحار الأنوار ٩٩: ٢٣١.

۴- ۴ کتاب السرائر.

۵- ۵ مسند عائشة: ٨٢ ح ٧٣، وانظر أخبار مکة للأزرقی ٢: ٣٠، والفاکهی ١: ۴۴٢، والبیهقی فی السنن الکبری ۵: ٧۵، وابن حجر فی فتح الباری ٨: ١۶٩.

ص: ١٩٧

النبی صـلی الله علیه و آله وعهد أبی بکر، وبلغنی أن عمر بن الخطاب لما ولی وحج ودخل مکهٔ آخّر المقام إلی موضـعه الذی هو فیه الیوم (١).

وروی الفاکهی (ت ٢٧٢ ه) فی «أخبار مکهٔ» بسند عن سعید بن جُبیر قال:

إنما قام إبراهیم علیه السـلام علی المقام حین ارتفع البنیان وأراد أن یشرف علی البناء (ثم) کان فی وجه الکعبهٔ، فلمّا کثر الناس خشی عمر بن الخطاب أن یطؤوه بأقدامهم فأخرجه إلی موضعه هذا الذی هو به الیوم حذاء موضعه الذی کان به (٢).

وروی ابن کثیر فی تفسیره عن إمام مکهٔ عن سـفیان بن عُیینهٔ قال: کان المقام علی عهد رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله فی سقع البیت (/ لصیقاً به) وبعد نزول قوله تعالی:

واتّخذوا من مقام إبراهیم مصلّی وبعد النبیّ صلی الله علیه و آله حوّله عمر إلی مکانه هذا (٣).

وروی ابن حجر فی «فتـح الباری» فی حـدیث عثمان قال: کان إبراهیم علیه السـلام یقوم علی المقام یبنی علیه ... وأخذه فجعله لاصـقاً بالبیت (۴).

وروی عبدالرزاق فی مصنّفه عن مجاهد (عن ابن عباس) قال: أوّل من أخّر المقام إلی موضعه الآن عمر بن الخطاب.

وروی فیه عن ابن جریج عن عطاء (عن ابن عباس) قال: أول من نقله عمر ابن الخطاب (۵).

ولم تخبرنا هـذه الأخبار عن التاریـخ الـدقیق لنقل المقام، سوی ما فیها من أنه کان بعـد صدر من إمارته أو أوّل ولایهٔ عمر، ولم تذکر المناسبهٔ.

وروی الأزرقی (ت ٢۴۴ ه) عن التابعی ابن أبی مُلیکهٔ قال: ذهب السـیل به فی خلافهٔ عمر، فجعل فی وجه الکعبهٔ حتی قدم عمر فردّه؟ (۶)ورواه الفاکهی عن تابعیّ آخر هو عمرو بن دینار المکّی (٧).

وروی الأزرقی عن حبیب بن أبی الأشـرش قال: إن سیل أمّ نهشل احتمل المقام من مکانه ... فلمّا قدم عمر بن الخطاب سأل: من یعلم موضعه؟! فقال المطّلب ابن أبی وداعهٔ: أنا یا أمیر المؤمنین، قد کنت ذرعته وقدّرته بمقاط (/ بحبل) من

١- ١ تحفهٔ المحتاج لابن حجر ۴: ٩٢ عن المدوّنهٔ الکبری للإمام مالک.

٢- ٢ أخبار مکهٔ للفاکهی ١: ۴۵۴.

٣- ٣ تفسیر ابن کثیر ١: ١٧٠.

۴- ۴ فتح الباری فی شرح صحیح البخاری ۶: ۴٠۶.

۵- ۵ المصنّف لعبدالرزاق ۵: ۴٨ ونقله ابن حجر فی فتح الباری وصحّحه ٨: ١۶٩، وروی مثله البخاری فی صحیحه والبیهقی فی السنن بإسناد صحیح.

۶- ۶ أخبار مکهٔ للأزرقی ٢: ٣۵.

٧- ٧ أخبار مکهٔ للفاکهی ١: ۴۴۵.

ص: ۱۹۸

الحجر إليه ومن الركن إليه ومن وجه الكعبة إليه. فقال عمر: ائت به فجاء به فوضعه فى موضعه هذا (۱).

والخبر الأكثر تفصيلًا ما رواه الأزرقى بسنده إلى المطّلب بن الحارث السهمى من مسلمة الفتح قال: كانت تدخل السيول المسجد الحرام من باب بنى شيبة الكبير حتى كان يقال له باب السيول، فربّما دفعت المقام عن موضعه ... حتى جاء سيل فى خلافة عمر بن الخطاب ذهب بأمّ نهشل فسمّى بسيل أمّ نهشل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاص فماتت، واحتمل المقام من موضعه ... فذهب به حتى وُجد بأسفل مكة، فاتى به فربُط فى وجه الكعبة بأستارها. وكُتب فى ذلك إلى عمر، فأقبل عمر فزعاً فى شهر رمضان (۱۷ أو ۱۸ ه على ما فى شفاء الغرام (۲) أى فى الخامسة من خلافته).

فدعا عمر بالناس فقال: أنشد اللّه عبداً عنده علم فى هذا المقام؟

قال المطّلب: فقلت: أنا يا أمير المؤمنين عندى ذلك ... أخذت قدره من موضعه إلى الركن، ومن موضعه إلى باب الحِجر، ومن موضعه إلى زمزم، بمِقاط (/ جبل) وهو عندى فى البيت!

فقال لى عمر: فاجِلس عندى، وأرسَل إليها، فاتى بها، فمدّها إلى موضعه هذا وسأل الناس فقالوا: نعم هذا موضعه، فأمر به فاحكم بناء رُبضه (/ أساسه) تحته وحوله، فهو فى مكانه هذا إلى اليوم (۳).

هذا أكثر خبر تفصيلًا، ويؤرخ النقل بسيل أمّ نهشل، ويؤرّخه الفاسى فى «شفاء الغرام» بالسنة ۱۷ أو ۱۸ ه أى فى الخامسة من خلافة عمر، أى فى أواخر الثلث الأول وأواخر الثلث الثانى من خلافته وليس أوّلها ولا صدرها.

وأنا أرى أفضل حلّ لهذا الإشكال مقال امام المكيين على عهده سفيان بن عيينة على ما نقله عنه ابن كثير فى تفسيره عن ابن أبى حاتم عن سفيان قال: وبعد تحويل عمر اياه من موضعه هذا ذهب به السيل، فردّه عمر إليه (۴) فهذا يوفّق بين

۱- ۱ أخبار مكة للأزرقى ۲: ۳۵.

۲- ۲ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسى ۱: ۲۰۹.

۳- ۳ أخبار مكة للأزرقى ۲: ۳۳.

۴- ۴ تفسير ابن كثير ۱: ۱۷۰، البقرة: ۱۲۵.

ص: ۱۹۹

الأمرين: بين أن يكون قد نقله فى أول ولايته أو صدر إمارته وبين أن يكون ردّه بعد سيل أمّ نهشل فى الخامسة من خلافته سنة ۱۷ أو ۱۸ كما فى «شفاء الغرام».

ويؤيّده ما مرّ ذكره عن الإمام مالك فى «المدوّنة الكبرى» حيث قال: كان المقام ملصقاً بالبيت فى عهد النبىّ صلى الله عليه و آله وعهد أبى بكر، وبلغنى أن عمر بن الخطاب لما ولى وحج ودخل مكة أخّر المقام إلى موضعه الذى هو فيه اليوم (۱).

العلّة فى تحويله من محلّه:

مرّ خبر الصدوق فى «علل الشرائع» عن الصادق عليه السلام بشأن المقام، وكان عنوانه: علة تأثير قدمى إبراهيم عليه السلام فى المقام، وعلة تحويل المقام من مكانه إلى حيث هو الساعة. وجاء فيه فى علة تحويله من محله قوله عليه السلام: ثمّ قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام (۲) وهذا هو الخبر الوحيد مما بأيدينا فى تعليل تحويل المقام من محلّه.

ومرّ فى خبر الفاكهى فى «أخبار مكة» عن سعيد بن جُبير قال: فلمّا كثر الناس خشى عمر بن الخطّاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه إلى موضعه هذا الذى هو به اليوم (۳).

ذكر هذا الخبر سائد بكداش فى كتابه فى فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام، وقال: ومن هذا الأثر عن ابن جبير أخذ ابن كثير ومن تابعه (ابن حجر) علة تأخير عمر للمقام (۴).

وقال: قال ابن كثير (ت ۷۷۴ ه) فى بيان وجه تأخير عمر للمقام:

«وقد كان المقام ملتصقاً بجدار البيت حتى أخّره عمر بن الخطّاب فى إمارته إلى ناحية الشرق؛ بحيث يتمكّن الطُوّاف منه ولا يشوّشون على المصلّين عنده بعد الطواف، فإن اللّه قد أمرنا بالصلاة عنده» (۵).

قال: وقد تابع الحافظ ابن حجر (ت ۸۵۲ ه) فى هذا الموضع من «فتح البارى» تابع ابن كثير متابعة تامة، فذكر كلامه وأدلّته، ولم يصرّح باسمه، وصاغ

۱- ۱ تحفة المحتاج لابن حجر ۴: ۹۲ عن المدوّنة الكبرى.

۲- ۲ علل الشرائع ۲: ۱۲۸.

۳- ۳ أخبار مكة للفاكهى ۱: ۴۵۴.

۴- ۴ فضل الحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام لسائد بكداش: ۱۱۷.

۵- ۵ تفسير ابن كثير ۱: ۳۸۴.

ص: ۲۰۰

علة تأخير عمر للمقام بما يلي:

قال: «وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزمه التضييق على الطائفين أو المصلين، فوضعه فى مكان يرتفع به الحرج، وتهيّأ له ذلك ... ولم تنكر الصحابة فعل عمر» (۱).

وعلّق عليه يقول: وهذا يفيد أن موضع المقام الحالى هو اجتهاد من سيّدنا عمر بسبب زحمة الطائفين. ثمّ قال: وتعليل تأخير عمر للمقام بسبب زحمة الطائفين بعيد، فقد حجّ مع النبيّ صلى الله عليه و آله أكثر من مئة ألف صحابى، وهو عدد ضخم يجعل المقام قائماً بين الطائفين حتى ولو طاف منهم العشر أو أقل بكثير، ومع هذا لم يؤخّر النبىّ المقام (۲).

ولعله لهذا لم يذكر سعيد بن جبير ما قاله ابن حجر: ان عمر رأى أن ابقاءه يستلزم التضييق على المصلين والطائفين فرفع الحرج برفعه، بل قال: لما كثر الناس خشى عمر بن الخطّاب أن يطؤوه بأقدامهم فأخرجه من موضعه إلى حيث هو اليوم.

وما حكم استلام المقام؟

روى الأزرقى عن ابن عباس قال: لما نزل آدم عليه السلام نزل بين الركن والمقام، وفى تلك الليلة انزل إلى جانبه الركن والمقام، فلمّا أصبح ورآهما عرفهما فضمّهما إليه (۳).

وفيه عنه قال: إن الركن الأسود والمقام جوهرتان من جواهر الجنّة، ولولا ما مسّهما من أهل الشرك ما مسّهما ذو عاهة إلّاشفاه اللَّه (۴).

وفيه بسند صحيح قال: لو لا ما مسّهما من خطايا بنى آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وما مسّهما من ذى عاهة ولا سقيم إلّاشُفى (۵).

ورووا عن أنس بن مالك الأنصارى أن مسح الناس لأثر قدمى إبراهيم عليه السلام فى المقام كان جارياً على عهده بلا نكير ولا مانع ولا رادع: فقد نقل ابن حجر فى «فتح البارى» عن «الموَطّأ» لابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال:

رأيت أصابع قدمى إبراهيم وأخمصيهما فى المقام، غير أنه أذهبه مسح الناس

۱- ۱ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ۸: ۱۶۹.

۲- ۲ فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ۱۱۹.

۳- ۳ أخبار مكة للأزرقى ۱: ۳۲۵.

۴- ۴ أخبار مكة للأزرقى ۱: ۳۲۲ و ۲: ۲۹ وهى مرفوعة.

۵- ۵ أخبار مكة للأزرقى ۲: ۲۹، والنووى فى المجموع ۸: ۳۶، وقال: اسناده صحيح. ورواه البيهقى فى السنن ۵: ۷۵.

ص: ۲۰۱

بأيديهم (۱).

نقل ذلك سائد بكداش فى كتابه وقال: يظهر من أثر سيدنا أنس المتقدّم عن «الموطّأ» أن أثر الأصابع وأخمص القدمين كان ظاهراً لتأمّله، لكن كاد أن ينمحى بسبب مسح الناس له (۲).

وكأنّ النكير على هذا المسح كان بعد ذلك على عهد التابعين: فقد روى الطبرى فى تفسيره «جامع البيان» فى تفسير قوله سبحانه: واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى عن قتادة قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلّفت هذه الأمة شيئاً ممّا تكلّفته الأمم قبلها (؟!) ولقد ذكرنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى (۳).

نقل هذا القول عن قتادة سائد بكداش فى كتابه، وقد نقل قبله وبعده عن «مقام إبراهيم» للشيخ محمد طاهر الكردى المكى قال: ممّا هو جدير بالذكر والالتفات إليه: أن العرب فى جاهليتها، مع عبادتهم الأحجار وبالأخص حجارة مكة والحرم، لم يُسمع عنهم أن أحداً منهم عبدَ الحجر الأسود أو المقام، مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما. ولقد تأمّلنا فى سرّ ذلك وسببه فظهر لنا: أن ذلك كان من عصمة اللّه تعالى لهما، فإنهما لو عُبدا من دون اللّه فى الجاهلية ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود والصلاة خلف المقام، لقال المنافقون وأعداء الإسلام: إن الإسلام أقرّ احترام بعض الأصنام! وإنه لم يخلص من شائبة الشرك، ولتمسّك بعبادتهما من كان يعبدهما من قبل، فلهذا حفظ اللّه تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى ما شاء اللّه (۴).

فما هو وجه الشبه الذى أشار إليه قتادة بقوله: لقد تكلّفت هذه الأمة شيئاً ممّا تكلّفتْه الأمم قبلها؟! ما الذى تكلّفتْه أية أمة قبل الاسلام ممّا يُشبه استلام المقام؟! هذا وهو يقول: فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى أثر عقب إبراهيم وأصابعه، ولم يذكر أىّ نكير عليه من غيره، فلا أقل من دلالته على عدم

۱- ۱ فتح البارى ۸: ۱۶۹.

۲- ۲ فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، سائد بكداش: ۱۰۱.

۳- ۳ جامع البيان ۱: ۵۳۷، وأراه نقله عن الأزرقى فى أخبار مكة ۲: ۲۹ ونقله ابن حجر فى فتح البارى ۸: ۱۶۹ ولم ينكره.

۴- ۴ مقام إبراهيم للكردى: ۱۰۷، وعنه فى سائد بكداش: ۵۳ و ۱۳۲.

ص: ۲۰۲

المنع بـدون قصد الورود، ولا نقول بالندب. وقد استـمر الناس على هذا حتى هذه الأواخر، كما ذكر الشيـخ طاهر الكردى المكى قال: لم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً فقد انمحى من مسح الناس له بأيديهم فى طول الزمان (۱).

وهل يتيسّر تغيير محلّه للعلّة؟

وأخيراً نشـر السـماوى إبراهيم مقالًا فى مجلـة بعنوان: هل المناسب نقل مقام إبراهيم عليه السـلام من مكانه؟! قال فيه: دعت الضـرورة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن يبعـد المقام عن مكانه بجوار الكعبة إلى مكانه الحالى، وهى: كثرة الناس من الطائفين وخشـيته من أن يطؤوه بأقـدامهم. ثم قال: وهـذه الضـرورة متحققـة فى عصـرنا بل هى اليوم أظهر منها فى العهود السابقة، فهى داعية إلى اعادته إلى مكانه السابق للسبب ذاته، أو أنها داعية إلى إبعاده عن الكعبة بحذاء مكانه الحالى فى صحن المطاف قرب المسعى.

وحيث إن فى تقـديمه إلى مكانه السابق قرب الكعبـة خشـية الزحام عنـده فإبعاده أولى؛ إذ المترجّح أن المقصود بالمقام هو الحجر لا المكان المعيّن، والحجر يمكن نقله إلى مكان يحقق المصلحة للعامة، والتيسير على المسلمين ...

فمن المناسب أن يُعرض على كبار العلماء موضوع تحريك المقام من مكانه الحالى الذى يعرقل حركة سير الطائفين فى مواسم العمرة والحـج، إلى مكـانه السابق فى عهـد النبىّ صـلى الله عليه و آله وزمان خليفته أبى بكر، أو نقله إلى آخر صـحن المطاف بحـذاء مكانه الحالى.

هذا ما قاله واقترحه وعرضه ودعا إليه السماوى إبراهيم بشأن مكان مقام إبراهيم عليه السلام، من خلال مقال فى المجلة.

وقد روى الكلينى فى «روضة الكافى» خطبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قال فيها:

قد عملت الولاة قبلى أعمالًا خالفوا فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله متعمّدين لخلافه،

۱- ۱ مقام إبراهيم للكردى: ۱۱۳.

ص: ۲۰۳

ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته. ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى موضعها وإلى ما كانت عليه على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لتفرّق عنّى جُندى حتى أبقى وحدى!

ثمّ قال كمثال: أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذى وضعه فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ... إذاً لتفرّقوا عنّى (۱).

ويظهر من هذا الخبر أنه عليه السلام كان يرى ما عمله الوالى قبله فى ولايته من نقل المقام من مكانه بجوار البيت إلى حيث هو اليوم، عملًا خالف فيه رسولَ اللَّه متعمداً خلافه ناقضاً لعهده مغيّراً لسنّته! وإنما منعه عليه السلام أن يحوّل المقام مثلًا إلى موضعه الذى وضعه فيه رسولُ اللَّه صلى الله عليه و آله كما كانت على عهده، إنما منعه عن ذلك خشيته أن يتفرّق عنه جنده حتى يبقى وحده بلا ناصر ولا معين على أمر الدين، كما حكى اللَّه تعالى عن لسان هارون اعتذاراً لأخيه موسى عليهما السلام بعد عودته من ميقات ربّه:

... إنى خشيتُ أن تقول فرّقتَ بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى (۲).

وعليه، فلا مانع من تحويل المقام إلى موضعه الذى وضعه فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كما كانت على عهده، ويُعمل من الأمر باتخاذه مصلّى على ما قال صلى الله عليه و آله: «إذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم» وكما قال تعالى: لا يكلف اللَّه نفساً إلّاوسُعها (۳) و إلّا ما آتاها (۴).

الهوامش:

لقاء وحوار

۱- ۱ روضة الكافى: ۵۱ ط. النجف الأشرف.

۲- ۲ طه: ۹۴.

۳- ۳ البقرة: ۲۸۶.

۴- ۴ الطلاق: ۷.

ص: ۲۰۴

ص: ۲۰۵

ص: ۲۰۶

ص: ۲۰۷

لقاء وحوار

على هـامش مؤتمر أهل البيت عليهم السـلام المنعقـد فى طهران بتاريـخ ۵/ شوال/ ۱۴۱۸، أجرى محسن الأسـدى عضو الهيئـة العلمية لتحرير مجلة ميقات الحج لقاءات مع بعض ضيوف المؤتمر حول الحجّ وما يتعلّق به.

إدارة التحرير

سماحة السيد محمد باقر الحكيم

* كيف يمكننا التعرّف على نظرة أهل البيت عليهم السلام لفريضة الحج ولكيفية أدائها، وما هى وصاياهم فى خصوص ذلك؟

يمكن أن نفهم بصورة إجمالية نظرة أهل البيت عليهم السـلام إلى فريضة الحج وكيفية أدائها من خلال تصويرهم لطبيعة هذه الفريضة وأهدافها وأغراضها العامة، وذلك من خلال النقاط التالية:

الأولى: إن الحـج هو عبارة عن وفادة على اللَّه تعالى وقصـد وزيارة له من خلال زيارة بيته المحرم، وتلبيـة لنداء اللَّه تعالى الذى أطلقه إبراهيم عليه السلام

ص: ۲۰۸

كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فج عميق، ولذا كان أول عمل يؤديه الحاج هو التلبية التى ينعقد بها إحرامه.

وبهـذا يمكن أن نفهم الحـج بأنه ركن من أركان تكامل الإنسان فى مسيرته إلى اللَّه تعالى وقصده إليه، ويتحقق ذلك كما ذكر أهل البيت عليهم السلام من خلال «استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات والملذات». وفى التذلل للَّه‌تعالى والتواضع لعباده وإذلال الجبابرة والطغاة، ومعرفة الإنسان لحاله وهويته عندما يخرج من كلّ مظاهر الدنيا وزينتها ويقف إلى صف سائر بنى البشـر على صعيد واحد.

الثانية: الطريق إلى الغفران والخروج من كلّ ما اقترف من الذنوب، والتوبة إلى اللَّه تعالى والإنابة، حيث يرجع بعد الحج وقد غفرت له ذنوبه فأصـبح كيوم ولدته أمّه، فيكون أمامه استئناف العمل الجديد والبدء بصـفحة جديدة من حياته يسـتفيد فيها من التجارب السابقة ومن الرؤية الواضحة ومن الإرادة والعزم الجديد.

فقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«حقّ الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذى أوجبه اللَّه عليك».

وقـال الإمـام الرضا عليه السـلام: «علـة الحـجّ الوفادة إلى اللَّه تعالى وطلب الزيادة، والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً مما مضـى مستأنفاً لما يستقبل».

الثالثـة: اختبار الإنسان فى طاعته للَّه تعالى ووفائه بعهـده وميثاقه، وقـد وصف ذلك الإمام على عليه السـلام هـذا الجانب فى خطبـة له، حيث قال عليه السلام- على ما ورد-: «ألا ترون أن اللَّه سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات اللَّه عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجـار لا ـ تضـر ولا تنفع ولا تبصـر ولا تسـمع، فجعلها بيته الحرام الـذى جعله للناس قياماً، ثم وضـعه بأوعر بقاع الأرض...- إلى آخر الوصف للبيت والظروف القاسية المحيطة به، وكذلك الحال الذى يكون عليه الحاج من التذلل ونزع الثياب والزينة...- ابتلاءً

ص: ۲۰۹

عظیماً، وامتحاناً شدیداً، واختباراً مبیناً، وتمحیصاً بلیغاً، جعله اللَّه سبباً لرحمته، ووصلة إلی جنته...».

الرابعة: ما یحققه الحجّ من منافع للناس کما ذکر القرآن الکریم لیشهدوا منافع لهم.

وقد ذکر أهل البیت علیهم السلام منافع عدیدة للناس:

۱- التعارف والتآلف والمحبة والمودة والمشارکة فی الهموم والتصورات، فهو یمثل وحدتهم وقوتهم واصطفافهم أمام عدوهم، والنصرة لأولیائهم من المؤمنین والمسلمین، والبراءة من أعدائهم المشرکین والمنافقین.

۲- ابتغاءالفضل من اللَّه تعالی فی تبادل التجارات والبیع والشراء، وقد أشار القرآن الکریم إلی ذلک أیضاً فی قوله تعالی لیس علیکم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربّکم، حیث فُسِرَ الفضل هنا بالرزق الذی یأتی عن طریق التجارة.

۳- المنافع التی یحصل علیها الفقراء والعمال وأهل المکاسب من خلال هذه العبادة، فالأضاحی والنقل والکسب وغیرها من الأعمال والنشاطات الاقتصادیة کلها منافع للناس.

فقد سأل هشام بن الحکم الإمام الصادق علیه السلام عن علة الحجّ علیه السلام:- علی ما روی عنه- «... وأمرهم ونهاهم ما یکون من أمر الطاعة فی الدین ومصلحتهم من أمر دنیاهم، فجعل فیه الاجتماع من المشرق والمغرب؛ لیتعارفوا ولیتربح کلّ قوم من التجارات من بلد إلی بلد، ولینتفع بذلک المکاری والجمال».

ولابد من الالتفات هنا إلی أن هذه المنافع إنما هی فی حاشیة الحج ولا یصح للحاج أن یکون قصده من الحج التجارة والتکسب، بل یجوز له ذلک عندما یقصد اللَّه تعالی ویعمل بطاعته.

الخامسة: التعرف علی آثار رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ومواطن ذکریات الإسلام الأولی من نزول الوحی ومشاهد الجهاد فی سبیل اللَّه، والأعمال العظیمة ومواقع الحوادث التی ذکرها القرآن الکریم وقارنت سیرة الرسول صلی الله علیه و آله وتلاوته لآیات اللَّه وإبلاغها، وتزکیته للأمة وتعلیمهم

ص: ٢١٠

للكتاب والحكمة، لتكون دواعى التأسى والاقتداء به أعظم وأبلغ.

ولـذلك جعـل الإمـام الصـادق عليه السـلام هـذا الفرض من علل الحـج «ولتعرف آثار رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى».

ولا زال المسـلمون يتطلعون إلى هـذه الذكريات والمواقع عندما يقرأون القرآن، ويتحدثون بسـيرة النبى صـلى الله عليه و آله وأعماله، ويفتشون عن غار حراء وثور ودار الأرقم ومواقع شـجرة الرضوان وبـدر وأُحـد والخندق، وأسـطوانة التوبة ومسـجد قبا ومحراب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وغيرها من المواضع.

ويشـعر الإنسان بالحزن والأسـى- بل المقت أحياناً- عنـدما يجد هذا الإهمال أو الإعفاء لهذه الآثار والمواقع تحت دعاوى واجتهادات خاصة، ونظرة ضيقة متحجرة ما أنزل اللّه بها من سلطان ولا دلّ عليها دليل أو برهان.

السادسة: التفقه فى الدين والاستزادة من المعرفة من خلال نقل الأخبار والأحاديث، والاطلاع على العلم والأحكام الشرعية؛ حيث كان أصـحاب الأئمة فى عصورهم يبذلون جهوداً كبيرة فى الحج من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم الدينية، وكذلك لابدّ للمؤمنين من أن يبـذلوا جهوداً كبيرة؛ للحصول على هـذه العلوم من خلاـل لقاء العلماء والمجتهـدين أهل المعرفـة والثقافـة الإسـلامية الأصـلية حيث تكون فرصـة الحـج فرصـة ثمينة وغالية، لا سـيما لأهل البلاد النائية أو التى يقل وجود العلماء أو يصـعب الوصول إليهم فيها.

وقـد طبق أهل البيت عليهم السـلام آيـة النفر فى أحـد مصاديقها على الحجّ، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السـلام فى بيان علل الحج قوله: «مع مـا فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمـة عليهم السـلام إلى كلّ صـقع وناحيـة، كما قال اللّه عزّوجلّ فلولا نفر من كلّ فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وكما قال وليشهدوا منافع لهم» فجعل ذلك من المنافع أيضاً.

وقد كان أهل بعض البلاد الإسلامية (مثل جزيرة جاوه) يعدّون الحاج إلى

ص: ۲۱۱

بيت اللَّه عزّوجلّ من أهل العلم بعد أدائه للحج لما يمثل الحج ولأهمية هذه الفريضة.

السابعة: لقاء الإمام وولاة الأمر الشرعيين أو نوابهم وتجديد العهد والميثاق معهم، والتعبير عن البيعة والولاء والارتباط بهم، وقد ورد الأمر بزيارة النبى صلى الله عليه و آله والأئمة فى البقيع باعتبار أن ذلك من كمال الحج وتمامه، كما أن لقاء الإمام والارتباط به وبالقيادة الدينية السياسية النائبة هو من تمام الحج وكماله.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام «تمام الحج لقاء الإمام».

وقد ورد عن الإمام على عليه السلام «أتموا برسول اللَّه حجّكم إذا خرجتم إلى بيت اللَّه فإن تركه جفاء، وبذلك أمر تم، وأتموا بالقبور التى ألزمكم اللَّه عزّوجلّ حقّها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها».

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم».

إن هذه النقاط التى تتحدث عن أهداف الحجّ توضح الطريق فى أداء هذه الفريضة، والوصايا التى لابدّ للإنسان أن يلتزم بها فى هذا الأداء.

* إنشاء الأبنية السكنية وغيرها فى منى وعرفة... أمر قد تكون له أهميته، فهل هناك مانع عنه من الناحية الشرعية؟ نأمل الحصول على توضيح من سماحتكم.

لا يوجد فى الأساس مانع شرعى من إنشاء الأبنية فى هذه الأماكن من المشاعر المقدسة (عرفات والمشعر الحرام ومنى) ولكن لابدّ من أن يؤخذ بنظر الاعتبار فى إنشاء هذه الأبنية الأمور التالية التى تكوّن الصورة النظرية حول هذا الموضوع وهو ما يشخصه ولى أمر المسلمين فيها:

الأول: أن لا- يؤدى بناء هذه الأماكن إلى تعطيل طبيعة هذه الأماكن فى كونها مشاعر أعدها اللَّه تعالى لأداء فريضة الحج لكل المسلمين، أو إلى تغيير هويتها، أو عرقلة أداء المسلمين للواجبات المذكورة.

الثانى: أن يكون الهدف من هذه

ص: ۲۱۲

الأبنيـة هو تحقيق الأمن والسـلامة، وتسـهيل أداء هـذه الشـعائر لعامة الحجاج فإن ذلک من أهم الواجبات، التی يتحمل مسؤوليتها ولاة أمرها والمسؤولون عن إدارتها.

الثالث: توفير الحـد المعقول من الراحة والاسـتقرار للحجاج بحيث لا يتحول الحجّ- الذی بنی علی شـیء من النصب والتعب والمشـقة والتذلل للّه تعالی والتعارف بين المسلمين علی صعيد واحد- إلی عمل يشبه الأعمال السياحية وأسفار الراحة والدعة والأنس.

وبتعبير آخر أن لا يؤدی ذلک إلی تعطيل أهداف الحج وأغراضه الإسـلامية المسـتنبطة من الکتاب الکريم والسـنة الشريفة، التی أشرنا إليها؛ لأن الحجّ من الأرکان التی بنی عليها الإسلام، وله أغراض واضحة لابدّ من المحافظة عليها فی جميع مراحل أعماله ومناسکه.

* تتردّد هـذه الأيـام دعوات عبر بعض المجلات حول تغيير مقام إبراهيم عليه السـلام ونقله إما خارج المطاف منعاً للزحام وإما إلصاقه حيث موضعه السابق عند جدار الکعبة، فما هو رأی سماحتکم فی ذلک؟

هـذا الموضوع من القضايا التی طرحت مرات عديـدة للبحث والنظر، ومنها البحث الـذی تناوله المؤتمر الإسـلامی المنعقـد بمکة سـنة ۱۳۸۵ للهجرة، وقـد کنت مشارکـاً فی ذلک البحث، وکان الرأی السائـد فی المؤتمر حينـذاک هو إبقاء مقام إبراهيم فی مکانه، ورفع البناء الذی کان قد أقيم عليه تسهيلًا للطواف، ولا زلت أعتقد أن هذا هو الرأی الصحيح فی معالجة هذا الموضوع؛ لأنه:

أولًا: إن وجود المقام فی وضـعه الفعلی لا يولِّد مشـکلة للطائفين تتجاوز المشاکل التی يواجهها الحاج عادة فی عمل الحـج، الذی بُنی بالأساس علی الکثير من المشـقة والتعب إنی أسکنت من ذريتی بواد غير ذی زرع عند بيتک المحرم، وهذا الادعاء هو الذی يتذرع به القائلون بنقله.

ثانياً: إن نقل المقام إلی أی مکان فی

ص: ۲۱۳

المسجد الحرام الأصلى سوف يكون سبباً للمشكلة ذاتها فى أيام الحج وغيرها من مواسم الازدحام إن لم تكن المشكلة عندئذٍ أعظم، ما لم يتم نقله إلى خارج المطاف، وبذلك يكون إلغاءً لدور المقام الذى أكده القرآن الكريم بالصلاة عنده كجزءٍ من شعائر الحج.

ثالثاً: إن التصرف بمثل هذه الأمور، التى كان لها هذا القدر من الثبات والأصالة فى تاريخنا يفتح الباب واسعاً أمام الاجتهادات والوقوع فى تجاوزات خطيرة لا يعلم مداها إلّااللّه تعالى.

رابعاً: إن هذا العمل يؤدى إلى وقوع الاختلاف بين المسلمين، وقد وضع اللّه تعالى الحجّ من أجل أن يكون تجسيداً ومظهراً لوحدة المسلمين وتعاونهم، وقد كان من نعم اللّه العظيمة على المسلمين أن كانت شعائر الحج ومناسكه ومواضعه مما اتفق المسلمون على أركانه وأعماله العامة؛ لوجود النصوص المشتركة المتفق بينهم عليها ومنها الرواية التى يرويها الإمام الباقر عن جابر بن عبداللّه الأنصارى فى حجّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله والتى يرويها الفريقان.

خامساً: إن وجود هذا المقام فى هذا المحل شىء تلقيناه بالضرورة من عهد الصحابة بلا شك فهو أمر شرعى لا شك فيه ولا شبهة، وما يذكر من حديث نقله إنما هو رواية لا ترقى إلى درجة الاطمئنان فضلًا عن القطع واليقين، فلا يصح الركون إليها فى مثل هذه الأمور الخطيرة.

وإذا كان النقل قد وقع حقيقة فهذا يعنى أنه أمر قد عرفه الصحابة من أيام رسول اللّه وأخذوا جوازه منه، وإلّا لاختلفوا فيه إذا كان لمجرد الاجتهاد كما نراه فى الأمور الأخرى الاجتهادية التى حدثت بعد رسول اللّه، فلا يصح النقل الآن لمجرد الاجتهاد.

الدكتور أحمد عبدالمجيد حمود- استراليا

الدكتور عضو المجمع العالمى لأهل البيت وله مؤلفات عديدة منها:

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام رجل العلم والسياسة.

- دراسة حول مشايخ الكلينى فى كتاب الكافى.

ص: ۲۱۴

- موقع النساء فی الإسلام- باللغة الانکلیزیة-.

- نأمل أن یصدر له قریباً کتاب «الطاعة والثورة فی فکر الإمام الحسین السیاسی».

* ما هی نسبة المسلمین بالنسبة إلی مجموع سکان بلادکم؟ وما هی المقاطعات التی یتواجدون فیها؟ وهل هناک مؤسسات أو جمعیات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قیمهم وآدابهم؟

وما هی تلک الأنشطة التی تتحرک فیها مثل تلک المؤسسات أو الجمعیات؟

إن المسلمین فی استرالیا- لمن دواعی الفخر- جیدون فی تنظیمهم وعملهم، وهم منتشرون فی أرجاء القارة الإسترالیة، لقد بنوا المساجد، حتی بلغ عدد المساجد فی استرالیا الیوم أکثر من مائة مسجد، وقد بدأوا فی إنشاء المدارس، ویعدّ الدین الإسلامی ثانی أکبر دین فی استرالیا، والمسلمون محترمون فی الدولة، ولهم علاقات جیدة فی جمیع ولایات استرالیا، ویتحرکون بحریة من خلال مؤسساتهم، وجمعیاتهم ومراکزهم، ویقیمون صلاة الجمعة، والأعیاد، فی مسجد أمیر المؤمنین الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام فی مدینة سیدنی لإخواننا أهل السنة، فتضم صلاة الجمعة الآلاف من المصلین فی مسجد الإمام. أمّا فی صلاة العیدین فیبلغ عدد المصلین أکثر من ثلاثین ألف مصلٍ ومصلیة. وکذلک تقام صلاة الجمعة فی مرکز الزهراء الإسلامی فی مسجد السیدة فاطمة الزهراء علیها السلام وفی باقی المساجد فی جمیع القارة الإسترالیة، وهم فی حالة نمو وتطور، وظهر فی مدینة سیدنی حدیثاً مرکز أهل البیت الإسلامی الإسترالی، ومرکز الإمام الحسین علیه السلام. ویدرّسون الإسلام فی المدارس الحکومیة، ویعمل المسلمون الآن علی شراء إذاعة لتبث ۲۴ ساعة الثقافة الإسلامیة.

* کلنا یعرف أن للحج آثاراً تربویة ومعنویة، فلو تفضلتم علینا بذکر بعض هذه الآثار.

إن من أهم هذه الآثار التربویة والمعنویة أنک تعیش مع رحاب اللّه، وتذکرنا فی یوم اللقاء مع اللّه، وتثبت فی النفس روح الإیمان، وتدلنا علی

ص: ۲۱۵

طريق اللَّه، وعلى آيـات اللَّه فى خلقه على اختلاـف ألسـنتهم وألوانهم، ويوضّـح لنا الحـج قوة المسـلمين من خلال اجتماعهم فى هـذا المكان، والمساواة بينهم، وتقوى عرى الإسلام.

* نحن نعرف أن للحـج دوراً عظيماً فى تقريب أبناء المـذاهب الإسـلامية بعضـهم من بعض، وبالتالى له الـدور العظيم أيضاً فى وحدة المسلمين، فهلا تفضل الدكتور العزيز بالحديث عن ذلك الدور؟

إنّ الحـج هو مؤتمر اللَّه الأكبر فى الأرض- أنا لا أفهم كيف يتفرق المسـلمون وكلهم ينادون لا إله إلّااللَّه محمـد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله أنا لا أفهم كيف يتفرق المسلمون وهم جميعاً يصرخون، لبيك اللهم لبيك...

لقـد أعلنهـا رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله صـرخة مدوّيـة إلى يـوم الـدين: «من تعصّب ليس منّـا» فهـذا أخطر إنـذار لكـلّ مَن يفرّق المسـلمين، وأكبر عامل لتوحيـد كلمـة المسـلمين- فعلى العلماء الأعلام والمفكرين الإسـلاميين، وأعنى بهؤلاء العلماء والمفكرين من كلّ مذهب، هؤلاء الذين سما بهم الفكر إلى أن يسبحوا فى بحار العلم والمعرفة، وارتقى بهم القلم والفكر إلى السماء العلى عليهم أن يجعلوا من الحـج أكبر مناسـبة لهم لتوحيـد كلمـة المسـلمين، والـذى يخرج عن دائرة الوحـدة فهو جاهـل. فعلى أى أسـاسٍ لاـ تتوحد المذاهب؟ ولماذا لا تتوحد؟

فهـل اللَّه دعـا إلى الفرقـة، أم إلى الوحـدة؟ وهل دعا اللَّه إلى رصّ الصـفوف وجعلها كالبنيان المرصوص أم إلى التجزئـة؟! فعلى ماذا الإختلاف؟

وهل اللَّه إلّاواحد يحب الوحدة؟

* الـذى أعتقـده أن أصـحاب المـذاهب الإسـلامية وتابعيها لهم كامل الحق والحريـة فى أداء مناسك الحجّ والزيارة على ضوء ما تراه مذاهبهم، وليس لمذهب أن يكره الآخرين على اتباع آرائه، فما هو رأيكم فى ذلك؟

إذا كـان اللَّه عزّوجـلّ لم يكره أحـداً على عبـادته، فكيف يمكن لـك أن تكرهنى على مـا لاـ أحب أو أكرهـك على ما لا تحب. إن الحرية فى المعتقد هى جزء من حرية الإنسان، ومناسك

ص: ۲۱۶

الحج هی مناسک اللّه، ومناسک الحج مشرعهٔ من اللّه. وهی ممّا أنعمه اللّه علینا. فالمناسک واحدهٔ، والنعمهٔ من اللّه لکلّ المسلمین واحدهٔ فعلام الإکراه؟

* کما تعلمون أن هناک اختلافات فی آراء الفقهاء حول مسائل الحج، فما هی الطرق الکفیلهٔ لحلّها؟

أنا أومن بالحوار، وبالفکر، فإنّ کلّ ما فی الکون له حلّ فی الإسلام؟

فعلی الفقهاء أن یدعو إلی مؤتمر یتبادلون فیه وجهات النظر حول هذه الآراء ویوفقون بإذن اللّه إلی حلّها.

* کلّ مثقف یعرف ما للآثار الإسلامیهٔ فی مکّهٔ والمدینهٔ من أهمیهٔ تستدعی حفظها والعنایهٔ بها، فهل تفضل الاستاذ الکریم بإفادتنا حول ذلک؟!

إن الآثار الإسلامیهٔ فی مکّهٔ والمدینهٔ بل فی أی موقع فی الأرض لها آثارها الروحیهٔ علی المسلمین؛ لأنها بمثابهٔ الدروس والعبر للمسلم. إن کلّ الدول المتحضرهٔ تحافظ علی آثارها؛ لأنها جزء من حضارتها. ونحن المسلمین حضارتنا قد أثرت حضارات البشریهٔ جمعاء، فنحن أولی من کلّ حضارهٔ بحفظ آثارنا الإسلامیهٔ والعنایهٔ بها؛ لأنها أحد المصادر الإسلامیهٔ، التی یأخذ منها المسلمون ویعتمدون علیها فی حفظ تراثهم.

* حریق منی الذی لم یکن هو الأول وقد لا یکون الأخیر- معاذ اللّه- ما هو رأیکم فی الطرق الکفیلهٔ للحیلولهٔ دون تکراره مستقبلًا؟

أن یجتمع أهل الخبرهٔ من مخططی المدن، والمهندسین، من أهل الخبرهٔ فی التخطیط، وتقدیم الهندسهٔ اللازمهٔ فی ضرب الخیام وتوزیعها بشکل إذا شب الحریق لا سمح اللّه، أن لا یمتد الحریق إلی أماکن أخری.

وعلی الحاج أن یکون واعیاً وحذراً فی منی؛ لأن المؤمن حذر. ونسأل اللّه عزّوجلّ أن یدفع المکروه عن حجاج بیت اللّه الحرام، وأن یعیدهم إلی أهلهم سالمین غانمین بحجٍ مبرور و سعیٍ مشکور.

* ما هی وصایاکم لزائری بیت اللّه الحرام؟

أول وصیهٔ هی: فهم معانی الحج، وما هی أبعاد مضامین الحج؛ لأن

ص: ۲۱۷

الحج هو جامع لكلّ معانی الحیاة، لأن الحاج إذا فهم أبعاد فلسفة الحج فإنه یشعر بالسعادة، وبأنه أدّی هذه الفریضة كما أمره اللَّه.

والوصیة الثانیة: أن یتحلی الحاج بالأخلاق العظیمة، وأن لا ینسی جاره وأصدقاءه واخوانه سواءً أكان ذلك فی سیره أو فی ركوبه أو فی صلاته.

والوصیة الثالثة: أن یدعو اللَّه أن یتقبل من حجاج بیت اللَّه، وأن یدعو للمسلمین حاضرهم وغائبهم، وأن یدعو اللَّه لیوحد الأمة الإسلامیة، وینشر دینه فی مشارق الأرض ومغاربها.

الدكتور الدمرداش العقالی- مصر

* آیات الحج فی القرآن الكریم متعدّدة، ما نتمناه من الدكتور- بعد شكرنا- هو أن یوجز لنا حدیثاً عن بعضها. وعن الحج باعتباره العروة الوثقی الموصلة بین المسلمین والرابطة لهم ببیت ربّ العالمین والمظهرة لجامعتهم والمؤكدة لبراءتهم من أعدائهم.

إن فریضة الحج ویأتی ترتیبها فی سیاق آیات سورة البقرة بعد الصلاة والصیام والحج إشارة إلی أنها یكتمل بها الدین، ویعزّ بها الیقین، ولذلك فإن اللَّه تعالی أحاطها بمقدمات قلیل من تفطن إلیها، هذه المقدمات أن اللَّه تعالی جعل الحج أشهراً معلومات فقال عزّ شأنه الحجّ أشهر معلومات فمن فرض فیهن الحج المقدمة الأولی هی التهیّؤ للحج بدءاً من أشهر الحج التی تبدأ بعد رمضان مباشرة وهذا التهیؤ ینطوی علی قوله تعالی فمن فرض فیهن الحج أی فمن فرض علی نفسه، وشُرف الإنسان فی هذا المقام بأن جعله یفرض علی نفسه مع أن الفارض الحاكم هو اللَّه عز وجل فمن فرض فیهن الحج أی من ألزم نفسه بأن یؤدی فریضة الحج فلیبدأ بالتأدب بالأدب الإلهی فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج هذه الفریضة التی جعلها اللَّه عزّوجلّ علامة أمان لمن أدّاها بقوله تعالی وصفاً للبیت العتیق إن اول بیت وضع للناس للذی

ص: ٢١٨

ببكة مباركاً وهدًى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً.

ثمّ بعد أن كتب الأمن للحاج الذى سعى متطوعاً راغباً حذّر من التفريط فى الفريضة فبين أنها فريضة تطلب من الناس بالحب فمن فرض فيهن الحج أى فمن رغب وفرض على نفسه، لكنها فى الحقيقة فريضة ينقص الدين وينقض بغيرها بقوله تعالى ولِلّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإن اللّه غنى عن العالمين فجعل البديل عن عدم الحج للقادر هو الاتصاف بالكفر، ومن هنا فتارك الحج عمداً كافر بإجماع الأمة على اختلاف مذاهبها، ولعل هذا من الأحكام الجليلة التى تتفق فيها أوجه نظر المذاهب العامة ومذهب أهل البيت صلوات اللّه عليهم وهو اعتبار الحج فريضة وأن عدم أدائها مع القدرة كفر.

* الدكتور: هل لكم أن تحدثونا عن مسألة تترتب عليها أمور مهمة وهى كون فريظة الحج عند الإمامية على الفور لا التراخى الذى تأخذ به المذاهب الأخرى؟

إنّ مذهب أهل البيت يتميز فى خصوص الحج بميزة دقيقة ذلك لأن تعريف الحج عند أهل السنة أنه فريضة على التراخى بما أن الإنسان مخولٌ أن يسوف فيه ويؤديه قبل موته وعند الإمامية فإن الحج فريضة على الفور ويأثم من يؤخره بغير عذر قهرى، معنى فريضة على الفور أن يحجّ الناس شباباً.

ومعنى فريضة على التراخى ان يحج الناس عجائز، ولذلك تجد هذا المعلم لو تفحصت فى وجوه الحجيج من البلاد الاسلامية غير الشيعة تجد الحجيج من العجائز والمسنين وقلّ أن تجد فيهم شاباً جلداً، ولكنك إذا تفحصت وجوه الحجيج من الجمهورية الإسلامية- وهذه ملاحظة كانت تستوقفنى، وقد أكرمنى اللّه تعالى بالحج أكثر من عشر مرات- فكان ممّا يستوقفنى أن أرى شباباً فى مقتبل العمر يحج، ولقد قادنى هذا إلى أن أرجع الى فريضة الحج عند الشيعة الامامية فوقفت على هذا الحكم أن الحج فريضة

ص: ۲۱۹

على الفور، وكنت وقتها عند هذا التأمل لم أكن قد تشيعت بعد، كانت هذه خطوة فى طريق التشيع عبر هذه التأملات- ومن التأملات التى يثيرها افتراض الحج على الفور وانطلاق الشباب لأداء الفريضة أن يعلمهم التنشئة على طاعة اللَّه تعالى فيبدأ عمره بمعاهدة مع اللَّه عند بيت اللَّه ويقوم وفقاً لهذه المعاهدة فى اصلاح نفسه وتقويم سلوكه على مقتضى منهج اللَّه ما يشرح صدره ويثبت يقينه. ثم إن كون وفود الحجيج تنطوى على الشباب مع الشيوخ مع اجتماع الاجيال فى الحج يهيىء الفرصة لتعلم الجيل القادم من الجيل الذى يتهيىء للرحيل ويعين على كثرة التعارف بين وفود الحجيج من البلاد المختلفة.

* فريضة الحج طريق واسع للتعارف بين المسلمين، فهل لاحظتم هذا فى حجّكم وقد وفقتم له مرّات متعدّدة؟

استطيع أن أقول: إن ها هنا وقفة هامّة بأنه مما يؤسف له أن الحج الذى شرع لتوثيق روابط المسلمين وجمعهم على كلمة سواء وتعارف بعضهم ببعض أصبح يبدأ وينفض، وكلّ فريق بمعزل عن الفريق الآخر، فنجد الحجاج الايرانيين وحدهم والمصريين وحدهم والترك وحدهم والحجازيين وحدهم..

ولابدّ من أن تضع الأمة الإسلامية برنامجاً للحجيج يتيح لكلّ هذه الوفود أن تلتقى وأن تتعارف فى أقدس مكان يتم فيه التعارف، والحقّ أن المسلمين لو نهضوا بأداء الحج وأعانوا بعضهم بعضاً على أدائه بمعنى أن يتاح لكلّ مسلم أن يحج حجة الإسلام على الأقل فمعنى ذلك أن الحج لن يقل عدده فى كلّ عام عن (۱۰) ملايين؛ لأننا ألف مليون مسلم لو قسمتهم على أن يحجوا على خمسين سنة فيطلع عشرون مليون حاج، وخمسون سنة هى عمر جيل وتصور يا أخى لو يتم التعارفِ بين هؤلاء الحجيج وهو بهذه الكثرة كم ستكون آثاره الطيبة على بلادنا الإسلامية. فعلى الأمة الإسلامية أن تتواص بتيسير الحج وتسهيله لكى تخرج من عهدة اللَّه الذى أمرها بإحياء هذه الفريضة، وحذر من النكوص

ص: ٢٢٠

عنها، ثم على المجتمعات الإسلامية والدول الاسلامية أن تهيىء حجاجها لأداء الفريضة وبتعريفهم المناسک قبل الوصول الى البيت الحرام؛ لأنه مما يؤسف له أن يفد الوافد وهو لا يدرى شيئاً عن المناسک فيتخبط وقد يؤخر ويقدم ويخل بالترتيب ويلحق حجه الإحباط، فلابد من أن يحج وهو على معرفةٍ بمناسكه وبمن حوله، وأتطلع الى اليوم الذى تصبح فيه المشاعر المقدسة وعلى الأخص الصفا والمروة والمزدلفة ومنى أن تصبح أماكنها أماكن خاصة بالحج؛ لكى يتسع المجال لقضاء الليل فى المزدلفة بنظام وعبادة وراحة لمن يستريح؛ لأن الذى عايش أماكن الحجيج يجد أنها تضيق بالكثرة نتيجة استيلاء القلة على مساحات هائلة من هذه الأراضى الكبيرة، التى هى وقف لكلّ الحجاج.

* إنشاء الأبنية السكنية فى منى وحتى فى المزدلفة وعرفات قد يكون أمراً يتطلبه أمن الحجاج وسلامتهم، فما هو رأيكم بذلك؟

هذا ما عرضت له فى أن منى هى وقف على المسلمين جميعاً والمزدلفة وعرفات... وينبغى أن لا يبنى فيها إلّا ما هو لازم لسلامة الحجيج كأن يبنى مستشفى ولا يبنى سكنٌ دائم للحجيج، بناء المساكن هذا غير صحيح. فالإقامة فى المزدلفة قليلة وليس الأمر كذلك فى منى، ومع هذا لا يصح البناء فى منى، فمنى لابدّ من أن يدخل فيها الإحساس بهوان الدّنيا، وأنها لا تستحق خيمة تعيش فيها ليالٍ ثلاثة، وأنت قادم من عرفات قادم من البعث قادم من النشور قادم إلى منى فهى مرحلة الاصلُ فيها انقطاع صلتها بالدنيا، والمبانى تثبت الصلة بالدنيا وتطفئ وهج وضوء ونور البساطة، يا سلام لمّا يشعر الحاج أن الدنيا عمرها لا يساوى الخيمة التى نصبت لتعود فتهدم بعد انقضاء أيامنا الثلاثة، والذى يلقى نظره على منى بعد أن ينصرف الحجيج منها يجدها بلقعاً ليس فيها شيء.

* لا شک فى أن ذاكرة استاذنا الدكتور قد أحتفظت بأمور وملاحظات، فهل هناک أمر استوقفكم؟

ومن الملاحظات التى بدت لى فى

ص: ۲۲۱

عـدة سـنوات من الحـج وخصوصاً فى أيام الصـيف وقـد أثارت عجبى، فهى عنـدما يأتى الحـج فى الصـيف وبعد الذبح وانقضاء أيام التشـريق، والـذى يبقى فى منى بعـد يوم الرابع عشـر من ذى الحجـة يلاحظ أن أمطاراً غزيرة تهطل فى منى، أمطاراً غزيرة جـداً تغسـل الأرض غسلًا وسيولًا تدفع بالجيف والحاجات المتبقية وبالتالى تغسل هذه الأرض غسلًا عجيباً.

فقد حججت أكثر من عشـر مرات ولاحظت هذه الملاحظة فى حج الصـيف بالذات حيث إن الروائح والبقايا سـريعة التلف تنتهى بعد أن تمطر فى منى فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر من ذى الحجة نعم لا يأتى الخامس عشر إلّاومنى ممطرة مطراً شديداً.

وهذا من تطهير اللَّه عزّوجلّ لأن اللَّه يقول، ما معناه تطهرتم من ذنوبكم وأنا اطهر الأرض..

* على ذكر الاضاحى، الرأى الفقهى عنـد كثير من الإماميـة أن هـذه الاضاحى يمكن الاسـتفادة منها بتعليبها بشـكل مناسب وبشـروط معينة ثم توزع بلا ثمن على ذوى الحاجة والفقراء وخاصة فقراء بعض الدول الاسلامية كأفريقيا ومناطق أخرى من العالم.

يا أخى الحبيب لو عدت الى ما قدمت له من أن المسـلمين لو صدعوا بأمر اللَّه فى تيسير فريضة الحج لكلّ مسلم لكان عندنا حجيج لا يقل عن (۱۰) ملايين من ألف مليون. هـذا الحجيج سـيكون أغلبهم- لو تم التيسـير- من الفقراء العاجزين عن الذبح أو تقديم الهدى، هذا العدد لو احتشد لأكل ما يذبح الاغنياء، وعندئذٍ يتم التكامل فى الفريضة.

إنما الكارثة هنا أن الذى يحج هو القادر، فالذبح أكثر من اسـتهلاك الحجيج جميعاً، إنما المفروض أن يحج القادر بأسـبابه الشخصية وغير القـادر بمعونـة المسـلمين له؛ لأنهـا فريضـة خطيرة ومهمـة وما أعجب التعبير القرآنى وللَّه على الناس حـج البيت من اسـتطاع إليه سبيلا. ولم يقل الغنى أو الموسر، فقد يوجد السبيل من غير مالٍ بأن تعمل جمعيات للحج من أصحاب

ص: ٢٢٢

الاخماس والنذور وأشكال كثيرة أخرى على توفير الاستطاعة لمن لم يكن قادراً عليها.

ثم لو أن المسلمين قد تواصوا بأداء الفريضة وأصبح الفقير يعتقد أن له نصيباً لازداد حباً للغنى وتقديراً له، وإنك إذا دخلت قرية من قرى أهل السنة- أنا لا أعرف الوضع فى ايران- فستجد أنه لا يحجّ فى قرى أهل السنة إلّاالأغنياء، فتكون نظرات الفقراء إليهم كأنها نظرات مجتمع منفصل عن أهل هذه القرية، وكأن الأمر يصدق عليه أنه لكم دين يا أصحاب القدرة ونحن المساكين الذين لا نقدر على الحج لنا دينٌ آخر. وكأن الحج للأغنياء.

ولهذا أنا فى خطبة يوم الجمعة فى قريتى وكانت فى شهر رمضان وكان بعض الاغنياء يتجهزون للحج، والعادات فى الصعيد أن المتجهز يجلس فى بيته يوم الجمعة ليزوره الناس، فيكون معروفاً انه يريد الحج، فكنت أرى نظرات الكادحين والمستضعفين ترمق هؤلاء كما لو كانت تقول لهم:

هؤلاء عالم ثانى، فجعلت الخطبة فى أن من استشعر أنه ينظر الى الكعبة وهو يصلى فقد حجّ، ما دام قد عجز عن أسباب الحج. فزيدوا من تصوركم للكعبة، أقول ذلك بعاطفة لتسلية هؤلاء الكادحين، فقام لى أحد المستضعفين فأخجلنى بقوله: كيف أتصورها وأنا ما شفتها عايز اشوفه عشان أتصورها بصلاتى.

لا إله الا اللَّه محمد رسول اللَّه

فمسألة الاضاحى والأبحاث الفرعية هذه ما أغنانا عنها لو نظرنا للحج نظرة كلية، ولقد كان إلى عهدٍ قريب- فنحن الآن أصبحنا فى مشكلة خطيرة- قبل وسائل المواصلات الحديثة يوم كان الحج على ظهور الأبل أو الدواب أو المشى أو السفن كان يحج حتى الفقير القوى الصحة يحج ماشياً، وعندى من أهلى وديرتى أن آباءَهم حجوا على أقدامهم. فكان يحج الناس كلهم ولو على اقدامهم فقيراً كان الحاج أو غنياً، فتستهلك الأضاحى، وما كانت تفسد؛ لأن عدد الحجاج يكفى لاستهلاك تلك الأضاحى، ولكن ولما اصبحت وسائل

ص: ۲۲۳

المواصلات لها أثمان وقيم ومبالغ عالية فلا يقدر عليها إلا الغنی، أما الفقير فقد عجز عنها، ولا يفكر الفقير بأن يحج على قدميه؛ لإنه غير متيسر له وليس معه رفيق للأنس.

كانت تخرج القوافل مبكرة الحج أشهر معلومات تخرج فی شهر ويسير الفقير مع الغنی. فعلی المسلمين أن يتواصوا لتيسير فريضة الحج؛ ليحج العدد الكافی وبالتالی تكتمل دورة حجّ كلّ المسلمين كلّ خمسين سنة، يعنی نقسم الألف مليون علی خمسين فحاصل القسمة يجب أن يحج، فيكون كل مسلم قد حج لأن الحجّ فريضة نال سهمه منها، واكتمل به الدين؛ لأن الذين حجوا مع رسول اللَّه صلی الله عليه و آله فی حجة الوداع كانوا فوق المئة ألف، ولو جعلت نسبة لهم الی سكان الجزيرة فی هذا الوقت لوجدتهم معظم سكان الجزيرة؛ وليس ۱۵۰ بل هم معظم السكان، فالحج فريضة خطيرة جدّاً غبنها المسلمون وحرموا أنفسهم من آثارها.

* كانوا فی خطبة الغدير أكثر من ۱۰۰ ألف، وقيل ۱۱۴ ألفاً.

ولهذا يا أخی فحديث الغدير أصبح أكثر الأحاديث تواتراً، جموع عن جموع، وليس جمعاً عن جمعٍ، قال من قال وكتم من كتم، لا حول ولا قوة إلّا باللَّه.

* أنا أطمع كثيراً للاستفادة منكم

حياكم اللَّه.

* عندنا مسألة أمن البيت فقد جعل اللَّه البيت الحرام مثابة للناس وأمناً....

حرماً آمنا هذا الأمن الذی ورد اخترق عدّة مرات..

الأمن فی البيت نعمة أنعمها اللَّه تعالی علی عباده، وذكر فی عدّة آيات هذا الامتنان أو لم نمكن لهم حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم....

وكلّ نعمة لا ـ يغيرها اللَّه إلا إذا غيرها الناس أنفسهم ذلك بأن اللَّه لم يك مغيراً نعمةً أنعمها علی قوم حتی يغيروا ما بأنفسهم فإذا حدث من الناس تغير فی خصوص أمن الكعبة بشغب أو بغيره فأحدث فيها ما يروع فهذا من شأن العباد بأنفسهم غيروا فغير اللَّه عليهم لكن يظلّ أن القاعدة

ص: ۲۲۴

العامـة فيها أنها آمنـة. فلا يجوز فعل ما يخالف الأمن، نعم لا يجوز، وهى ليس حكماً بل هى نعمة يمنّ اللّه بها، وشأنها شأن أى نعمة، كما تقول القرآن نعمة والامانة نعمة، رحمة، أما أن الناس لا ترضـى بها فليس معناه أن الحكم حكم النعمة ارتفع لا، إنما الناس كفروا بالنعمة والرحمة فحرموا منها أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

* سيدنا إبراهيم عليه السلام نتمنى أن يكون الحديث عنه آخر لقائنا هذا..

هناك مَن هو مصـمّم على أن أبا إبراهيم كان كافراً، وقياساً على ذلك يسـتجيز الجرأةَ على والـد النبى صـلى الله عليه و آله وعمّه أبى طالب، فى الوقت الـذى يفرق القرآن الكريم بين الأب المعنى بالكفر (آزر) وبين الوالـد المحكوم بإيمانه، فإبراهيم وعـد أباه آزر أن يسـتغفر له، وما كان اسـتغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعـدة وعـدها إياه وهذا الأب هو الوارد فى الآية وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر... وهذا كله فى أول حياة إبراهيم سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفياً ثم علم أنه عدو للّهفتبرأ منه فتمت البراءة. ابراهيم بعد أن رزق بإسماعيل وإسحاق، يقول ربّنا اغفر لى ولوالدى فهذه فى أواخر عمره؛ لأنه لم يرزق بإسماعيل وإسحاق إلّافى آخر عمره.

الحمـد للّهالذى وهب لى على الكبر إسـماعيل وإسـحاق إن ربّى لسـميع الدعاء ربّ اجعلنى مقيم الصـلاة ومن ذريتى ربّنا وتقبل دعاء ربّنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

فما كان ليستغفر له لو كان هو عين الذى تبرأ منه.

والأب هو العم إذا سمى؛ ولهذا قال القرآن: وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر اتّخذ أصناماً آلهة... والأصل فى الخطاب أنه لو كان أبوه لأبيه والده لا يذكر الاسم، لكن لأن الأعمام كثيرون، فلا بد من تعيينه وقال لأبيه آزر هذا وجه.

والوجه الثانى هو استغفار إبراهيم لوالديه، وهنا لم يقل اغفر لى ولأبى، فهناك قال وما كان استعفار ابراهيم لأبيه....

ص: ۲۲۵

وهنا ربنا اغفر لی ولوالدی وللمؤمنین یوم یقوم الحساب.

فلا یستغفر لکافر.

سماحة الشیخ محمد باقر الأنصاری مسؤول المرکز الإسلامی فی هامبورغ- المانیا

* فریضة الحج تحتل مکاناً عظیماً فی نفوس وأنشطة أئمة أهل البیت:

وأتباعهم فهلّا تفضل سماحة الشیخ بالحدیث عن ذلک؟

کان ولا- یزال دور أهل البیت علیهم السلام بارزاً وذا أهمیة کبیرة فی الحج وزیارة بیت اللّه الحرام، والحجّ رکنٌ من أرکان الدّین الإسلامی المهمة، وتجمّع عظیم للمسلمین من مختلف المذاهب والفرق الإسلامیة حیث یتعرّفون هناک علی بعضهم البعض عند أدائهم لتلک الفریضة الکبیرة والعبادة السیاسیة المهمة. لقد عُنی أئمتنا علیهم السلام کثیراً بمسألة الحج رغم إبعادهم عن المسرح السیاسی ورغم سلب حقّهم المشروع من أن یظهروا علی ذلک المسرح، وکانوا یداومون علی التشرّف بالحج وزیارة بیت اللّه الحرام، ویطالعنا التأریخ من خلال التحوّلات وسیرة الأئمة الأطهار أنَّ أئمتنا کانوا یولون الحج أهمیة استثنائیة، ولعل أفضل شاهد علی ما نقول هو تشرّف الإمامین الهُمامین الحسن المجتبی والحسین علیهما السلام بزیارة بیت اللّه الحرام عدّة مرات سیراً علی الاقدام من المدینة إلی مکة، یظهر ذلک من خلال مطالعة سیرة حیاة هذین الامامین علیهما السلام بمایدل علی اهتمامهم الکبیر بهذه الفریضة العظیمة، وارتباطهم الروحی بهذا المکان المقدس، والعبادة الخالصة التی کانوا یؤدونها هناک، وکذلک التقاء الشیعة والتعرّف علیهم ومدّ جسور المحبة والعلائق الوثیقة معهم، ومع الاصدقاء الذین قد یتشرفون إلی الحج. وعلی هذا فإنّ الحج أضحی من المسائل المهمة التی تمَّ تأکیدها مراراً، ویبدو ذلک واضحاً من خلال هذه السیرة والأحادیث والروایات وتأریخ ائمتنا الهداة.

إنَّ مجمع أهل البیت والمجمع العالمی لأهل البیت کلاهما یستطیعان القیام

ص: ۲۲۶

بالكثير حول هـذه المسألـة وأن يلعبا دوراً مهماً على هذا السبيل، وخصوصاً أنَّ المجتمع الشيعى وموالى مدرسة أهل البيت كانوا دوماً قـدوةً وَمَثلًا يُحتذى به على مدى التاريخ واسوة حسـنة للمسـلمين سواء من حيث العمل أو السّـلوك أو من حيث الرّؤى العقائدية لهم. ولـذا فإن على هذا المجمع المقدس، مجمع أهل البيت أن يُبدى حضوراً فعّالًا فى الحج على الدوام، وعليه اتخاذ البرامج المنظّمة حتى يتمّ له الحصول على الاستفادة القصوى من أيام الحج، الركيزة الأساسية لكلّ العالم الإسلامى إن شاء اللّه تعالى.

لقد تمّ والحمد للّهخلال السـنين القليلة الماضـية القيام بإنجازات رائعة كثيرة فى هذه السنين من خلال زيارة الايرانيين لبيت اللّه الحرام وخصوصاً الزوّار من الهيئات والمؤسـسات المقدسة فى الجمهورية الإسـلامية ونظراً للعناية الخاصة التى كان يوليها قائد الثورة سـماحة الإمام الخمينى قـدس سره وكذلك سـماحة آية اللّه الخامنئى للحج واعتباره فريضة عبادية إسـلامية اجتماعية وسياسـية فبالاضافة إلى المظاهرات وحمل الشعارات التى تتمّ فى كلّ عام خلال مراسم البراءة، فقد كانت الأعمال الثقافية والاتصالات التى تمّت مع المسلمين الآخرين من قبل الشـيعة ومُريـدى مذهب أهل البيت، والحمد للّه، جيدة جدّاً ونحن نرى آثار تلك الأعمال بوضوح فى مكة والمدينة على السّواء، ولاحظنـا أن الاتصالاـت وبنـاء الوشائـج مع رفاقنـا المحليين هنـاك أو مع آخرين من أقطـار اخرى من قبـل أعضـاء هـذه الهيئات فى الجمهورية الإسلامية ومجمع أهل البيت، كانت قد آتت اكلها على أفضل ما يكون، وكانت كذلك مفيدة وبنّاءة.

أتمنى أن تواصـل هـذه الحركـة مسيرها، وأن يعمل المسؤولون فى المجمع العالمى لأهل البيت وأن يبـذلوا جهـدهم فى هـذا المجال وذلك عِبْرَ تقديم البرامج الخاصة والدقيقة والفعّالة، حتى يتمّ نشر رسالة مذهب أهل البيت بين المسلمين بصورة أوسع إن شاء اللّه.

* نظراً لمكانتكم بين المسلمين فى ألمانيا ولأنكم على رأس المركز

ص: ۲۲۷

الإسلامى هناك، فهل تتوفر لديكم أنشطة وفعاليات خاصة بموسم الحج للمسلمين فى المانيا؟

نعم، هناك برامج خاصة، فقد قمنا بتشكيل عدة قوافل على التوالى لأداء فريضة الحج والعمرة وقمنا بنقل الكثير منهم إلى الديار المقدسة والحمد للّه، وقام رفاق كثر بعدنا بالقيام بما قمنا به على غرار ما فعلناه فى مدن المانية أخرى، مثل فرانكفورت وبرلين وفى ميونخ وهامبورغ، فقد قامت وتشكلت عدّة قوافل للحج، والاعلان عن ذلك بين العرب والايرانيين، وكذلك الأخوة الافغان والباكستانيين حيث تتوفر اعدادهم بكثرة فى هذه القوافل وهم يقومون بهذه السفرات سنوياً سواء للحج أو العمرة، ولقد كانت لذلك آثاره الطيبة. هذا وقد أبدى الشيعة خلال السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة اهتماماً واضحاً وكبيراً بالنسبة للحج والحمد للّه، وتعدّ هذه الرحلات من أهم العناصر الروحية والمعنوية خصوصاً وأنَّ اوروپا مثقلة بالمشاكل الحياتية والمادية وغارقة فيها إلى حدّ كبير، وممّا يزيد من تلك الأهمية أنهم يأتون إلى ايران لزيارة الإمام الرضا عليه السلام فكلّ ذلك يمكن أن يضع آثاره الايجابية والجيدة على هؤلاء المسلمين معنويّاً وروحياً.

سماحة الشيخ على عزيز - لبنان

* قالت السماء كلمتها فى اهداف الحجّ: ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم اللّه فى أيام معلومات... إن اللّه تعالى يحب أن يذكر فى أمكنة معينة وأزمنة معينة فللمكان وللزمان خصوصية، وإلّا فالمنافع قد تحصل للناس وهم فى بلدانهم، وذكر اللّه تعالى قد يقع منهم وهم فى أوطانهم...

فلابّد من أن تكون هذه المنافع ذات طعم آخر... وأن يكون هذا الذكر ذا ميزة أخرى... فهلا تفضلتم بكلمة لبيان أهمية هذين العنصرين فى منافعنا ودعائنا وأعمالنا....؟

إن الحق جلّ وعلا يقول فى أهداف الحج، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم اللّه فى أيام معلومات.

ص: ٢٢٨

نعم فإن الجنة حفّت بالمكاره كما أن النار تكتنفها الشهوات، فالوصول إلى حضرة البارى لا يكون بالتنزة والرفاهية ولابدّ من ارتكاب الصعاب، وتحمل الأذى والمشقات، والمعاناة فى النفس والمال، وتجشم المخاطر فى كلّ منسك، وتحمل العنف فى كلّ حركة.

فأعمال الحج هى سامقة صعبة، ولكنها لذيذة الطعم طيبة المذاق، لمن جاس تلك الديار.

ولإنها بعيدة تماماً عن الملذات والشهوات والطيبات، فهى لا تتأتى إلّا عن باعث العمل للامتثال والانقياد لأوامر اللَّه تعالى، ومن أجل هذا كان النفع عظيماً، والتجارة رابحة، والصفقة ناجزة يقول على عليه السلام: «واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح فى متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته» وعن الصادق عليه السلام «الحاج ثلاث أصناف صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمّه، وصنف يحفظ فى أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاج». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو مؤتمر مجمعى سنوى يتلاقى المسلمون فيه من شتى أصقاع الأرض عربيهم وأعجميهم وأبيضهم وأسودهم، فقيرهم وغنيهم، عالمهم وجاهلهم، رئيسهم ومرؤسهم فتتلاقح المعارف والآداب والقيم والتراث، وتبث الشكوى والأحزان والأفراح، وهنا فالغنى يخشع، والفقير يتحمل، والعالم ينصح بعلمه، والجاهل يتعلم، والجميع فى موكب النور إلى عطاءات السّماء، وذكر اللَّه على كلّ حال عند أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، جعلها اللَّه بيته الحرام للناس قياماً بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل الدنيا مدراً، وأضيق بطون الأرض قطراً بين جبال خشنة، ورمال رمثة، وعيون وشلة، وأخرى منقطعة لا يزكو بها خفّ ولا حافر ولا ظلف.

* لئن تظافرت أيدى أنبياء (إبراهيم وإسماعيل... ورسول اللَّه محمد صلى الله عليه و آله) فجعلت مكّة بلداً آمناً وحرماً مقدساً يؤتى إليه من كلّ فجّ

ص: ۲۲۹

عميق... فإن المدينـة صارت بلـداً وحرماً مقدساً بجهد نبيّ واحد محمد صـلى الله عليه و آله، فهو قدشارك مشاركة كبيرة فى الأولى، وهو المؤسس فى الثانية.

فهل من ضوء يسلط على هذا الدور الكبير وتلك المشاركة العظيمة؟!

نعم فإنّ المدينة المنورة التى كان لها شـرف إحتضان دعوة رسول المحبة صلى الله عليه و آله ومنها انتشر الدين الإسلامى الحنيف الى أصـقاع الأرض، وإذا جاز لنا القول: إنّ الدين بدءُه مكّى واسـتمرارة ودعوته وعطاؤه مدنى، فإنك لا تسـتطيع أن تسقط من حساباتك ما قام به الأنصار من احتضان لإخوانهم المهاجرين من مكّة، ومن التضـحيات الجسام التى قـدموها فى سبيل الدين الجديد، فطيبة هى القاعدة التى انطلقت منها جحافل الإيمان والنور ومشاعل الهداية إلى بقاع الأرض جميعاً، وهى التى زحفت لتقاتل صـناديد قريش فى بـدر وأحد والأحزاب وغيرها بمشاركة أكيدة وصـميمية من إخوانهم المهاجرين تحت قيادة رسول الأمة صـلى الله عليه و آله وقد جاء فى فضل المدينة أحاديث صحيحة منها.

۱- إن الإيمان ليأرِز الى المدينة كما تأرِز الحيّة إلى حجرها. أى ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

۲- صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلّاالمسجد الحرام.

وكلّ عمل بالمدينة بألف.

۳- لمّـا دخل رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله المدينـة قال: «اللّهم حبّب إلينا المدينـةَ كما حببتَ إلينا مكـةَ أو أشـد، وبارك فى صاعها ومدّها.

۴- عن على عليه السلام «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد رسولاللَّه صلى الله عليه و آله ومسجد الكوفة.

* الدعاء كان السـمة البارزة فى حركة نبى اللَّه إبراهيم عليه السلام، وهو يترك أهله بوادى غير ذى زرع، وهو يبنى الكعبة، وهو يدعو الناس لحجّها، وهو يؤدى مناسك الحـج نراه يدعو بالأمان وبالرزق الوفير؛ لأنه يعلم أنّ تلك المناسك الشاقة لا يمكن أن تؤدى دون أن يتوفر عنصرا الأمن والرزق... وأن قوافل الإيمان التى يُراد لها أن تنطلق لا يمكنها أن تؤدى دورها على أحسن

ص: ۲۳۰

وجه، وهی تتعرض للخطف والقتل والسلب والحرمان والجوع... فلو تفضلتم لتوضیح أهمیة الدعاء وأهمیة الأمن والرزق لهذه الأرض ولهذه الفریضة المبارکة.

قال تعالی: وإذا سألک عبادی عنی فإنی قریب أجیب دعوةَ الداع إذا دعانِ فلیستجیبوا لی ولیؤمنوا بی لعلّهم یرشدون.

وقال صلی الله علیه و آله: «الدعاء سلاح المؤمن» «الدعاء مخّ العبادة» وفی الحدیث الصحیح عنه صلی الله علیه و آله أنه قال: «أنا دعوة أبی إبراهیم خلیل الرحمن».

والدعاء رکن من أرکان عبادة المؤمن، وقلعة حصینة یلجأ إلیها المسلم إذا داهمته الخطوب، والکهف الحصین للمسلم عند شدة الابتلاء. وأعمال الحجّ قاعدتها وسنامها التوسل والدعاء فی أیام مبارکة وأماکن معینة، ولا سیما فی الوقوف بعرفة والمشعر الحرام، وحول الکعبة المطهرة، وفی السعی بین الصفا والمروة. وینبغی للمسلم أن یکون فی أثناء الدعاء طاهراً نقیّاً قد خلع عنه کلّ شیء سوی الاستغفار والتوبة والتضرع، صافیاً نظیفاً فی البدن والروح، خالصاً من الدنیا والاهتمام بالولد والأهل والمتجر، مقبلًا علی ربّه، داحراً للشیطان والملذات، خالعاً ثوب الکبریاء والرئاسة، متدرعاً بقمیص العبودیة وبالبیت الحرام الآمن بأمان اللَّه، وبدعوة أبی الأنبیاء إبراهیم الخلیل نبی الرحمة علیه السلام هو خیر مکان یسند المسلم ظهره إلیه، یطلب من اللَّه المغفرة والعتق من النار، ویدعو الباری عزّوجلّ الجنة وروی أنه من أدمن الحجّ لا یفتقر أبداً، وأن کثرة الجلوس فی الصفا مدعاة للرزق وفی الصحیح أن العمرة والحج تدحضان الذنب وتنمیان الرزق. ولابدّ من الأمان والاستطاعة فی أعمال الحج. وفی الختام وفی هذه العجالة نسأل اللَّه أن یتقبل منا حجّنا ویغفر ذنبنا إنه أرحم الراحمین.

سماحة السید سامی البدری

* هناک ارتباط وثیق جدّاً بین مسألة الإمامة ومسألة بیت اللَّه والحج، تبدأ هذه العلاقة منذ إقامة القواعد من قبل إبراهیم وإسماعیل

ص: ٢٣١

المشار إليها فى قوله تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيت وإسماعيل كما أن الدعاء هو السمة البارزة فى حركة خليل الرحمن وهو يؤدى وظيفة السماء: ربّنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربّنا واجعلنا مسلِمَين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك. فهلّا تفضّل سماحتكم مشكوراً بإلقاء الضوء على تلك العلاقة وهذه السمة وثمارها؟

القرآن ينص هنا أن دعاء إبراهيم وإسماعيل فى ذلك الوقت كانا يطلبان من اللّه تعالى ذرية مسلمةً، وهذه الذرية المسلمة، القرآن ينصّ على أنها كإسلام إبراهيم وإسماعيل، ولا شك فى أن إسلام إبراهيم وإسماعيل الإسلام اللغوى وليس الإسلام الاصطلاحى، يعنى الانقياد التام، الانقياد الخالص للّه تعالى- فإذن إبراهيم وإسماعيل يطلبان من اللّه تعالى أن يرزقهم ذرية مسلمة كإسلامهما، تمثل الامتداد الحقيقى ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ثم بعد ذلك يقول: ربّنا وابعث فيهم رسولًا منهم يعنى فى هذه الأمة المسلمة أن تبعث فيها رسولًا منها، أى مسلماً يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم هنا القرآن الكريم فى هذه الآية يلفت نظرنا إلى قضية مهمة جدّاً، فحينما يتحدث عن الأميين يقدم التزكية على التعليم، هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فهذا التقديم والتأخير ليس اعتباطاً؛ لأن الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم هى أمة مسلمة كإسلام إبراهيم وإسماعيل فهى لا تحتاج الى تطهير، فهى مطهرة، فيبعث فيها من أحد أفرادها رسولًا منها بعثة خاصة، وبالتالى هؤلاء يحتاجون فقط إلى التعليم يعلمهم الكتاب والحكمة فإذا استوعبوه استيعاباً خاصاً أظهر عظيم فضلهم، (يزكيهم) يعنى يظهر عظيم فضلهم يثنى عليهم، يمدحهم؛ لأن الزكاة فى اللغة تأتى بمعنى المدح، وتأتى بمعنى التطهير.

أما أهل مكة هناك، باعتبارهم مشركين فهم يحتاجون الى التطهير أولًا، يزكيهم، يعنى يطهرهم، ثم بعد

ص: ۲۳۲

ذلك إذا أعلنوا إسلامهم وطهارتهم العامة من الشرك صاروا مؤهلين إلى أن يتعلموا الكتاب والحكمة.

فهنا في الحقيقة يشير النصّ إلى أهل البيت عليهم السلام إلى البقية من عترة إبراهيم، أن اللَّه سبحانه وتعالى وعد إبراهيم وأجابه بأن سيرزقه ذرية مسلمة على طول الخط، من زمن إسماعيل الى بعثة النبي صلى الله عليه و آله وهذه عقيدتنا بالحقيقة، أن أباء النبي مسلمون موحدون وأن النبي صلى الله عليه و آله في مكة في الحقيقة بعث من هذه الأسرة المسلمة من عترة إبراهيم، من ذرية إبراهيم، التي بقيت الى آخر الزمان، بُعث منها، ولذلك ورد في روايات السيرة أن النبي صلى الله عليه و آله كان يقول:

«يا بني هاشم إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة». يشير في الحقيقة إلى هذا المعنى، ويشير أيضاً الإمام الصادق عليه السلام إلى ما في هذه الآية، هؤلاء نحن، الأمة المسلمة هؤلاء نحن، يشير إلى الأئمة عليهم السلام. فإذن نستفيد من هذه الآية أن الارتباط بين أهل البيت عليهم السلام وبين البيت، ومع الموسم ارتباط صميمي؛ لأن هذا البيت يحمل ذكرى التبشير بالنبي الخاتم وبأهل بيته عليهم السلام هذا البيت مؤسس حتى يستقبل النبي الخاتم بعد ۲۰۰۰ سنة. لذلك تلاحظون أن اللَّه تعالى ختم بعض الآيات هكذا وهو العزيز الحكيم؛ لأن مثل هذه الإجابة: أن اللَّه تعالى يجيب دعاء إبراهيم وإسماعيل بعد ألفي سنة ويبقى الخط من الذرية مستمراً، وليس كل ذرية إبراهيم مسلمين إسلاماً خاصاً، أن يستمر هذا الخط فهذا لا يقدر عليه إلّا اللَّه تعالى. ومن هنا قال وهو العزيز الحكيم فالعزيز الذي لا يمتنع منه شيء، والحكيم الذي يصدر منه الأمر الحكيم في محله.

على هذا الأساس إذن مكة والكعبة والذكريات التأسيسة الأولى على يد إبراهيم وإسماعيل تحمل البشرى بمحمد صلى الله عليه و آله وآل بيته، وهذه البشرى مذكورة أو حفظتها الى اليوم التوراة نفسها، حينما تقول على لسان اللَّه تعالى:

أما إسماعيل فقد أجبتك فيه فأنذا أباركه واثمنه وأنميه محمد صلى الله عليه و آله واثني عشر إماماً من أهل بيته. وفي ضوء هذه الحقيقة، وإضافة إلى كون الحج فريضة إسلامية

ص: ۲۳۳

تجمع کلّ المسلمین جاء تبنی أهل البیت لموسم الحج تبنیّاً خاصاً؛ لأنه الموسم الوحید الذی یشکل أوسع الأبواب لطرح قضیة أهل البیت علیهم السلام علی کلّ المسلمین.

سماحة الشیخ الخزرجی إمام وخطیب مسجد محمد رسول اللّه- البرازیل

* سماحة الشیخ الخزرجی: من سنین وأنتم عاکفون علی تأدیة واجباتکم الإسلامیة فی هذه البلاد..

فهلّا تفضلتم بالحدیث عن عدد المسلمین فی البرازیل، وما هی المناطق التی یتواجدون فیها وهل هناک جمعیات تحتضنهم؟

بالنسبة الی عدد المسلمین المتواجدین فی البرازیل، هذا العدد ما رأیت- فی الواقع- احصائیة دقیقة تحدد أو تذکر رقماً دقیقاً فی هذا الباب.

ولکن الأرقام التقدیریه تذکر بأن المسلمین یبلغ تعدادهم ثلاثة الی أربعة ملایین مسلم تقریباً، وهی نسبة لا بأس بها، وهم منتشرون علی مساحة تقدر ب ۵۰۰/ ۸ الف کیلو متر وهی مساحة البرازیل. أمّا أهم المناطق التی یتواجد فیها المسلمون هی اریودو جانیرو التی کانت العاصمة سابقاً.

وکذلک برازیلیا العاصمة الحالیة.

وسامپاولو التی فیها کثافة وجود إسلامی لا بأس به، وکذلک فی ولایة برنا التی تضم مدینتین (تورنیبا ومدینة فوزدی اگوا) وفی مناطق آخری.

وکلّ المسلمین عندهم جمعیات وعندهم اتحادات تنظم امورهم، وتحیی مناسباتهم، افراحهم اتراحهم.

هذه الجمعیات ولو أنها لا تقوم بالواجب المطلوب ولکن وجودها أفضل من عدم وجودها.

* ما هی الکیفیة التی یستقبلون بها موسم الحج؟ وما هی عاداتهم تودیعاً للحجاج واستقبالًا؟

وأما بالنسبة الی موسم الحج. أنا ذهبت الی البرازیل سنة ۱۹۸۹ فرأیت أن مسألة الحج تکاد تکون میتة إلا عند البعض، یعنی التزامهم بهذا المنسک، التزامهم بهذه الفریضة توجههم لیس هناک توجه بالمعنی

ص: ۲۳۴

الجيد، وإنما عند بعض الافراد فقط.

ولكن بعدما استقر بنا الحالوصارت الاتصالات والاجتماعات، وصارت الزيارات، وبعدة مدّة ليست قصيرة صار هناك تقارب مع إخواننا من أبناء السنّة، وبدأوا يحضرون احتفالاتنا احتفالات الشيعة ونحضر احتفالاتهم، يطلبون منا التحدث ونطلب منهم أن يتحدثوا فى احتفالاتنا صار هناك تيار، وصار هناك شيء لا بأس به، يشجع الآخرين على الذهاب الى الحج، فالأن تقريباً يذهب من البرازيل ما يقارب مأتين الى ثلاثمائة حاج سنوياً، من الشيعة ومن السنّة.

وأما العادات والتقاليد والأعراف التى تعارفوا عليها هو أنهم حينما يريدون الذهاب الى الحج والى زيارة بيت اللَّه الحرام، يأتى الناس الى زيارتهم ويودعونهم فى المطار ويستقبلونهم فى المطار أيضاً حين عودتهم وهم يحملون الورود، فالتوديع لا بأس يكون توديعاً جماعياً وكذلك حينما يأتون من الحج يستقبلونهم استقبالا جماعياً أيضاً وهو استقبال واضح لا أنه استقبال لشخص ذاهب الى زيارة عادية الى بلدة وراجع وإنما هو استقبال له طابع خاص، استقبال لشخص يحمل آثار الحج، استقبال يتم من قبل أصدقائه وأقاربه وجيرانه وحتى من غيرهم ومن غير أرحامه، ويرافقون الحاج من المطار حتى بيته وهذه سنة لا بأس بها وهى جيدة.

* لو تحدثتم شيئاً عن نظرة أهل البيت لفريضة الحج وأثرها فى وحدة المسلمين وحل كثير من مشاكلهم سواء أكانت سياسية أو اجتماعية..

فى الحقيقة بالنسبة الى خط أهل البيت هو فى الواقع خط واضح، خط يحاول أن يجمع أكبر عدد ممكن من المسلمين فى ظلال الإسلام الصحيح؛ فلذلك نرى الروايات والأحاديث والمواقف التى كان يقفها أئمتنا صلوات اللَّه وسلامه عليهم، فقد كانوا يجتمعون بالناس ويشجعونهم على الحج، كانوا يذهبون معهم، كانوا يجالسونهم، كانوا يحدثونهم، كانوا يحيون الشعائر والمناسك معهم، لذلك تلاحظ فى دعاء عرفة للإمام

ص: ۲۳۵

الحسين عليه السلام حينما يقرأوه الإنسان لا يتمالك نفسه يعيش في عالم عرفاني عالم ملكوتي، وهذا هو جوهر حركة الإنسان والساعات التي يقضيها في عرفات، وقد لاحظنا ذلك حينما يجتمع الحجاج تحت خيمة واحدة، وحينما يستمعون هذا الدعاء المبارك دعاء الإمام الحسين في عرفة فلا يتمالك الانسان نفسه ودموعه ووضعه بحيث يعيش في حالة من حالات الذوبان في اللّه سبحانه وتعالى. حالة العشق الإلهي، فلذلك نلاحظ أئمتنا: كانوا يستثمرون هذه المناسبات ويغذونها بالغذاء الجيد والصالح؛ لان النفوس والأرواح متفتحة ولأن العقول متفتحة، والإنسان قادم الى أرض جرداء ليس فيها شيء، لقاؤه مع اللّه ليس هناك شيء يعيقه من تجارة أو ولد أو امرأة أو زينة، فهو ذاهب الى ذلك المكان الى عرفات وهكذا في بقية المناسك، في هذه البقاع يعترف الإنسان بخطاياه وبذنبه وما جنى بين يدي مولاه سبحانه وتعالى.

فلذلك أهل البيت في الحقيقة قدموا الكثير وأدخلوا روح الحج في فكرنا، الحجّ ميت إذا لم يكن هناك اتصال باللّه سبحانه وتعالى، اللّه لا يريد أجسادنا تذهب الى هناك بل يريد أرواحنا تذهب الى هناك في هذه السفرة الملكوتية وفي هذه الهجرة الى اللّه سبحانه وتعالى، لا يريد منا أن نذهب وان نلتقي بتلك المواقع من خلال المادة وإنما من خلال النفس والعقل والفكر والروح والقلب- حينما يلتقي الإنسان ويعرف مع من يلتقي والى أين يذهب يؤثر الحج في نفسه، وتكون له آثار ايجابية مباركة، والإنسان يصنعه الحج صناعة جديدة وحقيقية حينما يذهب الإنسان الى الحج ويعود، ففلان الذي كان قبل الحج فهو غيره حينما يأتي بعد الحج، يصنعه الحج من جديد، ويربيه تربية جديدة؛ لأنه كان في ضيافة اللّه تعالى، وفي الحقيقة الإنسان دائماً في ضيافة اللّه تعالى، ودائماً في عين اللّه سبحانه وتعالى كما يقول الإمام الراحل الخميني رحمة اللّه عليه: «العالم كلّه في محضر اللّه، في محضر اللّه لا تعصوا» فدائماً الانسان في محضر اللّه تعالى،

ص: ۲۳۶

ولكن كلما يقترب الإنسان من ساحته سبحانه وتعالى فى مكـة، فى الأماكن المقدسـة العظيمـة يستشـعر تلك العظمـة ويتكهرب أكثر ويتمغنط أكثر، تكون روحيته أكثر شفافية، أى أن قوة الجذب العظيمة تسحره أكثر، تملك روحه وتصنعه وتؤثر فيه أكثر.

* ختاماً لهذا اللقاء، ما هى وصاياكم لحجاج بيت اللَّه الحرام؟

وصـيتى هى حينما يريـد الإنسان، الـذى يوفقه اللَّه لزيارة البيت الحرام، ينبغى أن يعد العدة وأن يتهيّأ لهذا السـفر الملكوتى؛ لأن سـفره الى الحج ليس كسـفره الى بقية الاماكن، ينبغى أن يتهيّأ روحياً، نفسياً عقلياً فكرياً؛ لأنه يذهب الى بيت اللَّه الحرام ويستجمع كلّ شيء كلّ أخطائه يستجمعها حتى يعترف بين يدى اللَّه تعالى. الشـىء الآخر هو أن يستعد الانسان من الناحية العلمية حتى يهيىء المادة التى يتحرك بهـا فى الحـج وهى معرفته بالمناسـك؛ لأن الإنسان اذا لم يكن عارفاً بهـذه المناسك فسوف يخطأ واذا أخطأ لا تكون أعماله ومناسكه كما يريدها اللَّه تعالى، فلذلك تصحيحها يكون صعباً بالنسبة اليه؛ لذلك أوصى اخوانى وأخواتى وجميع الذين يذهبون الى زيـارة بيت اللَّه الحرام أن يأخـذوا دورة فقهيـة ولو سـريعة، يتعرفون ولو على الحـد الادنى، يتعرفون على أهم مناسك الحـج، حتى إذا ذهبوا الى ذلك المكان يذهبون وهم على علم بذلك.

والشـىء الآـخر حينمـا يـذهب الإنسـان الى زيـارة بيت اللَّه الحرام ينبغى أن يأخـذه فالإنسان كلما يقترب من اللَّه سـبحانه وتعالى أكثر وكلمـا يقترب من معـانى الحـج أكثر وكلمـا يقترب من هـذه المناسـك أكثر ويتعلم أكثر كلمـا تكون آثـاره على نفسه وعلى روحيته وعلى سلوكه تكون أكثر.

نسأل اللَّه تعالى التوفيق

سماحة الشيخ العباسى- اوغندا

* مـا هى نسـبة المسـلمين بالنسـبة إلى مجموع سـكان بلادكم؟ ومـا هى المقاطعـات التى يتواجـدون فيها؟ وهل هناك مؤسـسات أو جميعات تمثلهم وترعاهم وتحفظ لهم قيمهم وآدابهم؟

ص: ۲۳۷

وما هی الأنشطة التی تتحرک فیها مثل تلک المؤسسات أو الجمعیات؟

لا توجد احصائیة دقیقة للمسلمین فی اوغنده غیر أنهم یذکرون فی محافلهم أن المسلمین یتراوح عددهم من ۳۰- ۳۵٪ من مجموع ۱۸ ملیون نسمة.

وهم یقطنون جمیع المحافظات ویختلطون مع النصاری الذین یشکّلون الأغلبیة وبلا حساسیة بینهم، ومن المؤلم ان بعض المسلمات یتزوجن من النصاری رغم وجود المؤسسات والجمعیات الإسلامیة، التی تؤکد حرمة مثل هذا الزواج.

والجمعیات الإسلامیة تفعل کلّ ما هو ممکن لها مثل فتح المدارس الدینیة وصفوف تعلیم القرآن الکریم والمراکز الثقافیة وعقد المؤتمرات والندوات وکفالة الایتام والأرامل، ورغم کثرة هذه المؤسسات إلّاأنها لا تغطی حاجة ۱۰٪ من المسلمین لضعف برامجها وبساطة امکانیاتها.

* وما هو الاهتمام بفریضة الحج فی بلادکم استعداداً أو تودیعاً للحجاج واستقبالًا لهم؟ وکیف تتمّ رحلات الحج: شکلها، نوعها، عددها، مجموع الحجاج فیها؟

إنّ ما یتعلق بموضوع الحج- فبسبب حالة الفقر لدی أغلب المسلمین حیث إن معدل الدخل لدیهم لا یتجاوز ل ۲۵۰ دولاراً سنویاً قیاساً بحالة الغلاء الفاحش- فإنّ أغلبهم لا یتمکن من أداء فریضة الحج التی تبلغ تکالیفها ۲۰۰۰ دولاراً، ولذلک یکون عدد الحجاج سنویاً من ۲۵۰- ۳۰۰ حاج من مجموع ۵ ملیون مسلم تقریباً.

الحُلّة الخراسانیة تکسی الکعبة الشریفة

ص: ۲۳۸

الحُلّة الخراسانية تكسى الكعبة الشريفة

آصف فكرت

السطور القليلة القادمة تحكى قصة حَدَثٍ تأريخىّ مهم فى القرن التاسع الهجرى، ألا وهو مراسم إكساء الكعبة الشريفة بأول حُلّة صنعت بأيدٍ خراسانية.

وكان ذلك بهمّة شاهرخ بن الأمير تيمور غوركان، وقد عمل المذكور جهده كما ستقرأ ذلك فيما بعد- ولفترة طويلة من حكمه- للوصول الى مراده ذاك. ولهذا السبب كان قد ارسل عدّة بعثات الى مصر؛ لإثبات حُسن النيّة، وصرف فى سبيل ذلك مبالغ طائلة حتى نال فى النهاية هدفه، ولولا ذلك لاقتصرت مسألة إكساء الكعبة على العرب وحدهم، ولحُرِمَ غيرهم من الأمم المسلمة شرف ذلك.

لقد ظَلَّ موضوع اكساء الكعبة- ومنذ العهد الجاهلى حتى عهد الخلفاء وعلى مرّ العصور- موضع اهتمام المؤرّخين والمحقّقين، ويمكن الوصول الى ما يتعلّق بهذه المسألة بمجرد الرجوع الى المصادر المتعلّقة بذلك الموضوع. وليس هدفنا من هذه المقالة الموجزة إلّاالإطّلاع على جوانب بسيطة من هذا الموضوع، والاشارة إليه دون إطناب أو تفصيل.

ص: ۲۳۹

روی القلقشندی فی «صبح الأعشی» نقلًا عن «أخبار مکّهٔ» للأزرقی قوله:

إنَّ أسعد الحمیری (من تابعیهٔ الیمن) کان أول من کسا الکعبهٔ الشریفهٔ بالحُلّهٔ فی زمن الجاهلیهٔ.

حُلّهٔ الکعبهٔ أیام الجاهلیهٔ:

کانت الکعبهٔ الشریفهٔ تُکسی بأقمشهٔ وحُلَل ملوّنهٔ ومتنوعهٔ فی الجاهلیهٔ.

وکانت تلک الحُلّهٔ فی الزمن المذکور تُصْنَعُ وتهیئ بمعونهٔ مختلف القبائل ومساعدهٔ الجماعات وهمّتهم، حتی اقترح أحد التجّار آنذاک- ویُدعی أبو ربیعهٔ عبد اللَّه بن عمرو بن مخزوم، وکان یعمل بالتجارهٔ مع الیمن- أن یقوم هو بإکساء الکعبهٔ سنهٔ ویُلبسها کسوتها وتقوم قریش کلّها بذلک سنهٔ اخری. فاستمرّ ذلک النهج حتی توفی أبو ربیعهٔ. والجدیر بالذکر أنّ الکعبهٔ کانت تُکسی بالنّطع (وهو نوع من الجلد) مدّهٔ من الزمن.

فی صدر الإسلام وما بعده:

کُسیت الکعبهٔ أیام حیاهٔ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالنسیج الیمانیّ، وسار الخلفاء الراشدون علی هذا النهج کذلک. وکان لون تلک الحُلّهٔ فی تلک الأیام أبیض أحیاناً أو أحمر أحیاناً اخری. وأمّا خلفاء بنی العباس الذین کان شعارهم اللون الأسود فقد ألبسوا الکعبهٔ بلباس أسود أیضاً.

فلمّا استولی ملوک مصر علی الحجاز اقتصرت مسألهٔ إکساء الکعبهٔ علیهم وحدهم، فدام هذا النهج حتی القرن التاسع للهجرهٔ.

وأمّا الحَدَث الذی نحن بصدده فی هذه المقالهٔ فیرجع تأریخه إلی النصف الأول من القرن التاسع الهجری، وذلک أیام حکم الممالیک فی مصر- الملک الأشرف حتی الملک الظاهر- وحاکم خراسان أو کما یسمیه المؤرخون العرب ب «ملک الشرق»

ص: ۲۴۰

شاهرخ ميرزا (ولد سنة ۸۵۰ ه) بن الأمير تيمور غوركان.

طموح وهمّة شاهرخ:

اعتلى شاهرخ عرش خراسان الكبيرة بعد وفاة الأمير تيمور سنة ۸۰۷ ه.

واتّخذ هرات عاصمة لحكمه. وتُعدّ فترة حكمه بحقّ من ألمع فترات الحكم وأكثرها ازدهاراً في مجال العلم والفن والعمارة والبناء في هذه البقعة من الأرض. وكانت فكرة إكساء الكعبة حلّتها تدور في ذهنه منذ ارتقائه عرش أبيه، وكانت هي أمله الوحيد الذي كان حِكراً على الحكام العرب حتى ذلك الحين، ولم يكن لأحد من العجم حَقٌّ في أداء ذلك على الإطلاق.

وكان شاهرخ في الحقيقة يهدف من وراء كلّ ذلك الحصول على شرف معنويّ لا مثيل له أوّلًا، وثانياً كان يريد كسر طَوق التمييز بين مختلف الأقوام المسلمة والنهج اللامنطقي لمماليك مصر، وثالثاً العروج الى المرتبة العُليا بين الامم.

يصف عبد الرزاق السمرقندي، صاحب مطلع السعدين، شاهرخ بأنّه «كان يحمل في جنباته دوماً طموحاً لا يُقاوم وهو إكساء بيت اللّه الحرام بالحلّة على يديه متى طُلِبَ منه ذلك، إلّاأن هذا الطموح لم يكن ليحدث على أرض الواقع دون إذنٍ من سلطان مصر».

المحاولة الأولى:

شرَعَ شاهرخ بإعداد أرضية مناسبة لمحاولته الأولى منذ عام ۸۳۳ ه. ويذكر مؤرخو مصر أن مبعوث شاهرخ ملك شرق (خراسان) وصل الى القاهرة في ۲۴ محرّم سنة ۸۳۳ ه. وقام بتسليم الملك الأشرف رسالة من السلطان المذكور. وأمّا الرسالة فقد تضمّنت ثلاثة أمور رئيسية، هي:

الأمر الأول: كان شاهرخ قد طلب في الرسالة في بداية الأمر اهداءه كتابَيْنَ هما:

ص: ۲۴۱

۱- شرح البخاری لشهاب الدین أحمد بن حجر العسقلانی.

۲- تاریخ السلوک لدول الملوک لتقیّ الدین أحمد بن علی المقریزی.

هذا الأمر یذهب بنا الی مدی اهتمام الحلقات العلمیهٔ فی هرات بالاکتشافات الجدیدهٔ فی عالم العلوم فی تلک الحقبهٔ.

الأمر الثانی: کان شاهرخ قد ذکر فی رسالته تلک أنّه کان قد نَذَرَ أن یُهیّء حُلّهٔ للکعبهٔ الشریفهٔ ویرسلها لإکسائها هناک، وأمّا الأمر الثالث: فقد أبدی شاهرخ اقتراحه فی فتح غدیر ماء ویجریه الی مدینهٔ مکّهٔ، وکأنّه أراد بذلک أن یضع التجارب الخاصهٔ بالإرواء والسّقی بواسطهٔ القنوات ومجاری المیاه، المعمول بها فی خراسان آنذاک موضع الفعل فی مدینهٔ مکّهٔ للاستفادهٔ منها هناک.

ویذکر ابن تغری بردی مؤلّف کتاب «النجوم الزاهرهٔ فی أخبار مصر والقاهرهٔ» أنَّ أیّاً من مطالب ملک الشرق لم تُجَبْ من قِبَلِ ملک مصر، علی خلاف ابن إیاس مؤلّف «بدائع الزهور» الذی کتب یقول: انّ السلطان قام بإرسال شرح البخاری وتاریخ المقریزی الی شاهرخ، إلّاانّه امتنع عن قبول اقتراح شاهرخ بإرسال حُلّهٔ للکعبهٔ الشریفهٔ، أو فی فتح القناهٔ الی مکّهٔ. وکتب الملک الأشرف الی شاهرخ یقول: إنَّ هناک أوقافاً تجری لتهیئهٔ حُلّهٔ الکعبهٔ، وأنّه لا حاجهٔ لأیّ من الملوک فی تهیئهٔ ذلک. وأمّا ما یتعلّق بالقناهٔ فقد ذَکّرَ الملک الأشرف شاهرخ أنّ فی مکهٔ آباراً وعیون ماءٍ کثیرهٔ، ولا داعی لإنشاء غیرها (ویظهر أنَّ الملک الأشرف لم یکن علی عِلم أو اطلاع حول ما قصده شاهرخ من قنوات ومجارٍ مائیهٔ، ولعلّهٔ حسبها کآبار عادیّهٔ وعیون کالتی توجد فی مکّهٔ).

وذکر ابن حجر کذلک أن ثلاثهٔ مجلّدات من «فتح الباری بشرح البخاری» أرسلت الی ملک الشرق.

غضب وتهدید:

کان لرفض حاکم مصر اقتراح شاهرخ وقعه الشدید علی هذا الأخیر، وأثار

ص: ۲۴۲

غضبه وسخطه، فقام بإرسال مبعوث آخر يُدعى هاشم شريف الى القاهرة حَمّله رسالة تهديدية لملك مصر. فوصل هاشم شريف القاهرة يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارک من تلک السنة. وخَلَتْ رسالة شاهرخ من البسملة والختم المعهود، والتى دَلَّت على مدى غضب ملک الشرق (سلطان خراسان) واستيائه.

وابتدأت الرسالة بالآيات الشريفة من سورة الفيل: ألم تر كيف فعل ربّک بأصحاب الفيل ... ولم يذكر شاهرخ أىّ لقب رسمىّ أو غير رسمىّ، وكانت الرّسالة على العموم تنمُّ عن تهديد ووعيد لملک مصر. وعلى قول المقريزى كانت الرسالة مدوّية كالرّعد وقوية كالصاعقة. وكان شاهرخ، مع كلّ ذلک، قد أرسل بهدية الى حاكم مصر ذكرها صاحب «بدائع الزهور» باسم «الهدية الغشروية».

إلّا أنّ الملک الأشرف لم يخضع لرسالة شاهرخ ولا تهديدها، بل بعث جواباً عليها لا تقلّ شدة فى اللّهجة عن تلک التى أرسلها شاهرخ، وعلى رأى ابن أياس «من دقَّ الباب سمع الجواب». هذا وتكررت رسائل العتاب والمعاتبة، التى بعث بها شاهرخ إلّاأنّه لم يَلْق النتيجة المرجوّة. وكتب ابن تغرى بردى- الذى تنمّ كتاباته عن آثار ومواطن كثيرة ترمز الى العنصرية واللّون- فيما يتعلّق بمسألة العِناد، الذى أبداه الملک الأشرف ورفضه مقترح شاهرخ: لقد كان صمود وثبات الملک الأشرف إزاء مرامات شاهرخ ومطالِبِهِ- وذلک بعد فتح قبرص- أهم ما قامَ به الملک الأشرف طول سنىّ حكمه.

وكتب أيضاً: إنَّ الملک الأشرف باحتكاره مسألة إكساء الكعبة بحلّتها قد حفظ لمصر هيبتها وحرمتها، ولحكام مصر شأنهم ومنزلتهم الى يوم القيامة. ولا- جرم أنَّ ما دُوِّنَ من قِبَلِ مؤرخين مصريين فى هذا الشأن يدلُّ بوضوح على أنّ ابن تغرى بردى كان يُبالغ فى كتاباته ويشطط فيها، وأنّه كان من المتملقين لحكام مصر، ويبدو من فحوى الرسالة التى بعث بها شاهرخ الى الملک الأشرف فيما بعد أنَّ شاهرخ يقوم بطمأنة الملک الأشرف على وصول هداياه.

ص: ۲۴۳

مبعوث آخر:

كان تاج الـدين على بن عبـد اللَّه الشـريف مبعوثاً آخر من قِبَلِ شاهرخ، حمل معه هـدايا ورسالة تتضـمّن إثارةً للمقترح السابق، وكان تاج الدين صهر السيّد الشريف الجرجانى، كما روى ابن حجر الذى كان قد رآه بنفسه: وصل المبعوث المذكور فى ۲۷ محرم ۸۳۸ ه.

قام شاهرخ بـذكر نـذره السابق فى الرسالـة حول إرسالة حُلّة للكعبة الشـريفة لتعليقها داخل الكعبة، وطلب من الملك الأشـرف إرسال مبعوث من قبله الى هرات ليستلم الحلّة المذكورة.

فـدعا الملـك الأشـرف قضاةً من المـذاهب الأربعـة، وأقام لهم مجلساً، وقرأ عليهم اقتراح شاهرخ، وطلب منهم إبـداء رأيهم، وإصـدار فتوى بهذا الشأن.

فأجاب قاضى القضاة بدر الدين الحنفى: أنَّ مثل هذا النذر لا أساس له.

هذا وقد انتقد ابن حجر قضاة المذاهب الأربعة أشدّ انتقاد، وذكر بعض أجوبتهم، التى لا تنسـجم ومنطق العقل. وذكر ما قوله: «لقد قام بعض القضاة بكتابـة الأسـئلة والأجوبـة المتعلّقة بهذا الموضوع دون أن يُطْلَبَ منهم ذلك. وكتب البعض الآخر قائلين: إن من شأن هذا النذر أن يعطّل الوقف وهو ممّا لا يجوز».

وكتب أحـدهم يقول: «إنّه لما كان هذا العمل من شأنه أن يتحكّم بسـلطان مصـر فهو غير جائز». وأمّا السـلطان فقد كان رأيه غَلْق هذا الباب تماماً؛ لئلا يتيح لسـلاطين آخرين فرصة إكساء الكعبة. ويذكر ابن حجر أن رأيه كان كما قال السـلطان؛ لأنّ من شأن هذا العمل أن يفتح المجال للآخرين للدخول الى هذا الملعب.

ورافق الشـريف تاج الـدين، أثناء عودته الى خراسان، اقطوة موساوى مؤيّدى المضـيّف حاملًا رسالة جوابية من السـلطان فى مصـر الى شاهرخ.

أمر الكعبة مناطٌ بملوك مصر:

وكتب الأشـرف فى رسـالته الى شـاهرخ: أنَّ مسألـة إكساء الكعبـة الشـريفة أمرٌ مناطٌ بملوك مصـر ومتعلّق بهم دائماً وهم، أى ملوك مصر، يقومون بتهيئة الأموال

ص: ۲۴۴

اللازمة لعمل ذلك من دار الأوقاف المخصّص لهذا الغرض. وكان السلطان الأشرف قد اقترح على شاهرخ أن يبيع الحلّة، التى صنعها للكعبة ويتصدّق بمالها على فقراء مكّة إن هو أراد أن يَفىَ بنذره مِمّا سيضاعف له الثواب، ويستفيد أكبر عدد ممكن من الناس من ذلك المال.

وفى ۴ شوال وصلت رسالة من شاهرخ الى القاهرة تتضمن تهديداً وانتقاداً لما يُؤخذ من التجار من أموال باسم (حَقّ النزول الى الميناء)، وتلمّح الرسالة ضمناً أنَّ شاهرخ يعتزم التحرّك باتجاه القدس الشريف.

وأمّا اقطوة- مبعوث سلطان مصر- فقد رجع الى القاهرة فى ۲۸ جمادى الآخر عام ۸۳۹ ه. ثم وصل على إثره فى صباح اليوم التالى الشيخ صفا مبعوث شاهرخ الى القاهرة حاملًا رسالة اخرى من ملك الشرق.

كيف عومِلَ الرسول؟

استقبل الملك الأشرف الشيخ صفا الهروى فى الاصطبل السلطانى، وقام الشيخ بتلاوة رسالة شاهرخ بصوت عالٍ، وكان الملك الأشرف يستمع. وأمّا الرسالة فكانت تسمّى- بلسان شاهرخ- سلطان مصر نائباً لشاهرخ، ويأمره فيها أن يبدأ خُطَبَه ويضرب المسكوكات النقدية باسمه. فلمّا انتهى الشيخ من قراءة هذه الفقرة من الرسالة، تقدّم الشيخ نحو السلطان ليسلّمه الخلعة، التى أرسلت إليه من خراسان لكى يلبسها، وكذلك أرسل مع الخلعة المذكورة تاجاً للملك الأشرف.

فشاط بالملك الأشرف الغضبُ، وأمر بتمزيق الخلعة، وامِرَ بالشيخ التّعيس فضُرِبَ ضرباً مبرحاً، وغطِّسَ بالمسكين فى حوض الإصطبل فى يوم ذى زمهرير، حتى شارف الشيخ على الموت، ولم يتجرأ أحد على التوسّط لإنقاذه. ويقول ابن تغرى بردى ما شرحه: أنّه لم يَرَ السلطانَ فى هذه الحالة من الغضب فيما مضى قطّ. ثم دعا السلطان الشيخَ صفا وسلّمه رسالة تحتوى على مضامين عنيفة وعبارات شديدة جواباً على من بعثه. ومن بعض ما قاله السلطان فى رسالته هو أنّه لن يقبل

ص: ۲۴۵

شاهرخ هذا أن يكون حتى أصغر حرّاسه الليليين فى أقصى قرية تقع تحت ملكه، وهو يدعوه نائباً له على مصر. فأمر أن يُطرد مبعوث شاهرخ ومرافقيه من مصر ويركبوا البحر راجعين. فوصل الجماعة الى مكّة، وظلّوا هناك حتى جاء موسم الحجّ فأدّوا المراسم، وطفقوا راجعين الى بلدهم.

وأمّا ابن تغرى بردى فقد وصف ضرب وشتم مبعوث شاهرخ وتمزيق الرسالة بأنّه من أفضل أعمال الملك الأشرف وأقدرها، وقام بكيل المديح له على فعلته تلك، التى لم تكن لتُضاهيها فِعلةٌ اخرى طول فترة حكم السلطان المذكور.

وأمّا الملك الأشرف فلم يبق على قيد الحياة بعد تلك الواقعة طويلًا، حيث مات سنة ۸۴۱ ه. وتسلّم العرش مكانه ابنه الملك العزيز، الذى لم يدم حكمه فترة طويلة، وخُلِعَ عن ملكه وارتقى العرش مكانه الملك الظاهر.

حُلم السائس الذى تحوّل الى واقع!

فى يوم ۱۲ جمادى الآخرة سنة ۸۴۳ ه. دعا الملك الظاهر مبعوث شاهرخ القادم من هرات، وكتب مؤرخو خراسان من جملتهم عبد الرزاق وخواند مير يقولون: كان جقماق بيك- وهو نفسه الملك الظاهر- سائساً أيام حكم الملك الأشرف. فرأى فى ليلة حُلماً وكأن شاهرخ رفعه وأجلسه على العرش. فلمّا وصل جقماق هذا الى الحكم، أرسل معبوثاً الى شاهرخ فى هرات يُدعى جيجكتوقا، الذى كان من الأمراء الخاصين عنده. فوصل جيجكتوقا الى هرات فى ۸۴۳ ه.

ووُفِّقَ الى تقبيل يد شاهرخ.

مبعوث مصر يلقى حفاوة بالغة:

سأل شاهرخ المبعوث المصرى عن أحوال الملك الظاهر بعد أن أجلسه عن يمينه، وأقيم له استقبال منقطع النظير وضيافة كريمة، وكانت معظم الأوانى والأطباق المستخدمة فى تلك الضيافة مطعّمة بالجواهر الحمراء. وأقام له الأمراء الآخرون ضيافة مستقلّة وقدّموا إليه هدايا ثمينة جدّاً.

ص: ۲۴۶

علماء مصر يطلبون كتباً من خراسان:

وفى هذه المرّة على عكس المرّة السابقة طلب علماء مصر من خراسان كتباً عِدّة. وتقدّم جيجكتوقا بطلبٍ من السلطان جقماق (الملك الظاهر) لإرسال خمسة كتب قيّمة من مكتبة هرات هى:

۱- تأويلات أهل السُّنّة والجماعة للشيخ أبو منصور الماتربدى.

۲- التفسير الكبير للعلّامة الرازى.

۳- شرح تلخيص جامع للخواجة مسعود البخارى.

۴- شرح الكشّاف لمولانا علاء الدين بهلوان.

۵- الروضة، فى المذهب الشافعى.

وروى خواند مير أنّه بالرغم من وجود تلك الكتب فى مكتبة هرات إلّاأن تلك الكتب امر بها أن تُكتَبَ بخطّ جيّد وجديد وتمَّ فهرستها، واعطيت الى جيجكتوقا. وبعد أن تسلَّم جيجكتوقا مبلغ (۵۰) الف دينار وهدايا ثمينة اخرى عاد الى مصر. واعطى لكلّ خادم له وهم خمسون، الف دينار كهدية له إضافة الى الفرس والحُلّة الشخصية. ثم أمر شاهرخ حكّامهُ فى اصفهان وشيراز ويزد وكاشان أن يقوموا باستقبال مبعوث مصر ومرافقيه أحسن استقبال، وأن يقدّموا لهم ما استطاعوا من الهدايا.

المبعوث الذى قضى نحبه فى الطريق:

قام مولانا حسان الدين مباركشاه پروانجى أحد علماء هرات بمرافقة مبعوث السلطان المصرى حتى مصر إلّاأنّه قبل بلوغه القاهرة توفى فى (۱۳ ربيع الآخر ۸۴۴ ه) وقام ابنه خواجة كلان أو كلال نيابة عنه بايصال هدية شاهرخ ورسالته الى القاهرة.

عاصمة مصر تزدان بمبعوثى خراسان:

وصل الخواجة كلال ومرافقوه الى القاهرة فى ۲۶ ربيع الثانى ۸۴۴ ه. وكانت

ص: ۲۴۷

العاصمة المصرية قد زُيِّنَت بالمصابيح فى كلّ ركن منها، وخرج ابن سلطان مصر مع جماعة من الأمراء؛ لاستقبال الوفد القادم. ووصف ابن تغرى بردى والمقريزى ذلك اليوم بأنّه كان يوماً مشهوداً، وأن القاهرة لم تشهد طول حياتها مثل ذلك اليوم. وكان شاهرخ قد أرفق رسالته بهدايا قيّمة شملت (۱۰۰) فصٍّ من الفيروز و (۸۱) بالة من الحرير، وعدداً من الحُلَل والجلودوالقِرَب، وثلاثين بعيراً خراسانياً وأشياء ثمنية اخرى. وتسلّم المبعوثون الخراسانيون بالمقابل هدايا قيّمة كذلك. ثم توفى الخواجة كلال ودُفِنَ الأب والابن معاً فى القدس الشريف بصورة مؤقتة.

مَن صَبَرَ ظفر!

غادر السيد محمد زمزمى فى ۸۴۷ ه. الى مصر، فوافق الملك الظاهر على طلب شاهرخ لإكساء الكعبة بالحُلّة وأن يفى بنذره كيف ما ارتأى. فأنيط أمر نقل الحُلّة الى بعض من كبار رجال خراسان منهم الشيخ محمد المرشدى شيخ الإسلام وشمس الدين محمد أبهرى. ويروى مؤرخو مصر أنَّ إحدى زوجات تيمورلنك كانت ترافق القافلة المذكورة.

حُلّة يزدية:

كان قد تمّ صُنع حُلّة الكعبة الشريفة فى دار العبادة فى يزد، ثم ارسلت الى هرات وحُفِظَت فى خزانة العاصمة. فحمل المبعوثون فى هذه السنة (۸۴۸ ه) تلك الحُلّة وتوجهوا الى مصر.

كانت ترافق الحُلّة مجموعة مؤلّفة ممّا يقارب مئة شخص. فلمّا وصلت القافلة الى الشام استقبلهم أمراء وأعيان تلك المنطقة بحفاوة بالغة. وأثناء وصولهم الى مصر فى يوم الخميس ۱۵ شعبان ۸۴۸ ه. خرج جمعٌ من المقرّبين الى الملك الظاهر وبعض خواصّه؛ لاستقبال القادمين، وأنزلهم فى دار جمال الدين المحافظ فى ناحية بين القصرين. ثم تَمَّ استقبالهم من قِبَلِ الملك الظاهر سلطان مصر يوم الاثنين ۱۱ رمضان ۸۴۸ ه. وكان قد أصدر السلطان أمراً بإعداد حفلٍ بهيٍّ ترحيباً بالضيوف،

ص: ٢٤٨

وقد وصف السخاوی وابن تغری بردی ذلک الحفل بإسهاب وإطناب.

السّرقة تَطال المبعوثين:

بالرغم من أنَّ السلطان كان قد أمر بوضع ما أتى به المبعوثون من الهدايا، وكذلک حُلّة الكعبة فی مكان آمن وأمين، إلّاأنَّ مجموعة من المماليک الذين بلغ عددهم (٣٠٠) نفر قامت بالهجوم على الضيوف أثناء عودتهم من قصر السلطان الى منزلهم، وسلبوا ما كان معهم من الهدايا والأشياء النفيسة الاخرى من كُتب وفُصوص وقِرَب وذهب وجلود ..

وهُرِعَ اثنان من أمراء مصر وهما يلخجا (يل خواجة) وينال علايى دوادار والأمير تنبک حاجب الحجاب على إثر سماع صياح وأصوات المبعوثين الخراسانيين وانقذوهم من براثن اللّصوص.

السلطان يقدّم اعتذاره

ويروی عبد الرزاق السمرقندی أنّ السلطان تأثّر كثيراً بعد سماعه نبأ الهجوم على المبعوثين الخراسانيين وقال: لقد أغضَبَ المشاغبون صديقی وألّبوه عليَّ. فقدّم اعتذاره لخراسان، ثم أمر بإرجاع كلّ ما سُلِبَ إلى أصحابه، وأغدق عليهم من الهدايا ما زاد عمّا فقدوه.

معاقبة اللّصوص:

عوقِبَ المماليک الذين قاموا بالهجوم على المبعوثين، وقطِعَت رواتب بعضهم، وقُيِّد البعض الآخر بالسلاسل وطيف بهم فی طول المدينة وعرضها، ونودىَ بين الناس أنَّ هذا هو عقاب من يقوم بسرقة أموال حجّاج بيت اللَّه.

ثم بعث سلطان مصر بحُجّاج مصريين رافقوا المبعوثين الخراسانيين إلى مكّة، وعُلِّقت الحُلّة أخيراً داخل الكعبة فی يوم عيد الأضحى المبارک، ثم عادَ المبعوثون الى هرات بعد أدائهم مراسم الحجّ، وعند وصولهم الى هناک قاموا بتقديم تقرير مفصّل عن رحلتهم تلک المليئة بالمغامرات الى شاهرخ.

ص: ۲۴۹

(المصادر)

- ابن إیاس الحنفی، محمد بن أحمد، بدائع الزهور فی وقائع الدهور، ج ۲ ص ۲۴۴- ۲۴۵.

- ابن تغری بردی یوسف، النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر والقاهرهٔ، ج ۱۴، ص ۷۷، ۲۶۵- ۲۶۶، و ج ۱۵، ص ۳۶۴- ۳۶۶.

- ابن حجر العسقلانی، أحمد بن علی، أنباء الغمر بأبناء العمر، بیروت، ۱۴۰۶ ه. ج ۸، ص ۴۹، ۳۲۹- ۳۳۰.

- خواند میر، غیاث الدین محمد، حبیب السّیر، طهران، ج ۳، ص ۶۲۶- ۶۳۳.

- السخاوی، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوک فی ذیل الملوک، القاهرهٔ.

- عبد الرزاق السمرقندی، مطلع الیفسدین ومجمع البحرین، مخطوطهٔ.

- القلقشندی، أحمد بن علی، صبح الأعشی فی صناعهٔ الإنشاء، بیروت ۱۴۰۷ ه.

- المقریزی، تقی الدین أحمد، السلوک لمعرفهٔ دول الملوک، القاهرهٔ، صفحات مختلفهٔ.

الوضع الاقتصادی فی الجزیرهٔ العربیهٔ

ص: ۲۵۰

الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية

كاظم النصيرى

كان البدو يحترفون المهن، وكسب الرزق عن طريق الصناعة، وقد اقتصر عملهم فيها على مصنوعات بسيطة، يصنعها العربى لنفسه.

أمّا الزراعة فإن الجفاف وطبيعة البلاد العربية، قد جعلا الأرض قاحلةً.

وحتى التجارة فإنه لم يكن للبدو خُلق يؤهلهم لها، وقليلًا ما كانوا يمارسونها، بيد أنهم قد استخدموا حراساً للقوافل التجارية، أو أدلّاء لها لقاء أجور يتقاضونها من أصحاب القوافل، الذين ربما استأجروا منهم جمالًا لنقل بضاعتهم. ومع كون التجارة هى المهنة التى يكنّون لها شيئاً من الاحترام أكثر من سواها، فإنهم كانوا يكرهون التكالب عليها، ويندّدون باندفاع قريش فيها.

إنما كانت معيشة البدو قائمة على ما تنتجه مواشيهم من ألبان ولحوم يتغذون بها، ومن صوف ينسجون منه خيامهم ولباسهم، ومن جلود يستعملون منها قراباً أو أحذية يحتذونها. كما كانوا يعتمدون على الموارد التى تأتيهم من الغزو، الذى كان ركناً من أركان الحياة فى الصحراء. ولم يكن نوعاً من اللصوصية، بالرغم من

ص: ۲۵۱

أنه شبیه بها، بل کان فی نظرهم نوعاً من الممارسة المباحة ومن التقالید المتعارف علیها، إذ تغیر قبیلة علی اخری بسبب عداوة بینهما، أو حتی بسبب کونها أضعف منها، تأخذ إبلها وماشیتها ومتاعها، وتسبی نساءها وأولادها، فتتحفّز القبیلة المعتدی علیها للأخذ بالثأر، وتتربّص بالأولی، حتی إذا واتتها فرصة سانحة، انقضّت علیها لتغزوها بدورها، وتسلبها ما تملکه، ثأراً منها لما فعلته بها. ومما درج علیه العرب أنهم یحتفظون بالسبی من نساء وأولاد، حتی ترسل قبیلتهم الفدیة التی تطلبها القبیلة المنتصرة، کما کان المغیرون یتحاشون جهد استطاعتهم إراقة الدماء (۱) ..

فالبیئة البدویة بیئة غزو وغارات، وماذلک إلّالأن الصحراء قلیلة الموارد شحیحة بالنبات. فالقبیلة التی تشعر بأنها لا تملک ما یؤمن لها موارد الرزق والمعیشة، تری من حقّها أن تأخذ ممّن یملک، حتی أصبح الغزو جزءاً من عقلیة البدوی وطبعه.

التجارة فی الحضر:

یختلف الأمر بالنسبة للحضر، ذلک أن التجارة هی التی حظیت بالاهتمام فی المجتمعات الحضریة، فأقبل القوم علیها إقبالًا شدیداً إلی درجة أن المؤرخ الیونانی (سترابون) الذی اهتم بأحوال العرب فی الجاهلیة، کان یری أن کلّ عربی فیها تاجر أو دلیل (۲). ویقول (درمنجهایم): إن العرب کانوا الروّاد الأوائل للتجارة العالمیة، ولم یکن باستطاعة (الرومان) القدماء الاستغناء عنهم فی هذا المیدان. وبلغ من أهمیة التجارة لدیهم، أنّ الملوک والزعماء کانوا أحیاناً تجاراً، فملوک المناذرة کانوا یرسلون (القوافل التجاریة) الی أسواق الحجاز فی کلّ عام، کما کان ولاة الأمر فی تدمر قد مارسوا التجارة، وکذلک عَلِیّة قریش ورؤساؤها.

هذا من جهة، ومن جهة أخری فان التجارة کانت العامل الهام فی نشوء دولة الشمال العربی. وکان أثرها کبیراً علی أوضاع دول الجنوب العربی، من حیث

۱- ۱۱۰. Henri Massa: I. Islam. P

۲- ۲ ۲۶, ۲۴. Emile Dermenghem: Ibid., pp

ص: ۲۵۲

تذبـذب عواصـمها، وانتقالهـا تبعـاً لانتقال الأهمیـة التجاریـة من مکان إلی آخر، حتی أن سـقوط بعض الـدول ونشوء غیرها، سواء فی الجنوب أو فی الشـمال، کان علی الغالب مبنیاً علی أساس ازدهار التجارة فی الدولـة الجدیـدة الناشـئة، وانحطاط التجارة لـدی الـدولة الزائلة بسـبب تحوّل الطرق التجاریة عنها، وانحیازها الی الدولة الناشـئة. وفضـلًا عن ذلک، فإن العامل التجاری قد کیف سیاسة الدول الأجنبیـة المحیطـة بشـبه جزیرة العرب، وحـدّد موقفهـا تجـاه بعض الـدول التی قـامت فیهـا، إذ طمعت فیهـا کـلّ من بیزنطـة والحبشـة، وصـمّمت إمّا علی انتزاع مقالید التجارة من یدها، بالسیطرة علی المسالک التجاریة الهامة التی تصـلها بالشـرق الأقصـی، أو باحتلالها. والواقع أن بعض أطراف شبه الجزیرة قد رزحت تحت الاحتلال الحبشی.. (۱) ..

تجارة مکّة:

یقول (درمنجهایم): إنّ الازدهار التجاری الذی تصیبه شبه جزیرة العرب بعامّة ومکّة بخاصة، کان مرتهناً بطریق الهند، فبحسب أن یمرّ الطریق إلی الهنـد من الشـمال عبر وادی الرافدین- فارس- أفغانسـتان أو من الجنوب والغرب، عبر شـبه جزیرة العرب والخلیج والیمن، یکون العرب إمّا فقراء أو أغنیاء (۲). والواقع أن مکّة قد اسـتفادت من وقوعها علی طریق (الهند)، ذلک أن القوافل التجاریة الآتیة من (الیمن) ببضـائع (الهنـد)، والذاهبـة إلیها، کانت تمرّ فیها بوصـفها محطـة تجاریـة، لابـدّ لها من النزول فیها. کما أعان علی ازدهار مکّة وارتقائها من محطة تجاریة إلی مدینة عامرة تدهور العلاقات بین ایران وبلاد الشام البیزنطیتین، ونشوب حروب طویلة بین الطرفین، فی القرنین اللـذین سبقا ظهور الإسـلام، ممـا أدی إلی تعطیـل التجـارة بین بلاـد الشـام والهنـد عبر ایران وأفغانسـتان، وإلی انتقال النشاط التجـاری إلی شـبه جزیرة العرب، وخاصـة إلی ساحلهـا الغربی الواقع علی البحر الأـحمر، فـاتّجه المکیون إلی التجـارة، وانصـرفوا إلیها بکلیتهم، ولا سیما أن سقوط الیمن فی

۱- ۱.۱۰. clandr chanen: Llslamdes originesau Debutde l Empire of tomen, p إدوار بروی/ القرون الوسطی/ ص ۱۱۱.

۲- ۲ ۲۷ Emile Dermenghem: Ibid, p

ص: ۲۵۳

أيدى الأحباش، قد أدّى إلى خروج مقاليد التجارة من أيدى اليمنيين، وانتقالها بطبيعة الحال إلى أيدى المكيين، فعوّضتهم التجارة ما حرمتهم الطبيعة من موارد الزراعة، بسبب كون الحجاز اقليماً يسوده الجفاف والفقر فى النبات.

أسهم المكيون إضافةً إلى نشاطهم التجارى الداخلى، فى التجارة العالمية، فتاجروا مع مصر والحبشة، عبر البحر الأحمر عن طريق ميناء الشعيبة؛ الذى كان ميناءً لمكّة فى العهد الجاهلى ومع اليمن، ولا سيما بعد أن نظّم هاشم بن عبد مناف رحلتى الشتاء والصيف، الأولى إلى اليمن والثانية الى الشام، فجعلهما منتظمتين (۱) ..

وكان لقريش عداهما رحلات تجارية تسير فى أوقات مختلفة غير معينة، فأرسل المكيون قوافلهم إلى أسواق الحيرة، كما أرسلوها إلى الشام، يحملون إليها بضائع الهند من مجوهرات وتوابل وأقمشة نادرة، وبضائع الصين من ملابس حريرية مترفة للأباطرة والرهبان ورجال البلاط، ومن عطور وبضائع شرقى أفريقيا ومن ريش نعام وعاج ومسحوق الذهب وصموغ للكنائس، علاوة على صادرات الجنوب العربى من بخور ولبان وجلود ومعادن ثمينة وعطور (۲)، ويعودون منها بالحبوب والزيوت والخمور، والمنسوجات القطنية والكتانية، والحريرية، وحتى بالأسلحة التى كانت بيزنطة تفرض الحظر على تصديرها، فيلجأ العرب إلى تهريبها. وكان ارتحال القوافل أو قدومها يثير ضجّة عظيمة فى مكّة، فما أن يعلن عن قدوم إحداها حتى يهب سكانها فى شبه هيجان، ويستقبلوها بالدفوف والهتافات (۳)، لم تكن تجارة قريش ضيقة المجال، بل كانت عظيمة الاتّساع، ولم تكن قوافلها ملك أفراد، بل كانت تعبيراً عن آمال مدينة بأسرها، تحمل أموالًا لأهل مكّة جميعاً، منهم من يسافر معها، ومنهم من يستأجر رجالًا يقومون بهذه المهمة، ويسهم الجميع فى رأس مالها، وقد تبلغ قيمة أسهم أحدهم كأبى أحيحة بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو من أبرز أثرياء مكّة، (ثلاثين ألف دينار)، وقد لا يتجاوز سهم أحد الفقراء منهم نصف دينار. ويصل

۱- ۱ ۲۱. Henri Massé: L Islam, p

۲- ۲ المصدر السابق.

۳- ۳. ۲۸ ۲۷. Emile Dermenghem: Ibid., pp

ص: ۲۵۴

عـدد الإِبـل السائرة فيها إلى أكثر من (۱۵۰۰) بعير، شاهـد (استرابون) إحـداها فقـال: إنها أشـبه بجيش سائر، إذ يرافقها حراس يتراوح عددهم بين (۲۰۰- ۳۰۰) مسلح (۱).

والواقع أن تجارة قريش كانت تسير بقوافل لضـمان حماية الأموال، إذ يرافقها رؤساء وحراس وأدلّاء يقل عددهم أو يكثر، بحسب قلة الأموال الثمينة التى تحملها أو كثرتها.

ويختـار الادلّـاء من القبائـل التى تمرّ القافلـة فى أراضـيها، لأنهم أعلم بطرقها من غيرهم، وأكثر خبرة بمواطن الماء والكلإ، وأكثر علماً بمكامن الخطر الـذى قـد تتعرّض له القافلـة، كوجود عوارض طبيعيـة، يمكن أن يتخذها اللصوص وقطاع الطرق كمائن للإغارة عليها. كمـا يحرص المكيّون على أن يكون رؤسـاء القوافـل وحراسـها، من الشـجعان القـادرين على تـأمين حمايتها. ويعقـدون الاتفاقات مع رؤساء القبابل التى تمرّ القوافل فى أراضـيهم، ويدفعون لهؤلاء الرؤساء أتاوات وهدايا كى يسمحوا لها بالمرور، ويتعهدوا بحمايتها من اللصوص وقطـاع الطرق، حتى إذا تعرض للقافلـة أحـد من هؤلاـء بسوء، كان من واجب الرئيس المتعاقـد معه، الـذى يقع الاعتـداء فى منطقته، أن يتعقب المعتدين ويؤدّبهم، وأن يعيد الأشـياء المنهوبة إلى أصحابها. وكان التجار يضيفون مبالغ هذه الأتاوات والهدايا إلى أسـعار مبيع البضائع، الأمر الـذى يجعلها غاليـة الثمن. وكثيراً ما كان أصـحاب البضائع يلجأون إلى الوسائل المعنويـة لحماية تجارتهم، مثل تقـديم الهدايا والقرابين للآلهة عند مغادرة قوافلهم أو عند عودتها، وقد اتخذ بعض الأقوام كالانباط والتدمريين إلهاً خاصاً لحماية القوافل (ذو الثرى) عند الانباط و (ساعى القوم) أى حامى القوافل عند التدمريين.

ويعقـد القـائمون على الحكم العهود والمواثيق مع رؤساء وحكام الـدول المحيطـة بهم، التى تقصـدها قوافلهم، وهى التى تخوّلهم حقّ المرور فى أراضيهم والاتجار فيها

۱- Dermenghem, ۹۲ ۱.؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ۱۴

ص: ۲۵۵

وتوفیر الأمان لها وحسن الجوار (۱). أشبه شیء بالاتفاقات التجاریة، التی تعقد بین الدول فی أیامنا الحاضرة، ووفقاً لهذه العهود یتاح للتجار القرشیین التنقل فی البلاد التی تعقد معها دون أن یعترضهم أحد، کما یتاح لأیدولة منها إذا شاءت أن تراقب الوافدین إلیها. فالقوافل العربیة التی کانت تقصد الشام کانت تتسوق من أسواق عینتها الحکومة البیزنطیة لتحصّل منها الضرائب، ولتراقب الوافدین الأجانب إلی بلادها (۲).

وقد اعتمد الروم البیزنطیون علی تجارة مکّة فی کثیر من شؤونهم ووسائل ترفهم، ولا-سیما فی الحصول علی الأقمشة الحریریة المزرکشة الموشاة، ولم یکن بوسعهم الاستغناء عمّا یأتونهم به. وقد ذکر بعض مؤرخی الغرب أنه کان للبیزنطیین بیوت تجاریة فی مکّة یستخدمونها للشؤون التجاریة وللتجسس علی أحوال العرب (۳) ..

وتقاسم بنو عبد عوف النشاط التجاری فی مختلف البلدان المجاورة، فکان هاشم الذی یروی أنه قد حصل علی عهد أمان من القیصر البیزنطی لتجار مکّة، یذهب الی الشام، وعبد شمس الذی حصل علی عهد مماثل إلی الحبشة، والمطلب الی الیمن، ونوفل إلی فارس، وکلّ منهما حصل علی عهد (ایلاف) من کلّ من ملکی الیمن وفارس (۴). وقد نشطت التجارة فی عهد عبد المطلب بن هاشم، وازدهرت مکّة وأصبحت مرکزاً للصیرفة، کما یقول المستشرق (أولیدی)، ویمکن أن یدفع فیها التجار أثمان السلع، التی یُتّجر بها مع بلاد بعیدة، وکانت عملیات الشحن والتفریغ للتجارة الدولیة تتم فی مکة، ویجری فیها التأمین علی التجارة عند نقلها من مکّة إلی مختلف الجهات عبر طریق محفوفة بالمخاطر (۵). وقامت طبقة من الصیارفة، یؤمنون للتجار عملات الدول الأجنبیة التی یتعامل معها القرشیون.

ومثلما کان لبیزنطة وفارس، وربما للحبشة أیضاً، ممثلون تجاریون فی قلب مکّة، کان لمکّة أیضاً وکلاء تجاریون فی أماکن مختلفة مثل غزة والشام ونجران.

۱- ۱ أحمد إبراهیم الشریف: مکّة والمدینة فی الجاهلیة وعهد الرسول: ص ۹۳.

۲- ۲ المصدر السابق.

۳- ۳ ۱۸۴. p, dammahuM erofen aibarA: yraeI O

۴- ۴ أبو علی القالی: الأمالی: ۳/ ۱۹۹، سعید الأفغانی: أسواق العرب: ص ۱۵۵- ۱۵۶.

۵- ۵. ۱۸۲. p,. dibI: yraeI O

ص: ۲۵۶

كما كان يأتى إلى مكّـة قلة تجار أجانب من روم وفرس وغيرهم سـكنوا فيها، وخالطوا أهلها؛ وتحالفوا مع أثريائها، وأقام بعضـهم فيها لقاء جزيـة سـنوية يـدفعونها لهم، لتأمين حمايتهم ولحفظ أموالهم وتجارتهم. وقـد اتخذ بعض التجار الأجانب مستودعات فيها، لخزن بضـائعهم التى يـأتون بها كالقمـح والزيت والزيتون والخمور (۱)، وقـد أدّى اختلاـط قوافـل تجار العرب من قـديم الزمن بعرب الشام وغيرهم، إلى تسـرّب كـثير من الكلمـات التجاريـة والحضاريـة من يونانيـة وغير يونانيـة إلى لغـة العرب فتعربت بمرور الزمن فى العهد الجاهلى (۲). ومما يـدل على اهتمام الحجازيين بالتجارة كثرة الكلمات والعبارات المجازية، التى وردت فى القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بالتجارة مثل الحساب والميزان والقسط والمثقال والـذرة والقرض والربا والـدينار والدرهم الخ... أو فيما يخاطب التنزيل الحكيم قريشاً باللغـة، التى تفهمها وهى التجارة، من ذلك الآيات الكريمـة: يا أيها الـذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون باللَّه ورسوله وتجاهدون فى سبيل اللَّه بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (۳)

.

يقول (درمنجهايم): إن القرشـيين قـد تميزوا عن العرب جميعاً بحسن تـذوقهم للعمل التجارى، فـدعموا عملياتهم التجارية بتنظيم مالى ومصرفى مدهش، واستعملوا عملات مختلفة منها الدينار البيزنطى، الذى كان له المقام الأول فى شبه الجزيرة، ومنها عملات يونانية أو فارسـية (الدرهم الفضـى الفارسـى)، أو حميرية كما كان لهم موازين عامة، ويعتقد بأنهم استعملوا الميزان ذا الكفتين، كما يستدل من بعض الآيات الكريمة، ومكاييل (صاع، مد، ربع صاع) أشار إليها القرآن الكريم.

وكـان لهم موازين خاصـة دقيقـة يزنون بهـا السـبائك الذهبيـة الخام، ومكاييل خاصـة يكيلون بها مساحيق الـذهب. وقـد عمـد التجار المكيون إلى استعمال دفاتر حسابات تولوا مسكها، كما استعملوا أختاماً وأساليب معقدة ورموزاً فى الكتاب

۱- ۱ د. جواد على: مفصل تاريخ العرب قبل الإسلام: ۴/ ۲۰۲.

۲- ۲ الأفغانى: أسواق العرب: ص ۳۸.

۳- ۳ الصف: ۱۰- ۱۱.

ص: ۲۵۷

کانت تثیر تهکّم البدو لجهلهم بها (۱) ..

لم یکن التجار القرشیّون یجمدون أموالهم الفائضة، بل کانوا یوظفونها فی مشاریع استثماریة خارج الحجاز. فقد کان آل أبی ربیعة یشغلون أنوالًا لنسج الحریر فی الیمن، وکان لأبی احیحة الثری الکبیر أموال موظفة فی مشاریع زراعیة فی الطائف، ولأبی سفیان أملاک وولایات تجاریة فی شرق الأردن وفلسطین، ولعقبة بن أبی معیط مرکز تجاری فی مدینة صفوریة بفلسطین. ومن الدراسات التی قام بها بعض المستشرقین یستدل علی أنّ تجار مکّة کانوا یراعون بعض المعاملات التجاریة المالیة، ویذکر الباحثون بعض الطرق التی کانوا یتبعونها، مثل طریقة عقد القرض، وطریقة الشراکة والمضاربة، إذ کانت تکتب بها صکوک، فیقدّم امرؤٌ مالًا ویأخذ ربحاً، فیصبح شریکاً مضارباً، دون أن یشترک فی العمل.

وکثیراً ما کان الفقراء أو البدو البسطاء ضحیة أسالیب الغش، التی یلجأ إلیها التجار من ذوی الضمائر الفاسدة، أو الصیارفة الجشعون، الذین کانوا یقرضون المال بفائدة فاحشة تزید عن (۵۰ فی المائة) أو حتی (مائة فی المائة) أو السماسرة والوسطاء المریبون، الذین یبتغون جمع الأموال دون ما حاجة إلی رأس مال (۲)، کما کانوا فریسة للمزورین الذین یکتبون بالقروش المؤداة إلی المدین مستندات یسجلون فیها ضعف المبلغ الذی یؤدونه له، والذین کانوا یستعملون أسالیب لا حصر لها فی الخداع والغش، فیحصلون علی فوائد القروض مضاعفة، وتضاعف کلما تأخر المدین عن أداء الدین السابق، وهو الذی عبّر عنه التنزیل الحکم باسم (الربا) وحرّمه.

ومن التجارة التی راجت فی مکّة تجارة الرقیق، فأصبحت أکبر سوق لها، کما اصطبغت مکّة بصبغة دولیة، لکثرة ما کان یرتادها من غرباء جاءوا من أمم ومن أصقاع مختلفة، وأصبحت تعجُّ بهم عجّاً، بینهم فرس وروم وأحباش وزنوج، کما کان منهم النصاری والیهود، یشکلون جالیات جاء أفرادها للتجارة أو للعمل الیدوی فی البناء والزراعة والصناعة، أو جاء بعضهم هرباً من

۱- ۱ ,۳۲ ,۲۹ ,۲۶. pp, dibI: mehgnemreD

۲- ۲ المصدر السابق.

ص: ۲۵۸

الاضطهادات الدینیهٔ فی بلادهم الأصلیهٔ، مثل المسیحیین والیهود، وهذا ما یفسر لنا ما دخل لغهٔ قریش من ألفاظ رومیهٔ أو فارسیهٔ أو حبشیهٔ وغیرها (۱).

أسواق العرب:

کان للعرب أسواق تجاریهٔ عامّهٔ، یقصدها الناس من شتی أنحاء شبه الجزیرهٔ للبیع والشراء. وقد اختیرت لها الأماکن المناسبهٔ، من حیث الاتساع والقرب من المدن المتحضرهٔ وتوفر الماء. وهی تکون عادهٔ محاذیهٔ للسواحل، حیث المنخفضات، التی تتجمع فیها السیول الهابطهٔ من المرتفعات المجاورهٔ، أو مجاورهٔ للودیان التی تتوفر فیها الینابیع، أو متمرکزهٔ فی واحات هی فی الوقت نفسه محطات للتزود بالغذاء والماء، ومراکز تجاریهٔ ترتادها القوافل للبیع والشراء والراحهٔ. ولم یکن عرب شبه الجزیرهٔ فقط هم الذین یقصدون هذه الأسواق، بل کان یأتیها تجار من خارج البلاد. فقد کان الروم مثلًا یتوغلون الی مسافات بعیدهٔ فی أراضی العرب الشاسعهٔ للبیع والشراء (۲).

من هذه الأسواق ما هو دائم، ومنها ما هو موسمی مؤقت، یعقد فی شهر معین من السنهٔ، ومنها ما هو عام یرتاده العرب من شتی أنحاء شبه الجزیرهٔ، أو ما هو محلی یتم فیه التبادل بین التجار والبدو المجاورین. ومع أن هذه الأسواق اقیمت لغایهٔ أساسیهٔ هی التجارهٔ وتبادل السلع المختلفهٔ من طعام وشراب وثیاب وسلاح وخیل وإبل، غیر أنها لم تکن تقتصر علی هذا الأمر، بل کان الشعراء والخطباء والمبشرون الدینیون من مسیحیین، وغیرهم یقصدونها للمباراهٔ فی الشعر والخطابهٔ وبث الدعوات الدینیهٔ. ومما یُری أن الرسول صلی الله علیه و آله کان یخرج إلی هذه الأسواق، ویعرض دینه علی القبائل العربیهٔ، التی ترتادها لهدایتهم. وربما جاء أحدهم لیبحث عن غریم، أو عن عبد هرب من داره، أو عن دابهٔ سُرقت له (۳)، أو لیسعی. وفی هذه الأسواق، لا سیما فی سوق عکاظ، کان العقلاء ینتهزون فرصهٔ التقاء الزعماء من شتی القبائل، لیوفّقوا بین المتخاصمین منهم والمتنازعین،

۱- ۱ أحمد إبراهیم الشریف: مصدر سابق: ص ۲۱۳.

۲- ۲ د. جواد علی، مفصل تاریخ العرب ۴/ ۴۱۳.

۳- ۳ د. عمر فروخ، العرب فی حضارتهم وثقافتهم: ص ۸۶.

ص: ۲۵۹

ولیصلحوا بین قبیلة وأخری تقتتلان، وتحلّ المشاکل الموجبة للنزاع من دفع دیات أو وفاءٍ بالتزامات، أو دفع دیون. کما تعقد فیها عهود الجوار والمحالفات، وتعلن فیها القرارات التی تتخذها القبائل لخلع السفهاء من أفرادها. کانت الأسواق منتشرة فی جمیع انحاء شبه جزیرة العرب، وموزعة علی أیام السنة کلها بوجه التقریب. یقول القلقشندی (۱): «کان للعرب فی الجاهلیة أسواق یقیمونها فی شهور السنة، وینتقلون من بعضها إلی بعض، ویحضرها سائر قبائل العرب، من بَعُد منهم ومن قَرُب، فکانوا ینزلون دومة الجندل أول یوم من ربیع الأول فیقیمون أسواقها بالبیع والشراء والأخذ والعطاء فیعشرهم رؤساء آل بدر فی دومة الجندل، وربما غلب علی السوق بنو کلب فیعشرهم بعض رؤساء کلب، فتقوم سوقهم إلی آخر. ثم ینتقلون إلی سوق هجر، من البحرین فی شهر ربیع الآخر فتقوم أسواقهم بها. وکان یعشرهم (المنذر بن ساوی) أحد بنی (عبداللّه بن دارم)، ثم یرتحلون نحو عمان بالبحرین، فتقوم سوقهم بها، ثم یرتحلون فینزلون عدن من الیمن أیضاً، فیشترون منه اللطائم وأنواع الطیب، ثم یرتحلون فینزلون الرابیة من حضرموت، ومنهم من یجوزها إلی صنعاء، ثم تقوم أسواقهم بها ویجلبون منها الخرز الأدم والبرود، وکانت تجلب إلیها من معافر، ثم یرتحلون إلی عکاظ فی الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ویتناشدون الأشعار ویتحاجّون، ومن له أسیر سعی فی فدائه، ومن له حکومة ارتفع إلی الذی یقوم بأمر الحکومة، وکان الذی یقوم بأمر الحکومة فیها من بنی تمیم، وکان آخر من قام بها منهم (الاقرع بن حابس التمیمی)، ثم یقیمون بعرفة یقضون مناسک الحج ویرجعون إلی أوطانهم».

إن أشهر أسواق شرقی شبه الجزیرة العربیة: سوق (المشقّر) بالبحرین قرب هجر، وکان یرتادها ساکنو الجهات الشرقیة والغربیة من شبه الجزیرة، کما یرتادها تجار الهند وفارس. ویرتاد هؤلاء سوقاً أخری فی البحرین هی سوق هجر. وفی عمان وُجد سوقان احداهما سوق (دبا) وکانت مقصد الصینیین والهنود

۱- ۱ القلقشندی، نهایة الارب فی معرفة انساب العرب: ص ۴۶۴.

ص: ۲۶۰

إلی جانب من یقصدها من سکان شبه الجزیرة، والأخری سوق (صحار). واشتهر فی جنوبی شبه الجزیرة العربیة: سوق (الشحر) فی المهرة، وسوق (عدن) وسوق (الرابیة) بحضرموت وسوق (صنعاء) فی الیمن. وفی شمالی شبه الجزیرة سوق (دومة الجندل) وتقع علی منتصف الخط الواصل بین العقبة والبصرة تقریباً، وبالقرب من جبلی طی (أجأ وسلمی) وکان یتنافس علی رئاستها کلّ من أکیدر العبادی من السکون، وقنافة من بنی کلب أیهما کانت له الغلبة عشّر السوق. وأکیدر هو صاحب حصن دومة الجندل الشهیر، وقد دهمه خالد بن الولید بمناسبة وقعة تبوک، وتغلب علیه فأسلم بعدئذ. کان البیع یجری فی هذه بطریقة (بیع الحصاة)، ولم یکن أحد ممن یرتاد السوق یشتری أو یبیع حتی یبیع (الأکیدر)، ملک السوق، کلّ شیء یرید بیعه، ثم یشرع فی استیفاء المکس علی بیوع رواد السوق (۱).

أما غربی شبه الجزیرة، ولا- سیما الحجاز فقد حفل بکثیر من الأسواق، وکان السبب فی کثرتها أولًا: وجود الکعبة کمرکز دینی یستقطب الوافدین إلیه لاقامة الشعائر الدینیة، وبالمناسبة للقیام بالاعمال التجاریة فی أسواق اقیمت لمد الحجاج بما یحتاجون إلیه. ثانیاً: وقوع حواضره الهامة علی المسالک التجاریة المارة من الجنوب إلی الشمال. ثالثاً: لأن المنطقة متعددة الفعالیات، ففیها تجارة قریش المزدهرة، وبعض الواحات والحرات التی یتعاطی أهلها الزراعة، وتکثر فیها الغلات، وتقوم فیها بعض الصناعات، کما فی یثرب وفدک وتیماء وغیرها من الحرات التی سکنها الیهود. وقد اشتهر هؤلاء بصناعات کثیرة نقلوها إلی هذه الجهات، مما جعل فی المنطقة حرکة مبادلات تجاریة نشیطة.

سوق عکاظ:

ومن أشهر أسواق غربی شبه الجزیرة العربیة: سوق عکاظ التی عرفت بأهمیتها التجاریة العظیمة إلی جانب أهمیتها من الناحیتین الاجتماعیة والادبیة.

ففیها تباع أفخر الملابس وأطیب الخمور وأشهر أنواع الأسلحة، ویرد إلیها من

۱- ۱ الأفغانی، أسواق العرب: ص ۲۳۲- ۲۳۸.

ص: ۲۶۱

الیمن البرود الموشاة وأحسن أنواع الطیوب، ومن الشام الزیوت والزبیب والخمور، ویباع فیها الحریر والأحذیة وشتی الأدوات المعدنیة ویعرض فیها الرقیق. وقد یأتی إلیها غازٍ بما سلب من أسلحة خصم قتله فی غراة، فیری ذوو المقتول سلاح قتیلهم، فیترصدون بائعه، حتی إذا ظفروا به خارج السوق ثأروا منه لدم قریبهم. وکان من عادة فرسان العرب المبرزین أن یأتوا السوق ملثمین، کی لا ینکشف أمرهم ویتعرف علیهم ذوو الثارات عندهم، فیذهبوا ضحیة الثأر.

وسوق عکاظ معرض لکثیر من عادات العرب وأحوالهم الاجتماعیة، ولحل بعض مشاکلهم السیاسیة، إذ کان یتم التحکیم بین القبائل المتحاربة ویتبادل الفرقاء المتخاصمون دیات قتلاهم. ومن کان له أتاوة علی قوم نزل علی عکاظ فجاؤوه بها، ومن أراد إجارة أحد هتفَ بذلک فی السوق، لیعلم عامة الناس بذلک.

والقبیلة التی ترید خلع أحد السفهاء من أفرادها ینادی منادیها بذلک فیها. وإذا أراد أحد أن یلحق آخر بنسبه أعلن ذلک. وفی السوق تعقد معاهدات الصلح والسلام، ویتفق المتخاصمون علی دفع الدیات. فالسوق کانت بمثابة جریدة من الجرائد الدوریة والرسمیة، أو بالاحری وسیلة من وسائل الاعلام العامة. والی جانب کون سوق عکاظ معرضاً من معارض التجارة، ونـدوة من نـدوات السیاسة والاجتماع، فهی معرض من معارض الأدب والخطابة، إذ تعقد فیها حلقات الأدب والشعر، ویتناشد الشعراء قصائدهم، یحکم فیها أخصائیون یکونون فی الغالب من فطاحل شعراء الجاهلیة، ففی الروایات أن (نابغة بنی ذبیان) کانت تضرب له قبة من أدم أحمر اللون فی سوق عکاظ، یجتمع إلیه فیها الشعراء، ویستمع إلی ما ینشدونه من قصائد فیعطی رأیه فیها. ولعل ما عرف باسم المعلقات هو ممّا کان یعجب به هذا الشاعر الکبیر، وهذا یتم فی کلّ موسم من مواسم السوق. ومعلقات الشعراء الجاهلیین کثیرة، وهی من عیون الشعر فی الجاهلیة، ولعل تسمیتها جاءت من تشبیهها لجودتها بالقلائد التی تعلق فی نحور الغانیات. ولم یکن أقل من

ص: ۲۶۲

ذلـک شـأن الخطباء والوعاظ، إذا یحتشـد الناس حول أحـدهم، وتشـخص إلیه الابصار، فیطلع علیهم بخطبـهٔ کخطبـهٔ قیس بن ساعـدهٔ الأیادی التی یقول فیها:

(أیها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات،...) وهی معروفهٔ (۱).

وکان إلی جانب سوق عکاظ أسواق أخری أقل أهمیهٔ، مثل (مجنهٔ) و (ذی مجاز) وهی قریبهٔ من مکهٔ. وفی یثرب وحولها قامت بعض الأسواق مثل سوق (بنی قینقاع) فی یثرب نفسـها، حیث کان العرب یبتاعون مصنوعات الیهود الذهبیهٔ والمعدنیهٔ وغیرها، وقد اشتهر بنو قینقاع بالصـیاغهٔ. کما وجد فی یثرب سوق یقیمها النصاری من سـکانها تسـمی (سوق النبط)، والمعتقد أن نبط الشام کانوا ینزلون فیها للاتجار بالحبوب، کما قام خارج یثرب والی مسافـهٔ غیر بعیـدهٔ منها سوق بـدر، حیث وقعت الموقعـهٔ الشـهیرهٔ فی الإسـلام بین الرسول وکفار قریش وهو موضع توفر فیه الماء.

حمایهٔ التجارهٔ فی الأسواق:

تعارف العرب علی تقالید یلتزمون بها فی أمور تجارتهم، ومواسم حجّهم الی الکعبهٔ. وهی تقضـی بتحریم القتال خلال أربعهٔ أشهر فی السـنهٔ سموها الاشهر الحرم، ثلاثهٔ منها متتابعهٔ هی ذو القعدهٔ، ذو الحجهٔ، المحرم، وشهر واحد منفرد هو رجب الفرد، أو رجب الأصم، وربما کان السـبب فی تسـمیته (الاصم) کونه لا تسـمع فیه قعقعـهٔ السـلاح. وکان من أعظم العار عندهم، أن یخرق أحدهم حرمهٔ هذه الأشـهر فیسـفک فیها دماً، حتی تنقضـی تماماً، وحتی یغادر الناس المکان الحرام، أی الکعبهٔ وما یجاورها من أماکن محدودهٔ المعالم، والحرب محرمـهٔ فیها طوال أیام السـنهٔ، فإذا لقی المرء قاتل أبیه ما وسـعه التعرض له بسوء فیها. ولـذا سـمی العرب الحروب التی جرت بین کنانهٔ وقیس عیلان فی عکاظ باسم (حروب الفجار) لأنهم اقتتلوا فی الأشهر الحرم، وامتدت اشتباکاتهم حتی الأماکن المقدسهٔ.

والسبب الذی حمل العرب علی اتباع هذه التقالید، هو حرصهم علی توفیر

۱- ۱ الأفغانی، أسواق العرب: ص ۲۷۷- ۳۱۵.

ص: ۲۶۳

جو من السلام والطمأنینة، خلال مواسمهم الدینیة التی یشترک الناس والقبائل من أرجاء شبه الجزیرة العربیة کافة فیها. وقد حرصوا علی جعل أکبر أسواقهم تقام فی الأشهر الحرم؛ لتوفیر جو السلام والهدوء للتجارة أیضاً. فکانت سوق حُباشة وسوق صحار فی رجب، وسوق حضرموت فی ذی القعدة، وأسواق عکاظ ومجنة وذی مجاز فی ذی الحجة (۱)، بحیث لا ـ ینتهی بیعهم وشراؤهم من سوق عکاظ حتی ینصرفوا إلی السوق التی تعقد بعدها، ویستمر تنقلهم علی هذا المنوال طوال أیام السنة تقریباً. کما أن من الأسواق ما کانت تقام فی غیر الأشهر الحرم، الأمر الذی أوجب أن یکون قدوم الناس إلیها بعروضهم التجاریة بخفارة، ورجوعهم منها کذلک، خوفاً علی هذه العروض من أن تکون نهباً مقسماً للصوص وقطاع الطرق. فتجارة العرب کانت أروج ما یکون حیث یستتب الأمن، ویعم الهدوء، وتعم الثقة. وقد تمیزت مکّة وما یجاورها من مناطق بهذه المیزة لمجاورتها الکعبة، فغنیت وازدهرت من التجارة، وفرضت نفوذها الأدبی علی القبائل العربیة کافة.

بید أن رعایة التقالید الآنفة الذکر لیست بالشیء المطرد علی اطلاقه، بل قد یحدث أن بعض القبائل لا تعرف لهذه الحرمات حقاً، فتسفک الدم ولو فی الشهر الحرام وفی البلد الحرام (۲)، أو أن طالب ثأر لا یملک أعصابه حینما یشاهد قاتل أخیه أو أبیه فیقتله، الأمر الذی حمل القوم علی التفکیر فی توفیر الحمایة لهذه الأسواق.

وقد اطلق علی من یقومون بهذه المهمّة اسم (الذادة الُمحرِمین)، بینما اطلق علی الذین یهتکون حرمة التقالید المتعارف علیها اسم (الُمحِلین). ویشرف علی مهمة الذود عن (التحریم) الملوک، إذا کانت الأسواق تعقد فی أرض مملکة، أو رؤساء القبائل الذین تقوم الأسواق فی جوارهم. والرئیس الذی یحمی السوق یلقب باسم (ملک السوق)، وربما تنافس رئیسا قبیلتین مجاورتین علی ملکیة السوق، فیجری الاتفاق بینهما علی التناوب فی القیام بهذه المهمة. وتتجلی سیادة الرئیس بأخذ العشر من التجار عمّا یباع، ویطلق علیه اسم (المکس)، وکان یقال للعشار

۱- ۱ الأفغانی، أسواق العرب: ص ۷۰.

۲- ۲ المصدر السابق: ص ۷۳.

ص: ۲۶۴

صاحب المكس (۱).

وربما اعتبر بعضهم المكوس بمثابة غرامات، وإلى ذلك يشير الشاعر (جابر ابن حنى التغلبى) بقوله:

أفى كلّ أسواق العراق أتاوة وفى كلّ ما باع امرؤ مكس درهم طرق البيع ومصطلحاته:

هناك طرق مختلفة للبيع والشراء عرفت فى الجاهلية. وبعضها يبدو على شيء من الغرابة، بحيث لا يختلف عمّا هو معروف لدينا الآن باسم (الحظ واليانصيب)، وقد أبطلها الإسلام إثْر قيامه. ولعل أشهرها طريقة بيع الحصاة التى كانت معروفة فى سوق دومة الجندل.

وتتم على أشكال مختلفة، كأن يقول البائع للمشترى: ارمِ هذه الحصاة على أى ثوب وقعت فهو لك بكذا من الدراهم. أو أن يعترض المشترى قطيعاً من الغنم فيقول له صاحبه: ارمِ حصاة (فأى شاة أصابتها فهى لك بكذا). أو أن يبيع رجل من أرضه بقدر ما تنتهى إليه رمية حصاة بكذا من النقود. أو أن يقبض على كف من الحصى ويقول: لى بكلّ حصاة درهم ثمناً لكذا من الأشياء أو السلع التى يبيعها.

أو أن يجتمع نفر على سلعة يساومون صاحبها عليها، فأيهم رضى القى حصاته فيقع عليه البيع (۲).

ومنها بيع الملامسة: وذلك بأن يأتى البائع بثوب مطوى نهاراً أو فى ظلمة، فيلمسه المستام، فيقول له صاحب الثوب: «بعتكه بكذا شرط أن يقوم لمسك له، مقام نظرك، ولا خيار لك إذا رأيته، فلا يقلب المشترى الثوب لا ليلًا ولا نهاراً.

ومن طرق بيوع الجاهلية:

بيع المعاومة: كأن يبيع الرجل ثمرة شجره عامين أو ثلاثة أو أكثر. وهو بيع مجهول وغير مملوك.

۱- ۱ المصدر السابق: ۵۶.

۲- ۲ الآلوسى، بلوغ الارب ۱/ ۲۶۴.

ص: ۲۶۵

بیع المزابنـة: وهو بیع الرطب فی رؤوس النخل بالتمر کیلًا، أی بیع شـیء لا یسـلم کیله ولا عـدده ولا وزنه بمسـمی من مکیل وموزون ومعـدود، وقـد یکون بیع معلوم بمجهول من جنسه، ویحتمل فیه الغبن فهو بیع مغابنـة. وسـمی بیع المزابنـة؛ لأنّ أحد المتابعین إذا ندم زین صاحبه عما عقد علیه، أی دافعه فی ذلک.

بیع التصـریة: وتتلخص بـأن الرجـل إذا أراد بیع شاة أو ناقـة امتنع عن حلبها أیاماً، فیحتفل اللبن فی ضـرعها فیعظم. فإذا کان ذلک منها عرضـها للبیع، فیظن المشتری أن کثرة لبنهـا واحتفـال ضـرعها عادة مسـتمرة لها، فلا یلبث أن یتبین خطأه بعـد شـرائها. والتصـریة تعنی الجمع، یقال: صرّ الماء فی الحوض إذا جمعه.

ومن بیوع الجاهلیة بیع ما فی بطون الحوابل من الحیوانات، وأخیراً هناک ما یقال له:

بیع النَجَش: وهو أنْ یواطئ البـائع رجلًا آخر، فیحمله علی امتـداح بضـاعته، أو أنْ یساومه علیها بثمن مرتفع، فینظر إلیه ناظر یرغب فی شرائها، فتجوز علیه الخدعة ویشتری السلعة بثمن مرتفع (۱).

وأخیراً هناک:

بیع النـاجز: وهو البیع المعروف لجمیع النـاس بـادین وحاضـرین وذلـک إذا کـانت المبادلـة یـداً بیـد. قالوا: بیع السوق ناجزاً بناجز أی حاضراً بحاضر (۲).

الهوامش:

۱- ۱ الافغانی، أسواق العرب: ص ۴۹- ۵۴.

۲- ۲ المصدر السابق: ص ۵۵- ۵۶.

ص: ۲۶۶

ص: ۲۶۷

معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة ... (۶)

معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة ... (۶)

معجم ما کتب فی الحجّ والزیارة ... (۶)

عبد الجبار الرفاعی

الدائرة بین مکة والبلاد

ابن فضل العمری القرشی (۷۰۰- ۷۴۹ ه)

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

دار الأرقم بن أبی الأرقم أول مدرسة فی الإسلام

أحمد العربی

المنهل (جدة) مج ۶: ج ۱۱- ۱۲ (۱۱- ۱۲/ ۱۳۶۵ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۴۶ م)

ص ۵۴۰- ۵۴۲.

دار القلائد فیما یتعلق بزمزم وسقایة العباس من العوائد

ابن علان المکی

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹) ص ۲۰.

دار الندوة

فؤاد طرزی

العربی ع ۳۵ (۱۹۶۱ م) ص ۲۴- ۲۷.

دار الهجرة وأهلها

عزالدین الخطیب التمیمی

ص: ۲۶۸

هدی الإسلام س ۲۶: ع ۱ (۱۴۰۲ ه) ص ۸- ۱۴.

داروهای حج

(بالفارسیة)

طهران: ط ۱، ۱۳۷۱ ش.

داستان به حج رفتن مرد سفیه

(بالفارسیة)

مجهول المؤلف

ط: سنا ۲/ ۱۳۳ «حکایت....»، فهرستواره منزوی ۱/ ۳۴۰.

داستان حج مالک (ملک) دینار

(قصة حج مالک بن دینار، بالفارسیة)

مجهول المؤلف

ط: فیلمها ۲/ ۲۶۹، فهرستواره منزوی ۱/ ۳۴۸.

دانستنی‌های پیش از حج عربستان سعودی وتاریخ مکة ومدینة

(بالفارسیة)

جعفر شهیدی

طهران: دفتر تبلیغات وآموزش حج، ط ۱، ۱۳۶۱ ش، ۶۴ ص.

دانستنی‌های پیش از سفر به خانه خدا

(بالفارسیة)

مهدی ملتجی

طهران: کتابفروشی اشرفی، ۱۳۵۱ ش، ۳۰۷ ص، ۲۴ سم.

دانستنی‌های حج- کتاب برای کودکان ونوجوانان

(بالفارسیة)

محمد شیرازی، حسین شاهرودی

قم: اسلامی، ط ۳، ۱۳۶۸ ش، ۳۲ ص.

دانستنی‌های سفر حج

(بالفارسیة)

محمد علی بسطامی

طهران: انتشارات مهدیه، ۱۳۵۰ ش، ۱۵۰ ص.

داستانهای شنیدی از فتح مکة وجنگ حُنین

(بالفارسیة)

لمحمد محمدی اشتهاردی

قم: جماعة المدرسین فی الحوزة العلمیة، ۱۳۶۸ ش/

ص: ۲۶۹

۱۹۸۹ م، ۱۵۸ ص.

در آرزوى دو قطره اشك

[خاطرات سفر حج]

(بالفارسية)

غلام حسين جمى

ميقات حج س ۲: ع ۵ (پائيز ۱۳۷۲ ش) ص ۱۹۵- ۲۰۰.

الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه و آله

غالى محمد الأمين الشنقيطى

جدة: دار القبلة- بيروت:

مؤسسة علوم القرآن، ط ۳، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، ۲۷۰ ص، ۲۴ سم.

در جستجوى اهداف وحكمتهاى مراسم حج

(بالفارسية)

محمد باقر حجتى

ميقات حج: ع ۱۶ (تابستان ۱۳۷۵ ه) ص ۱۰- ۲۸.

ع ۱۸ (زمستان ۱۳۷۵ ش) ص ۱۰- ۲۸.

در حريم بيت العتيق سفر به مكه

(بالفارسية)

عباس بهلوان

طهران: انتشارات جاويدان، ۱۳۵۲ ش، ۲۰+ ۱۵۸ ص.

در حريم دوست [خاطرات سفر حج]

(بالفارسية)

محمد على مهدوى راد

ميقات حج س ۲: ع ۵ (پائيز ۱۳۷۲ ش) ص ۱۷۷- ۱۹۳.

در حريم عشق

(بالفارسية)

محمد تقى نعمت زاده

ميقات حج: ع ۱۷ (پاييز ۱۳۷۵ ش) ص ۲۶۲- ۲۸۱.

در راه برپايى حج ابراهيمى

(بالفارسية)

عباس على عميد زنجانى

طهران: وزارة الثقافة والارشاد الإسلامى، ط ۱، ۱۳۶۶ ش، ۱۸۲ ص، ۲۱ سم.

در راه خانه خدا

(بالفارسية)

ص: ۲۷۰

عزالدين قلّوز

ترجمة: جعفر شهيدى

طهران: دانش نور، ط ۱، ۱۳۵۷ ش، ۲ ج.

در زيارت مدينه منوره

(بالفارسية)

محيى لارى

ميقات حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش)، ص ۱۴۴- ۱۴۸.

الدر الكمين فى ذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين

ابن فهد المكى

حققه ونشره: حمد الجاسر.

صدر عن: دار اليمامة للترجمة والنشر

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

در محضر نور امامان عليهم السلام در حجر اسماعيل

(بالفارسية)

محمد أمين پورامينى

ميقات حج. س ۴: ع ۱۱ (بهار ۱۳۷۴ ش) ص ۱۸۰- ۱۹۵.

الدّر المنيف فى زيارة أهل البيت الشريف

أحمد بن أحمد مقبل المصرى

فرغ منه سنة ۱۲۶۷ ه

خ: الخديوية بمصر

ظ: ايضاح المكنون ۱/ ۴۵۲، الذريعة ۸/ ۷۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ۹/ ۴۵۴.

الدر النصيع فى زيارة النبى وأئمة البقيع

محمد صالح بن أحمد آل طعان ت ۱۳۳۳ ه.

خ: مكتبة السيد عبدالكريم بن محمد الشيخ بالمنطقة الشرقية فى السعودية.

الموسمحج ۳: ع ۹، ۱۰ (۱۴۱۱ ه)، ص ۴۴۱.

دراسات عن الأضاحى ومدى الاستفادة منها

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك

ص: ۲۷۱

عبدالعزيز، ۴۶ ص.

دراسات فی تاريخ الدول العربية فی عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين (۱- ۱۳۲ ه/ ۶۲۲- ۷۴۹ م)

مصطفی أبو ضيف أحمد

الدار البيضاء: دار النشر المغربيّة، ۱۹۸۳، ۵۵۶ ص، خرائط، شجرات انساب.

دراسات موسم الحج لعام ۱۴۰۰ ه.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ۱۴۰۱ ه، ۱۶ ص.

دارسات موسم الحج لعام ۱۴۰۱ ه.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ۱۲۵ ص.

دراسات موسم الحج لعام ۱۴۰۲ ه.

حفيظ أحمد باشا وآخرون

جدة: جامعة الملك عبدالعزيز، ۲۱۰ ص.

دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة «مسجد الحنيف» و «مسجد البيعة» بمنی

ناصر عبداللّه البركاتی ومحمد نيسان سليمان مناع

جدة: دار المدن، ط ۱، ۱۴۰۸ ه، ۲۶۰ ص، ۲۴ سم.

دراسة جغرافية لموقع غزوات الرسول صلی الله عليه و آله و سلم

ابراهيم حسن النصيرات

الرياض: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ۴۰۰ (ه. (رسالة ماجستير)).

دراسة عن مواقع المساجد بمدينة مكة المكرمة

عبدالعزيز بن صقر الغامدی

مكة: مطبوعات نادی مكة الثقافی الأدبی، ۱۴۰۶ ه، ۵۶ ص، ۲۴ سم.

دراسة موجزة لبعض مؤلفات كرستيان سنكوك هورغرونی عن تاريخ الجزيرة العربيّة

عبداللطيف بن دهيش

فی: الندوة العالمية الأولی

ص: ۲۷۲

لدراسات تاریخ الجزیرة العربیة (الریاض: ۵/ ۱۳۹۷ ه/ ۴/ ۱۹۷۷ م).

دراسة نقدیة لحال الحجاز قبل الإسلام

عبدالأمیر الأعسم

رسالة الإسلام (کلیة أصول الدین: بغداد) س ۲: ع ۳، ص ۹۸- ۱۱۱.

دراسة نقدیّة لطریق الحج بین الکوفة ومکة

المنهل (جدة) مج ۳۹: ج ۱ (۱/ ۱۳۹۸ ه/ ۱۲- ۱/ ۱۹۷۸ م) ص ۲۶- ۲۹.

درب زبیدة

طریق الحج من الکوفة إلی مکة

«دراسة تاریخیة وحضاریة أثریة»

سعد عبدالعزیز سعد الراشد

الریاض: دار الوطن للنشر والإعلام.

درر الحکم فی أسرار مناسک الحج والبیت الحرام

(رسالة)

یونس وهبی الرومی الحنفی

ط: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

درر الفوائد المنظمة (یشتمل علی جل تاریخ مکة)

عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاری الجزیری، کان أمیر الحج المصری ما یقرب من نصف قرن ت ۹۷۷ ه

طبع سنة ۱۴۰۳ ه، ۳ مج

العرب. س ۱۸: ع ۷- ۸ (۱، ۲/ ۱۴۰۴ ه/ ۱۰، ۱۱/ ۱۹۸۳ م) ص ۴۳۳- ۱۴۸۰ (حمد الجاسر)

درس‌هایی از فقه سیاسی اسلام

(اسرار، مناسک، أدلّه حج)

(بالفارسیة)

د. م: صوت اسلام، ط ۲، ۱۳۶۲ ش، ۴۶۴ ص، ۲۴ سم.

درسهایی از حج

(بالفارسیة)

میقات حج س ۲: ع ۵ (پائیز ۱۳۷۲ ش) ص ۴۱- ۴۴.

ص: ۲۷۳

درس‌هائی از ولايت با ضميمه سوغاتی از حج

(بالفارسية)

د. م: د. ن، ط ۱، ۱۳۶۲ ش.

الدرّة الثمينة فی أخبار المدينة

محب الدين محمد بن محمود بن النجار ت ۶۴۳ ه

تحقيق: صالح جمال

بيروت: دار الفكر، ۱۳۹۱ ه.

الدرّة الثمينة فی تاريخ المدينة

محمد بن جعفر بن هارون بن فروة الكوفی النحوی الشيعی من مشايخ النجاشی ت ۴۲۰ ه

ظ: ريحانة الأدب ۸/ ۲۴۷، الذريعة ۸/ ۹۶

الدرّة الثمينة فی زيارة المعصومين فی المدينة

محمد صالح بن أحمد آل طعان الستری البحرانی ت ۱۳۳۳ ه.

(رتّبه علی اثنی عشر باباً فی أعمال المدينة، فرغ منه سنة ۱۳۲۵ ه)

خ: مكتبة آل طعان فی القطيف.

ط: الذريعة ۸/ ۹۵، الموسم مج ۳:

ع ۹ (۱۴۱۱ ه) ص ۴۳۲.

الدرّة الثمينة فی فضل المدينة

محمد بن محمود البغدادی الشافعی المعروف بابن النجّار ت ۶۴۳ ه

خ: مكتبة الحرم المكی الشريف فی مكة المكرمة

طُبع فی سنة ۱۹۵۶ م، (مع شفاء السقام)

ظ: الغدير ۵/ ۹۹، ۱۰۴، ۱۰۵، ريحانة الأدب ۸/ ۲۴۸، فهرس الفهارس والاثبات ۶۸۰، نشرة أخبار التراث العربی ع ۱۸ (۳، ۴/ ۱۹۸۵ م) ص ۱۱.

الدرّة الثمينة فيما لزائر قبر النبی صلی الله عليه و آله و سلم إلی المدينة

أحمد بن محمد بن يونس القشّاش (۹۹۱- ۱۱۰۷ ه)

القاهرة: مطبعة التقدم العلمية، ۱۳۲۶ ه، ۱۵۷ ص.

ظ: ايضاح المكنون ۱/ ۴۵۷، هدية العارفين ۱/ ۱۶۱، معجم المطبوعات العربية لسركيس ۱۷۲۰، معجم ما ألف عن

ص: ۲۷۴

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم ۳۵۴.

الدرّة الفاخرة فى زيارات العترة الطاهرة

محمد صادق بن محمد النمينى اللنكرانى

ظ: الذريعة ۸/ ۱۰۶، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۵۷.

الدرّة فى أحكام الحج والعمرة

سليمان بن أحمد آل عبدالجبار القطيفى ت ۱۲۶۶ ه

ظ: الذريعة ۸/ ۸۹، ۲۲/ ۲۷۶.

الدرّة فى مناسك الحج والعمرة

(بالفارسية)

محمد الفيروزآبادى اليزدى

النجف: المطبعة الحيدرية، ۱۳۳۸ ه، ۳۹ ص.

الدرّة المضيئة فى الزيارة المصطفوية

على بن سلطان القارى الهروى ت ۱۰۱۴ ه

خ: فى مكتبة حسن حسنى باشا ۱/ ۲۵۱

(باسم الدرة المضيئة فى زيارة الروضة الرضيّة) عارف حكمت، ۷۲ مجاميع.

ظ: كشف الظنون ۲/ ۷۴۳، ايضاح المكنون ۱/ ۴۶۰، الذريعة ۸/ ۱۰۸، معجم ما ألّف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم ۳۵۵.

الدرّة المضيئة فى الزيارة المصطفوية

محمد أمين بن عابدين ت ۱۲۵۳ ه

ظ: الغدير ۵/ ۱۲۱

الدرّة المكلّلة فى فتح مكة المشرفة المبجلة

محمد بن محمد بن عبدالرحمن البكرى الصديقى ۸۹۸- ۹۵۲ ه

طُبع فى:

مصر: ۱۲۸۷ ه، ۱۲۸۲ ه، ۱۰۴ ص.

مصر: ۱۲۹۷ ه.

المطبعة الميمنية: ۱۳۰۰ ه و ۱۳۰۸ ه، ۸۴ ص.

مطبعة عثمان عبدالرزاق: ۱۳۰۱ ه و ۱۳۰۳ ه.

ص: ۲۷۵

المطبعة العثمانية: ۱۳۱۰ ه، ۷۹ ص.

مصر: ۱۳۱۷ ه، ۶۳ ص.

المطبعة الشرفيّة: ۱۳۲۴ ه، ۶۳ ص، ۱۹۳۵، ۲۰۰ ص.

القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ۱۹۸۷ م، ۱۸۲ ص.

ظ: معجم المطبوعات لسركيس ۵۸۱.

دروس حجة الوداع

أحمد غراب

فى: ندوة الحج الدوليّة (لندن:

المعهد الإسلامى، ۴- ۷ أغسطس ۱۹۸۲ م).

دروس من السماء؛ الأضحية ومشروعيتها

اسماعيل الطحان

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۹۹ (۱۳۹۶ ه) ص ۱۳- ۱۷.

دروس الوحدة والتضحية فى لقاء الحج والاحتفال بعيد الأضحى

محمد حامد أبو النصر

لواء الإسلام (القاهرة) س ۴۵: ع ۴ (۶/ ۱۹۹۰ م) ص ۴- ۵.

دروس وعِبر من غزوة فتح مكة

محمود شيت خطاب

مجلة درع الوطن (أبو ظبى) ع ۶۶ (محرم ۱۳۹۷ ه) ص ۳۸- ۳۹.

دروس وفتاوى فى الحرم المكى

محمد بن صالح عثيمين

اعداد: بهاء الدين بن عبد المنعم آل دحروج

الرياض: مكتبة اولى النّهى

بيروت: دار حضر، ط ۲، ۱۴۱۱ ه، ۴۴۴ ص، ۲۴ سم.

درون كعبه در دو ديدار

هادى فرهنگ انصارى

ميقات حج: ع ۱۸ (زمستان ۱۳۷۵ ش) ص ۱۸۶- ۱۹۹.

دستور حج وعمره

(بالفارسية)

على العلامة الفانى الاصفهانى

النجف الأشرف: مط النعمان، ۱۳۸۵ ه، ۱۴۹ ص.

دستور العمل فى الحجّ والمزار

باقر بن غلام على التسترى

ص: ۲۷۶

ت ۱۳۲۷ ه.

دعاء عرفه للإمام على بن الحسين عليه السلام

طهران: انتشارات الغدير، ۱۳۵۱ ش، ۱۶ ص، ۱۷ سم.

دعاها واذكار حج

(بالفارسية)

اصفهان: اداره كل ارشاد اسلامى، ط ۱، ۱۳۶۰ ش.

دعاها واذكار مناسك حج، زيارات اعتاب مقدّسة مكة ومدينة

(بالفارسية)

حسين عماد زاده

طهران: مكتبة سعدى، ط ۱، ۱۳۹۶ ه.

دعاى عرفه (روز شناخت)

(بالفارسية)

عبدالكريم بى آزار شيرازى

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ۱۳۷۳ ش، ۶۴ ص، ۲۴ سم.

دعاى عرفه

(بالفارسية)

ترجمة وشرح: على أكبر محبّ الاسلام

مشهد: (د. ن) (د. ت)، ۲۰ ص.

دعاى عرفه

(بالفارسية)

اعداد وتنظيم: معاونت آموزش وتحقيقات بعثه مقام معظم رهبرى

طهران: نشر مشعر، ۱۳۷۲ ش، ۷۹ ص.

دعاى عرفه امام حسين عليه السلام

(بالفارسية)

حسين عماد زاده اصفهانى

طهران: مكتب قرآن، ۱۳۵۳ ش، ۱۲۱ ص، ۲۴ سم.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، ۱۲۴ ص.

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۲۹۳، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۱.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، تاريخ وقفها سنة ۱۳۰۹ ه.

ص: ۲۷۷

ظ: الذريعة ۸/ ۲۰۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۱.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، فى ۲۴۸ صفحة.

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۸۸، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۱.

الدعوات والزيارات

خ: سپهسالار، فى ۴۷۴ ص.

ظ: فهرس سپهسالار ۱/ ۵۶، الذريعة ۸/ ۲۰۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۱.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية، وقّفها على أصغر، سنة ۱۲۵۰ ه، فى ۲۱۴ ص.

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۲۹۶، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲.

الدعوات والزيارات

خ: سپهسالار فى ۵۸ ص، سنة ۱۲۵۰ ه، بخط عبدالوهاب الطباطبائى

ظ: فهرس سپهسالار ۱/ ۵۱، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲.

الدعوات والزيارات

جلال الدين التبريزى

ظ: الذريعة ۸/ ۲۰۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲.

الدعوات والزيارات

خ: الرضوية فى ۶۲ ص، سنة ۱۲۲۷ ه، بخط محمد حسين المازندرانى

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۲۸۹، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۳.

الدعوات والزيارات

عبدالخالق اليزدى

خ: الرضوية

ص: ۲۷۸

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۲۸۹، الذريعة ۸/ ۲۰۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲.

الدعوات والزيارات

غلام رضا الخراسانى

خ: الرضوية، فى ۱۶۰ ص، تاريخها ۱۲۷۱ ه.

ظ: فهرس الرضوية ۲/ ۲۸۸، الذريعة ۸/ ۲۰۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲

الدعوات والزيارات المأثورة المعتبرة

دوّنها: على بن عبدالخالق الحسنى الرازى، فرغ من بعض أجزائها فى سنة ۱۱۷۵ ه.

ظ: الذريعة ۸/ ۲۰۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۲.

دعوات فراموش نشدنى

[خاطرات سفر حج]

(بالفارسية)

محمد تقى باشانى

ميقات حج س ۲: ع ۵ (پائيز ۱۳۷۲ ش) ص ۲۰۱- ۲۰۸.

دعوة ابراهيم واسماعيل عند رفع القواعد من البيت

سامى البدرى

ميقات الحج ع ۱ (۱۴۱۵ ه) ص ۲۴۴- ۲۷۸.

الدعوة الإسلامية فى عهدها المدنى: مناهجها وغاياتها

رؤوف شلبى

الكويت: دار القلم، ۱۴۰۳ ه/

۱۹۸۳ م، ۵۷۰ ص، ۲۴ سم.

القاهرة: ۱۹۸۵ م، ۶۱۷ ص، ۲۴ سم، (موسوعة الدعوة الإسلامية: ۳).

الدعوة الاسلاميّة فى عهدها المكى

رؤوف شلبى

القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية

الكويت: دار القلم، ط ۳، ۱۴۰۲ ه/ ۱۹۸۲ م، ۶۷۲ ص، ۱۷+ ۲۴ سم.

الدعوة فى عهدها المكى

ص: ۲۷۹

ممدوح عبدالعزيز الهياتمى

الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالى للدعوة الإسلامية، ۱۴۰۴ ه (رسالة ماجستير).

دعوة للعلماء لتبيين حدود عرفات- مزدلفة- منى

حمد الجاسر

العرب س ۵: ع ۲ (۷/ ۱۳۹۰ ه) ص ۹۷، ۲۰۲، س ۶: ص ۳۷۵، س ۲۰: ص ۴۷.

دلائل قدم جدة

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جدة) حج ۲۳: ج ۴ (۴/ ۱۳۸۲ ه/ ۹/ ۱۹۶۲ م) ص ۲۰۹- ۲۱۳.

الدلائل المُبينة فى فضائل المدينة

يحيى بن على القرشى الأموى المالكى ت ۶۶۲ ه.

ظ: الغدير ۵/ ۹۵.

دلالات المسترشد على أن الروضة (أى فى المدينة المنورة) هى المسجد

جمال الدين محمد الريمى

ظ: كشف الظنون ۲/ ۷۵۸.

دلالة الحركة فى مسيرة الحاج

عبدالرحمن حللى

نهج الاسلام (دمشق) ع ۶۴ (۱۲/ ۱۴۱۶ ه- ۵/ ۱۹۹۶ م) ص ۶۰- ۶۴.

دليل الأنام فى سبيل زيارت بيت اللّه الحرام

(رحلة إلى مكة فى سنة ۱۲۹۷ ه سجل فيها مشاهداته يومياً بالفارسية)

سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة

ظ: نسخه‌ها ۶/ ۴۰۰۰، استورى ۱/ ۱۱۵۷، مجلس ۲/ ۴۴۱ (الرقم ۶۹۳)، ملك ۲/ ۲۵۱، فهرستواره منزوى ۱/ ۷۷.

دليل الحاج

بشير الزعبى

دمشق: دار الفكر، ۱۹۸۰ م، ۶۳ ص.

دليل الحاج

حسن الموسوى البجنوردى

ص: ۲۸۰

النجف: مط الأداب، ۱۹۷۴ م، ۱۵۸ م.

دليل الحاج

شيت عوض العبد اللَّه

الموصل: مط أم الربيعين، د. ت، ۵۴ ص.

دليل الحاج

عبدالوهاب الأعظمى

بغداد: دار البصرى، ط ۴، ۱۹۶۹ م، ۵۶ ص.

دليل الحاج

محسن الطباطبائى الحكيم

النجف: مط النجف، ط ۲، ۱۹۶۳ م، ۱۷۶ ص (معه دليل الحاج فى أعمال المدينة وزيارة القبور للسيد هادى الطباطبائى الحكيم).

دليل الحاج

محسن فهمى

التصوف الإسلامى (القاهرة) س ۱۰: ع ۶ (۶/ ۱۹۸۸ م) ص ۲۲- ۲۵.

دليل الحاج

محمد حسنين مخلوف

القاهرة: مكتبة مصطفى البابى الحلبى، ط ۳، ۱۳۹۹ ه.

دليل الحاج

هادى الطباطبائى الحكيم

النجف: مط النجف، ۱۹۶۵ م، ۸۲ ص.

دليل الحاج

يونس إبراهيم السامرائى

بغداد: دار البصرى، ۱۹۷۰ م، ۴۸ ص.

دليل الحاج إلى بيت اللَّه الحرام

السيد محمود الفيض المستوفى

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ۱۹۶۸ م، ۷۹ ص.

دليل الحاج: بحث فى بيان مناسك الحج

اعداد: البعثة الدينية- ديوان الاوقاف

بغداد: مط الحكومة، ۱۹۷۱ م، ۱۸ ص.

دليل الحاج: راهنماى قدم بقدم الحجاج: همه با هم بسوى خدا

ص: ۲۸۱

(بالفارسية)

قم: روح، ط ۳، ۱۳۷۵ ش، ۲۸۰ ص، ۲۱ سم.

دليل الحاج: فی رحلة التوبة والمغفرة

محسن فهمی

التصوف الإسلامی (القاهرة) س ۱۲: ع ۶ (۶/ ۱۹۹۰)

ص ۱۸- ۲۲.

دليل الحاج الكامل فی مناسک الحج والعمرة

محمد عبدالعزيز الهلاوی

القاهرة: مكتبة القرآن، ۱۹۸۴ م، ۱۵۹ ص.

دليل الحج للوارد إلی مكة والمدينة من كل فج

لواء محمد صادق المصری

(۱۳۲۰- ۱۳۸۷ ه)

[مطبوع ومؤلفه هو أول رحّالة عربی قام برحلة استكشافية للحجاز]

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

دليل الحاج المصور ومناسک الحج علی المذاهب الأربعة

صالح محمد كمال

مكة: دار الثقافة، ط ۹، ۱۹۸۴ م، ۱۹۱ ص، ۲۴ سم.

دليل الحاج المغربی

المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

دليل الحاج والمعتمر

عبدالمحسن بن عبداللّه آل الشيخ

السعودية: وزارة الدفاع والطيران، ط ۱.

دليل الحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول صلی الله عليه و آله وكلّ ما يهم الحاج والمعتمر

كمال أحمد محمد مبارک الإسكندرية: ۱۹۸۶ م، ۱۰۱ ص.

دليل الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوی

رئاسة إدارة التحقيق العلمی وهيئة الفتوی والموعظ والإرشاد

الرياض: ۱۴۰۶ ه،

ص: ۲۸۲

۶۵ ص، ۱۷ سم.

دليل الحجاج المصور

إعداد: محمد حسين فلاح زاده

تعريب: محمد حسن تبرائيان

طهران: نشر مشعر، ۱۴۱۶ ه، ۱۰۸ ص.

دليل الزائر فى المدينة المنورة

ابو الخير صلاح بن محمد كرنبه

المدينة المنورة: دار الهدى، ط ۱، ۵۴ ص، ۱۷ سم.

دليل الزائرين

عبدالعلى أديب الممالك

ظ: بسوى أم القرى ۱۴.

دليل الزائرين

محمد رضا بن محمد القاسم الحسينى القزوينى

ظ: الذريعة ۸/ ۲۵۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۹/ ۴۷۳.

دليل الزائرين وأنيس المجاورين فى زيارة سيد المرسلين

على بن ابراهيم الشروانى المدنى (ت ۱۱۱۸ ه)

ظ: تحفة المحبين والأصحاب ۲۹۹، ايضاح المكنون ۱/ ۴۷۸، العرب س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه) ص ۳۴۸.

الدليل الشامل للمملكة العربية السعودية

زكى محمد على

المدينة المنورة: مكتبة الزمان للثقافة والعلوم، ۱۳۷ ص، رحلى.

دليل المتحيرين فى مناسك الحاج والمعتمرين

معزالدين محمد مهدى بن الحسن القزوينى الحلى النجفى ت ۱۳۰۰ ه.

دليل المجتاز بأرض الحجاز

الحسن بن عمر بن حبيب

العرب (الرياض) س ۱۲: ج ۵- ۶ (۱۱- ۱۲/ ۱۹۷۷ م)

ص ۴۰۶- ۴۱۴.

دليل المدينة المنورة للحاج والزائر

عبيداللّه محمد أمين الكردى،

ص: ۲۸۳

وعبدالعزیز محمد الکابلی

المدینة المنورة: دار التراث، ط ۱، ۱۴۰۵ ه، ۲۱۱ ص، ۲۴ سم.

الدلیل المرشد للمدینة المنورة

اعداد: وکالة المنیر للدعایة والاعلان

جدة: ط ۱، ۱۴۰۷ ه، ۱۱۰ ص، ۲۱ سم.

دلیل المسالک: شرح إحکام المسالک فی أحکام المناسک

سعید بن خلف الخزرجی

مسقط: وزارة التراث القومی والثقافة، ۱۹۸۴ م، ۷۶ ص.

دلیل المسلمین فی زیارة أعمال الحرمین

عبدالمجید علی

النجف: مطبعة الغری الحدیثة، ۱۳۸۴ ه/ ۱۹۶۴ م، ۴۸ ص.

دلیل المناسک

محسن الطباطبائی الحکیم

النجف: مط الآداب، ط ۱، ۱۳۷۷ ه/ ۱۹۵۸ م، ۲۷۵ ص، ۲۴ سم.

دلیل المناسک

محمد حسین فضل اللّه

بیروت: دار الملاک، ۱۴۱۶ ه، ۲۲۸ ص.

دلیل الناسک

(شرح استدلالی علی منسک الحج للمیرزا النائینی)

محسن الحکیم

تحقیق: محمد القاضی الطباطبائی

تقدیم: محمد باقر الحکیم

قم: مؤسسة المنار، ۱۴۱۶ ه، ۶۰۹ ص، ۲۴ سم.

دور أجداد الرسول صلی الله علیه و آله فی مکة

خالد صالح العلی

مجلة کلیة التربیة (البصرة س ۳:

ع ۶ (۱۹۸۱ م)، ص ۳۱- ۵۶.

دور أجداد الرسول صلی الله علیه و آله فی مکة

خالد صالح العلی

مجلة کلیة التربیة (البصرة) س ۳:

ع ۶ (۱۹۸۱ م)، ص ۳۱- ۵۶.

دور الحج فی ترسیخ السلام فی العلاقات الاجتماعیة

محمد مهدى الآصفى

ص: ۲۸۴

ميقات الحج ع ۱ (۱۴۱۵ ه) ص ۲۸۹- ۳۰۵.

دور الحج فى صياغة الشخصية المؤمنة من خلال الطرح القرآنى

نور الاسلام (بيروت) س ۲: ع ۱۵ (۵/ ۱۹۹۱ م)، ص ۴۲- ۴۹.

دور الحج فى مسيرة التاريخ

محمد باقر الصدر

طهران: مؤسسة البعثة، ۵۲ ص، ۲۱ سم.

دور الحج فى المسيرة التاريخية

(دراسة لآراء الإمام الخمينى فى قضايا الحج)

محمد على حسين

طهران: مؤسسة البعثة، ۱۴۰۲ ه، ۴۹ ص، ۲۱ سم.

دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة

أحمد إبراهيم شريف

القاهرة: دار الفكر العربى، ۱۹۶۸ م، ۴۸۰ ص.

دور دراسة ظاهرة الحج فى تدعيم الفكر الإسلامى فى مواجهة المناهج العربية المعاصرة

حسن العنيقة

طهران: مؤسسة الحج، ط ۱، ۱۴۰۵ ه، ۴۰ ص، ۲۱ سم.

دور على عليه السلام فى فتح مكة

عفيف النابلسى

ميقات الحج ع ۲ (۱۴۱۵ ه) ص ۱۷۰- ۱۹۴.

دور مكة التاريخى والثقافى

على عبدالرحمن أبا حسين

مجلة قافلة الزيت مج ۲۰: ع ۱۲ (يناير/ فبراير ۱۹۷۳ م)

ص ۴۳- ۴۸.

دولة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى المدينة

أحمد إبراهيم الشريف

الكويت: دار البيان، ۱۳۹۲ ه/

۱۹۷۲ م، ۳۲۴ م، ۱۴* ۱۹ سم.

دولة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى المدينة

محمد ممدوح العربى

القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ۱۹۸۸ م، ۳۸۶ ص، ۲۵ ص.

ص: ۲۸۵

دولة المدينة بين أثينا ومكة

(دراسة مقارنة)

هاشم يحيى الملاح

آداب الرافدين (جامعة الموصل) ع ۴ (۸/ ۱۹۷۲ م) ص ۶۰- ۷۶.

ديدارى از غار حرا

(بالفارسية)

أحمد بهشتى

جهرم: انجمن اسلامى دين ودانش جوانان، ط ۲، ۱۳۵۲ ش، ۳۰ ص.

الدين وتاريخ الحرمين الشريفين

عباس كرازه

القاهرة: شركة فن الطباعة، ۱۹۵۱ م، ۲۸ ص.

القاهرة: دار مصر للطباعة، ۱۳۸۴ ه، ۲۲+ ۵/ ۱۴ سم.

مكة المكرمة: مركز الحرمين، ۱۴۰۴ ه، ۲۱ سم.

ديوان عمر بن إبراهيم البرى من شعراء المدينة فى مطلع القرن الرابع عشر (دراسات حول المدينة المنورة)

تحقيق وتقديم: محمد الخطراوى

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط ۱، ۱۴۰۶ ه، ۲۵۶ ص، ۲۴ سم.

ديوان محمد أمين الزللى من شعراء المدينة فى القرن الثالث عشر (دراسات حول المدينة المنورة)

تحقيق وتقديم: محمد العيد الخطراوى

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط ۱، ۱۴۰۵ ه، ۱۹۵ ص، ۲۴ سم.

ذاتيّتنا الإسلامية فى ضوء حادثة تحويل القبلة

حلمى عبدالمنعم صابر

المجاهد (القاهرة ع ۱۲۴ (۲/ ۱۹۹۱ م) ص ۴۸- ۵۰.

ذبائح منى

عبدالعزيز بن باز

المنهل (جدة) مج ۲۶: ج ۳ (۳/ ۱۳۸۵ ه/ ۷/ ۱۹۶۵ م) ص ۱۵۵.

ص: ۲۸۶

ذبح الهدی للتمتع فی مکة

إبراهیم النعمة

الرسالة الإسلامیة (بغداد)

ع ۱۱۹- ۱۲۰ (۱۳۹۸ ه)

ص ۵۵- ۵۷.

الذخائر القدسیّة فی زیارة خیر البریّة

عبد الحمیّد قدس بن محمد علی (ت ۱۳۳۵ ه)

القاهرة: المطبعة المیمنیة، ۱۳۲۱ ه، ۲۲۸ ص.

القاهرة: مکتبة مصطفی البابی الحلبی.

بیروت: دار الرائد العربی، ۱۹۸۲ م، ۲۲۳ ص.

ظ: معجم المطبوعات لسرکیس ۱۲۷۵، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۲/ ۸.

ذخائر المدینة المنورة فی أسمائها وفضائلها وأدعیة زیارة آثارها الشریفة

محمد سعید الخنیزی

بیروت: دار الانتصار، ۱۳۹۰/ ۱۹۷۰ م، ۸۴ ص.

ذراع مدینه

(بالفارسیة)

مجهول المؤلف

ظ: ازبکستان طاشقنده ۵/ ۳۱۵، فهرستواره منزوی ۱/ ۲۱۸.

ذراع مدینه

(کُتب فی ۱۰۳۷ ه، بالفارسیة)

قریشی

ظ: نشریه ۹/ ۵۱، فهرستواره منزوی ۱/ ۲۱۸.

ذروة الوفاء فی عمارة المسجد الشریف

نور الدین السمهودی ت ۹۱۱ ه.

خ: الصافی بمکتبة الملک عبدالعزیز برقم ۱۴۲.

ظ: تحفة المحبین والأصحاب ۲۷۱، العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه) ۳۴۸.

ذریعة الوصول إلی زیارة جناب حضرة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم

عبدالغنی بن عبدالجلیل التلمسانی ۷۲۱ ه.

ص: ۲۸۷

ظ: كشف الظنون

۲/ ۱۸۲۸- ۲۰۰۰، هدية العارفين ۱/ ۵۹۰، معجم أعلام الجزائر ۷۰، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۱۱.

ذكر حجة الوداع وترتيبها وصفتها من حين خروج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من المدينة عامداً إلى مكة إلى حين رجوعه

أبو محمد بن أحمد الظاهرى، ابن حزم ت ۴۵۶ ه.

خ: كتاهيه بتركيا برقم ۴۳ فى ۶ ورقة (القرن العاشر الهجرى)

ظ: نوادر المخطوطات العربية فى تركيا ۱/ ۷۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۲/ ۱۱.

ذكريات طيبة وبحوث حول أسرار الحج والزيارة

هاشم محمد سعيد الدفتر دار

ظ: ۱۳۷۰ ه.

ذكريات على تلال مكّة

بنت الهدى

بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط ۲، ۱۴۰۰ ه،

۶۹ ص، ۲۱ سم.

ميقات حج. س ۳: ع ۹ (پائيز ۱۳۷۳ ش) ص ۲۲۵- ۲۳۷، ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش) ص ۱۷۶- ۱۹۲ (جواد محدثى).

ذكريات على مشارف مكّة

حسين شحاده

بيروت: دار التعارف، ط ۱، ۱۳۹۷ ه، ۴۸ ص، ۲۱ سم.

ذكرياتى عن مدرسة الخياط بمكة

بكر شريف

المنهل (جدة) مج ۷: ج ۱۱- ۱۲ (۱۱- ۱۲/ ۱۳۶۶ ه/

۱۰- ۱۱/ ۱۹۴۷ م)

ص ۵۴۶- ۵۴۹.

الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك

أحمد المقريزى ت ۸۴۵ ه

مصر: ۱۹۵۵ م.

ذيل الانتصار لسيد الأبرار

عمر بن على السمهودى

ظ: المدينة المنورة بين الأدب

ص: ۲۸۸

والتاريخ ۱۰۰، العرب. س ۳۱:

ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه) ص ۳۴۸.

ذيل تاريخ المدينة للمرجانى

أحمد بن عبداللَّه بن حسن باعنتر السيوّنى الحضرمى

ت ۱۰۹۱ ه.

ظ: ايضاح المكنون ۱/ ۲۱۷، العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه) ص ۳۴۸- ۳۴۹.

ذيل الدرّة الثمينة فى أخبار المدينة

أبو العباس الغرّافى

ظ: الاعلان بالتوبيخ ۲۷۴، العرب. س ۳۱: ج ۵، ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۱۶ ه) ص ۳۴۹.

رأيت فى بلاد اللَّه

ناصر قاسم

المنهل (جدة) مج ۲۱: ج ۱- ۲

(۱- ۲/ ۱۳۸۰ ه/

۷- ۸/ ۱۹۶۰ م) ص ۶۰- ۶۳

ج ۳ (۳/ ۱۳۸۰ ه/

۸- ۹/ ۱۹۶۰ م) ص ۱۳۵- ۱۴۰.

راه حج

(بالفارسية)

عالم بن داملا رحيم طاشقندى

ظ: ازبكستان طاشقند ۷/ ۵۴، فهرستواره منزوى ۱/ ۲۱۹.

را خدا در مسائل اخلاقى واجتماعى واماكن مقدسه مكۀ ومدينۀ

(بالفارسية)

حسن ابطحى

مشهد: كانون بحث وانتقاد دينى، ط ۱، ۱۳۶۲ ش، ۱۹۱ ص.

راهنمايى احكام حج

(بالفارسية)

محمد الشيرازى

ترجمۀ: محمد على الهمدانى

قم: انجمن جوانان امام صادق عليه السلام، ۱۳۵۲ ش، ۲۴ ص.

راهنماى اعمال حج از خاطرات راه مكۀ

(بالفارسية)

م. ل

طهران: (د. ن)، ۱۳۴۱ ش،

ص: ۲۸۹

۹۴ ص، ۲۱ سم.

راهنمای حاج، تاریخ جغرافیای مکهٔ واماکن متبرکه وعتبات عالیات ومشاهد مشرفهٔ

(مناسک حج)

(بالفارسیهٔ)

عماد الدین حسین الاصفهانی

طهران: انجمن تبلیغات اسلامی، ط ۱، ۱۳۲۷ ش.

راهنمای حج در اماکن مقدسه ومکه معظمه ومدینه منوره

جعفر وجدانی

طهران: ۱۳۵۷ ش، ۲۶ ص.

راهنمای حج– منظوم

غلام حسین امنای پور

طهران: ۱۳۴۹ ش، ۳۲ ص، ۱۷ سم.

راهنمای حج وزیارتکاههای در جهان اسلام

(بالفارسیهٔ)

ابراهیم وحید دامغانی

طهران: انتشارات رودکی، ط ۱، ۱۳۶۲ ش، ۲۲۴ ص.

راهنمای حج ومناسک مفصّل

(بالفارسیهٔ)

محمد باقر الکمره‌ای

باهتمام: نصر اللّٰه نوریانی

طهران: ۱۳۲۳ ش، ۲۷۲ ص، ۲۱ سم.

راهنمای حجاج

(بالفارسیهٔ)

اعداد: مرکز تحقیقات وانتشارات حج

طهران: ط ۱، ۱۴۰۵ ه.

طهران: ط ۲، ۱۴۰۷ ه، ۲۰۳ ص، ۲۱ سم.

راهنمای حجاج بیت اللّٰه الحرام

(بالفارسیهٔ)

إعداد: ممثلیهٔ الولی الفقیه لشؤون الحج والزیارهٔ

طهران: حج وزیارت، ۱۳۷۱ ش، ۷۶ ص.

راهنمای حجاج در مذاهب امام شافعی با تعیین فاصله مکانها

(بالفارسیهٔ)

مسعود قادر مرزى

ص: ۲۹۰

قم: صاحب اثر، ط ۱، ۱۳۷۵ ش، ۶۴ ص.

راهنماى حرمين شريفين

(بالفارسية)

ابراهيم الغفّارى

منظمة الاوقاف والأمور الخيرية.

طهران: ط ۱، ۱۳۷۰ ش، ۵ ج.

راهنماى خانه خدا

(مناسك مصور حج، بالفارسية)

الهيئة التحريرية لمؤسسة الثورة الإسلامية.

طهران: قسم اعلام الثورة الإسلامية، ط ۱، ۱۳۶۲ ش، ۲۰ ص، ۲۴ سم.

راهنماى زوار عتبات

(دليل زوار العتبات، بالفارسية)

محمد عادلى

مطبوع

ظ: الذريعة ۱۱/ ۳۱۲، فهرستواره منزوى ۱/ ۲۱۹.

راهنماى زيارت خانه خدا يا دستور عمره مفرده

(بالفارسية)

هاشم حميدى

د. م: (د. ن)، ۱۳۵۵ ش، ۹۴ ص.

راهنماى سفر مكّه ومدينه

(بالفارسية)

شهاب الدين المرعشى النجفى

ط: طهران.

راهنماى قدم بقدم حجاج: همه با هم بسوى خدا

(بالفارسية)

عادل علوى

قم: روح، ط ۳، ۱۳۷۵ ش، ۲۸۰ ص، ۲۱ سم.

راهنماى مسافرين خانه خدا

(بالفارسية)

على البسطامى

د. م: (د. ت)، ۱۳۵۰ ش، ۸۰ ص، ۱۷ سم.

راهنماى مصور حجاج

(بالفارسية)

إعداد: محمد حسين فلاح زاده

[طهران]: مشعر، ط ۲، ۱۳۷۳ ش، ۱۶۴ ص.

طهران: مشعر، ط ۳،

ص: ۲۹۱

۱۳۷۴ ش، ۱۲۰ ص.

راهنمای مناسک

(بالفارسية)

شمس المحدثين الحسينى

النجف: مط النعمان،

۱۹۶۴ م- ۱۳۸۵ ه، ۲۳۲ ص.

راهنمای مناسک حج

(بالفارسية)

محسن الحكيم

د. م: (د. ن)، ۱۳۴۵ ش، ۸۳ ص.

راهيان خانه خدا

(بالفارسية)

محمد مراد قلى كلوخى

د. م: المؤلف، ط ۱، ۱۳۶۴ ش، ۱۲۸ ص.

راهيان سفر روحانى مسافرت به مكه وسير در وطن در خدمت راهنما

(بالفارسية)

محمد رضا خانى وحشمت اللّه خان

طهران: المؤلف، ط ۱، ۱۳۶۹ ش.

راهيان كعبه سفيران انقلاب

(بالفارسية)

إعداد وتنظيم: مركز تحقيقات وانتشارات حج

(د. م): فتر نماينده امام وسرپرست حجاج، ط ۱، ۱۳۶۸ ش، ۱۱۴ ص، رحلى.

راهى به سوى كعبه

(بالفارسية)

مصطفى محمود

ترجمة: إسماعيل هادى

طهران: دفتر نشر فرهنگ إسلامى، ۱۳۶۰ ش، ۱۱۹ ص، ۲۱ سم.

راهى به كعبة

(بالفارسية)

غلام على رحيميان

سمنان: (د. ن)، ۱۳۵۸ ش، ۱۵۷ ص.

رؤية قصصية لواقعة تاريخية صارت من مناسك الحج

فاروق حسان السيد

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۲۰:

ع ۱۲ (۱۲/ ۱۴۱۵ ه/

ص: ۲۹۲

/۵ ۱۹۹۵ م) ص ۳۰- ۳۲.

الربذة

إبراهيم على العياشى

المنهل (جدة) مج ۲۶: ج ۹ (۹/ ۱۳۸۵ ه/ ۹/ ۱۹۶۶ م) ص ۷۰۸.

الرَّبَذَة ليست الحناكية

العرب س ۱۳: ص ۳۶۹، ۳۹۰.

الرَّبَذَةُ أين تقع؟

العرب س ۱۰: ع ۱- ۲، ص ۱- ۴ (۷، ۸/ ۱۳۹۵ ه)، س ۱۱:

ص ۱۶۱.

رجال من الحرمين الشريفين:

حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه

عباس المهاجر

ميقات الحج. س ۳: ع ۵ (۱۴۱۷ ه) ص ۱۹۹- ۲۱۷.

رجال من الحرمين الشريفين:

عبداللَّه بن عباس إيماناً وجهاداً وعلماً

محسن الأسدى

ميقات الحج. س ۳: ع ۶ (۱۴۱۷ ه) ص ۲۳۶- ۲۶۶.

رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة

زهير محمد جميل الكتبى

جدة: دار الفنون، ط ۱، ۱۴۱۰ ه، ۲ ج.

رحالة دمشقى مر بنجد سنة ۱۱۲۰ ه بعد عودة من الحج ومر بالاحساء ثم العراق

مرتضى بن على بن علوان (ت بعد ۱۱۲۰ ه)

العرب. س ۲۶: ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۱۱ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۹۱ م)

ص ۱۸۹- ۲۰۵ (حمد الجاسر)

الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثمانى

أبو القاسم سعد اللَّه

دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج ۱ (۱۹۷۹ م) ص ۳۳۵- ۳۴۷.

الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية مهد الإسلام ومنطلق الحضارات

عبدالعزيز بن عبداللَّه

مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج ۲

ص: ۲۹۳

(۱۹۷۹ م) ص ۳۴۹- ۳۵۶.

الرحلات الحجازية وصلة بيت شقى العروبة

عبدالعزيز بن عبداللَّه

اللسان العربى (الرباط) مج ۱۵: ج ۱ (۱۹۷۷ م) ص ۲۱۱- ۲۱۷.

رحلات فى بلاد العرب فى شمال الحجاز والاردن

عاتق بن غيث البلادى

مكة المكرمة: دار مكة، ط ۲، ۱۴۰۳ ه، ۲۴۵ ص، ۲۴ سم.

رحلات فى قلب الحجاز

عاتق بن غيث البلادى

مكة المكرمة: دار مكة، ط ۱، ۳۲۰ ص، ۲۴ سم.

رحلة ابن طوير الجنة إلى الحجاز؟

عبدالقادر زمامة

مجلة معهد المخطوطات العربيّة مج ۲۵: ج ۱، ۲ (۱۹۷۹ م) ص ۱۶۹- ۱۸۱.

رحلة إلى طيبة

حمد الجاسر

العرب س ۱: ع ۶ (۱۲/ ۱۳۸۶ ه/

۳/ ۱۹۶۷) ص ۴۸۱- ۴۸۴، ع ۷ (۱/ ۱۳۸۷ ه/ ۴/ ۱۹۶۷ م) ص ۵۸۸- ۵۹۲

ع ۸ (۲/ ۱۳۸۷ ه/ ۵/ ۱۹۶۷ م) ص ۶۹۲- ۶۹۴، ۶۹۶

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۳۸۷ ه/

۶/ ۱۹۶۷ م) ص ۸۵۴- ۸۵۷

ع ۱۱ (۵/ ۱۳۸۷ ه/ ۸/ ۱۹۶۷ م) ص ۱۰۰۷- ۱۰۱۱

رحلة إلى المدينة المنورة

محمود ياسين

سورية: دار الفكر المعاصر، ط ۱، ۱۹۸۷ م، ۲۳۹ ص، ۲۴ سم.

رحلة إلى وادى القرى

صالح العمرى

المنهل (جدة) مج ۳۴: ج ۱- ۲

(۱- ۲/ ۱۳۹۳ ه/ ۳ /۴ ۱۹۷۳ م) ص ۶۵- ۷۰.

رحلة البكرى إلى الحج

حمد الجاسر

العرب س ۲۲: ع ۵- ۶ (۶، ۷/ ۱۹۸۷ م)، ص ۴۰۹- ۴۱۳.

رحلة التميمى التونسى إلى الحج

ص: ۲۹۴

محمد بن صالح القيروانى ت ۱۳۶۲ ه

العرب (الرياض) س ۱۶: ع ۱- ۲ (۷، ۸/ ۱۴۰۱ ه/ ۵، ۶/ ۱۹۸۱ م) ص ۱۳۶- ۱۴۰.

ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۰۱ ه/ ۷، ۸/ ۱۹۸۱ م) ص ۲۵۴- ۲۵۸.

ع ۵- ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۰۱ ه/ ۹، ۱۰/ ۱۹۸۱ م) ص ۴۵۶- ۴۵۹.

ع ۷- ۸ (۱، ۲/ ۱۴۰۲ ه/ ۱۱، ۱۲/ ۱۹۸۱ م) ص ۵۶۰- ۵۶۶.

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۰۲ ه/ ۱/ ۱۹۸۲) ص ۷۵۷- ۷۶۳.

ع ۱۱- ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۰۲ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۸۲) ص ۹۳۶- ۹۳۹.

س ۱۷: ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۰۲ ه/ ۶/ ۱۹۸۲ م) ص ۲۵۵- ۲۵۸.

ع ۵- ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۰۲ ه/ ۹، ۱۰/ ۱۹۸۲ م) ص ۴۴۳- ۴۴۶.

ع ۱۱- ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۰۳ ه/. ۲، ۳/ ۱۹۸۳ م) ص ۸۶۹- ۸۷۹

(حمد الجاسر)

رحلة الحج

الصافى الگلپايگانى

مطبوعة

رحلة الحج

آية اللّه الطالقانى

مطبوعة

رحلة الحج

محمد حسن جان هندى

ظ: الفهرس المشترک للمخطوطات الفارسية ۱۰/ ۶۷.

رحلة الحج إلى بيت اللّه الحرام

محمد الأمين الشنقيطى

جدة: دار الشروق، ط ۱، ۱۴۰۳ ه، ۲۸۷ ص، ۲۱ سم.

رحلة حج البيت

إبراهيم بن درويش محمد الكازرونى

ظ: الذريعة ۱۲/ ۱۸۶.

رحلة الحج شحنة روحية ألهمت الفنان المسلم

عبدالمنعم البداوى

الهلال (القاهرة) س ۹۷: ع ۷ (۷/ ۱۹۹۰ م) ص ۶۶- ۷۳.

رحلة الحج فى القرن ۱۹

ص: ۲۹۵

الحسن الغسال

إعداد: عبدالعزیز التمسمانی

العربی ع ۲۷۹ (۲/ ۱۹۸۲ م) ص ۱۷۵.

رحلهٔ الحج ودلیل الحجاج

حسین ذو القدر شجاعی

مطبوعهٔ.

رحلهٔ الحجاز

إبراهیم بن عبدالقادر المازنی (۱۳۰۸- ۱۳۶۸ ه)

العرب. س ۲۶: ع ۳- ۴ (۹، ۱۰/ ۱۴۱۱ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۹۱ م) ص ۲۰۸- ۲۱۳ (حمد الجاسر)

رحلهٔ الحجاز

عبدالغنی شهبندر

بیروت: ۱۹۳۷ م.

ظ: معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۲/ ۲۷.

رحلهٔ الحجاز

محمد حسین الشهرستانی

ظ: الذریعهٔ ۱۲/ ۱۹۶.

رحلهٔ الحجاز

هدایت علی بن شیخ فضل علی

ظ: الفهرس المشترک للمخطوطات الفارسیهٔ ۱/ ۶۲.

الرحلهٔ الحجازیهٔ

ابن عثمان المکناسی

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۴۰۰، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۲/ ۲۸.

الرحلهٔ الحجازیهٔ

أحمد بن طویر الجنهٔ الحمیری الشنگیطی

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۲۷۲، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۲/ ۲۸.

الرحلهٔ الحجازیهٔ

أبو العباس أحمد بن عبدالعزیز الهلالی السجلماسی

(۱۱۱۳- ۱۱۷۵ ه)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۱۱۰۱، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۲/ ۲۸.

الرحلهٔ الحجازیهٔ

أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبی عبداللّه محمد ساسی التمیمی البونی

ص: ٢٩٦

من بونه المعروفة الآن بعنابه فى الجزائر (١٠٦٣- ١١٣٩ ه)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٣٧، معجم اعلام الجزائر ٩٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

أبو العباس أحمد بن محمد بن داود ابن يعزى بن يوسف الجزولى التملى الهشتوكى ت ١١٢٧ ه.

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ١١٠٣، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

الحسين الورتلانى الزواوى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٢٣٩، ٣٥٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

حمد الجاسر

العرب. س ١٧: ع ١١- ١٢ (۴، ۵/ ۵/ ١۴٠٣ ه/ ٢، ٣/ ١٩٨٣ م) ص ٨۵٧- ٨۶٩.

الرحلة الحجازية

رضا بن محمد الهندى النجفى (١٢٩٠- ١٣۶٢ ه)

ظ: الذريعة ١٠/ ١۶٨.

الرحلة الحجازية

السيد الجيلانى الاسحاقى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٩٧، ١٢١، ۴٢٨، ۴٢٩، ٩٣۵، ١١۵٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٨.

الرحلة الحجازية

عبداللَّه صوفان بن عودة بن عبداللَّه القدومى النابلسى الحنبلى

(١٢٣٧- ١٣٣١ ه)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ٩۴٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢٩.

الرحلة الحجازية

(لم تكمل)

عبدالقادر أحمد بن أبى جيدة الكوهن الفاسى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۴٩٢، ٧۵٢، معجم ما كتب عن

ص: ۲۹۷

الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية

عبدالمجيد الزبادى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۳۵۵، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية

فضل اللَّه حجازى، على رضا حجازى

ميقات حج: ع ۱۶ (تابستان ۱۳۷۵ ش) ص ۱۶۲- ۱۹۰.

الرحلة الحجازية

محمد بن أحمد بن عبداللَّه الجزولى (۱۱۱۸- ۱۱۸۹ ه)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۳۵۲، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية

محمد بن التهامى بن عمرو ت ۱۲۴۴ ه

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۲۸۱، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية

(لم تكمل)

محمد بن جعفر الكتانى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۵۱۷، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية

(وصف لرحلة حج عباس ابن حلمى الثانى خديوى مصر سنة ۱۳۲۷ ه)

محمد لبيب البتنونى ت ۱۳۵۷ ه

القاهرة: ۱۳۲۹ ه، ۳۳۴ ص.

الرحلة الحجازية

محمد يحيى بن محمد المختار الولاتى

بيروت: دار الغرب الإسلامى، ط ۱، ۱۹۹۰ م، ۴۱۶ ص.

الرحلة الحجازية الأولى

محسن الأمين العاملى ت ۱۳۷۱ ش.

ظ: الذريعة ۱۰/ ۱۶۸.

الرحلة الحجازية (الأولى)

شمس الدين محمد بن الطيب الفاسى المدنى الشركى

ص: ۲۹۸

(۱۱۱۰- ۱۱۷۰ ه)

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۱۰۷۰، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية الثانية

محسن الأمين العاملى ت ۱۳۷۱ ه.

ظ: الذريعة ۱۰/ ۱۶۸.

الرحلة الحجازية (الثانية)

شمس الدين محمد بن الطيب الفاسى الشركى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۱۰۷۰، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۲۹.

الرحلة الحجازية الثالثة

محسن الأمين العاملى ت ۱۳۷۱ ه

ظ: الذريعة ۱۰/ ۱۶۸.

رحلة الحرمين

(فى مناسك الحج، بالفارسية)

عبداللَّه بن أبى القاسم البلادى البوشهرى

مطبوع

ظ: الذريعة ۱۰/ ۱۶۸.

الرحلة الحسينية

(تقرير عن سفر الحج)

محمد حسين بن حمد الحلى ت حدود ۱۳۵۴ ه.

د. م: د. ن)، ۱۳۲۹ ه.

الرحلة الرضوانية الدانية فى الرحلة الحجازية الثانية

مصطفى البكرى الصديقى

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۲۲۳، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ۲/ ۳۰.

رحلة عبدالساعى الدرعى المتوفى سنة ۱۲۳۹ ه

(رحلة إلى الحج)

الرياض: دار الرفاعى، ۱۴۰۲ ه، ۱۷۷ ص.

رحلة العتبات ومكة

سيف الدولة

ط: سنة ۱۲۷۹ ه.

رحلة فى بلاد العرب السعيدة

نزيه مؤيد العظم

القاهرة: مطبعة عيسى البابى، ۱۹۳۷ م.

الرحلة المقدسة إلى بيت اللّه الحرام

ص: ۲۹۹

عبداللَّه عبدالمطلب بوقس

بيروت: المؤلف، ط ۱، ۱۴۰۳ ه، ۲۳۹ ص، ۲۴ سم.

بيروت: المؤلف، ط ۲، ۱۴۰۶ ه، ۴۲۴ ص، ۲۴ سم.

رحلة مكة

مجهول المؤلف

ظ: آشنائى با چند نسخهٔ خطى ۱۰۵.

رحلة مكة

مجهول المؤلف

مهداة إلى ناصر الدين شاه، عام ۱۲۸۸ ه.

ظ: مجلة العرب س ۳۲: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۷ ه/

۱۱- ۱۲/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۱.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.